

مجلة مركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية

مجلة اكاڤمفة ءورفة ءصءر فف انءلءرا الرءم ءولف ISSN 2054 - 4030



العءء الأوول

آءار 2022

العدد الاول /مجلة مركز الحَسَّو للدراسات الكمية والتراثية

<< **رئيس التحرير:** الاستاذ الدكتور أحمد عبد الله الحَسَّو

<< **نائب رئيس التحرير:** الدكتورة سوسن الفاخري

<< **سكرتير التحرير:** الدكتور سالم غومة

<< **المستشار العلمي:** الدكتور جعفر يايوش

<< **هيئة التحرير:**

• الدكتورة اخلاص العيدي

• الدكتور جمال عناق

• الدكتورة حنان خريسات

• الدكتورة لمياء لغزاوي

<< **الهيئة الاستشارية:**

• الاستاذ الدكتور محمد الهادي ابو عجيبة - ليبيا

• الأستاذ الدكتور محمود الرويضي\الاردن

• الأستاذ الدكتور نعمان جبران - الاردن

• الاستاذ الدكتور هاشم يحيى الملاح - العراق

<< **اللجنة العلمية**

• الأستاذ الدكتور ابراهيم العلاف

• الدكتور جعفر يايوش

• الأستاذ الدكتور سليمان الصرايرة

• الأستاذ الدكتور عامر أبو جبلة

• الاستاذ المشارك عبد الحق بلعابد

• الأستاذة الدكتورة ميسون العبايجي

• الاستاذ الدكتور ناصر الملا جاسم

• الأستاذ الدكتور نعمان جبران

• الاستاذ الدكتور هاشم الملاح

• الاستاذ الدكتور ابراهيم خليل العلاف - العراق

• الاستاذ الدكتور ابراهيم عبد المنعم سلامة- مصر

• الاستاذ الدكتور احمد قاسم الجمعة-العراق

• الاستاذ الدكتور حسين الكساسبة - الأردن

• الاستاذ الدكتور ذنون يونس الطائي-العراق

• الاستاذ الدكتور سلطان المعاني

• الاستاذ الدكتور سليمان الصرايرة - الاردن

• الاستاذ الدكتور عامر ابو جبلة - الأردن

• الأستاذ الدكتور عبد الاله بلمليح - المغرب

• الاستاذ الدكتور عبد الامير دكسن - العراق

• الاستاذ الدكتور عبد الواحد ذنون طه-العراق

• الاستاذ الدكتور فاضل بيات - العراق

• الاستاذ الدكتور فاروق صالح العمر-العراق

• الاستاذ الدكتور فاروق عمر فوزي - العراق

• الاستاذ الدكتور محمد حسين الزبيدي- العراق

محتويات العدد

4	افتتاحية العدد
6	بحوث منهجية تراثية
7	منهج البحث التاريخي عند الدوري لـ أ.د. احمد عبد الله الحَسُو
20	ملاحظات حول استكشاف المنهج الكمي في دراسة التاريخ الحضاري لدى كل من الدكتور أحمد الحَسُو والدكتور هاشم الملاح لـ أ.د. هاشم يحيى الملاح
36	المظاهر الكمية للرق في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط لـ أ.د. عبد الاله بنمليح
59	توظيف المنهج الكمي لاكتشاف الامكانات الشكلية لقضية الموقع في مرحلة البرمجة المعمارية لآعمار الموصل القديمة لـ فردوس فارس عبد القادر الشالجي و زيد اسامة رشيد
73	كتب التراجم وإشكاليات التحقيق مخطوط (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) لـ د. سوسن الفاخري
85	أدبيات مترجمة
86	المنهج الكمي وكتب التراجم الاسلامية في العصور الوسطى ترجمة وتعليق : أ.د. ناصر جاسم

افتتاحية العدد

بقلم: رئيس التحرير

يسعدني وزملائي في هيئة التحرير، أن نضع العدد الأول من (مجلة مركز الحسب للدراسات الكمية والتراثية)، بين يدي الباحثين وأمناء المنهج الكمي حيثما كانوا، وان يتزامن ذلك مع ذكرى إشهار المركز في شهر آذار قبل أكثر من عقد من الزمن .

إن صدور المجلة في هذه الذكرى، له دلالة مقصودة، فقد جاء ثمرة اتساع دائرة المنتمين الى المركز خلال السنوات الإحدى عشرة الماضية، وتنامي اهتمام قطاعات واسعة من الباحثين بفلسفة وثقافة المنهج الكمي واعتمادها في أعمالهم العلمية، وظهور دراسات ورسائل وأطروحات كمية في العراق والأردن وفلسطين والكويت ومصر والجزائر والمغرب وغيرها؛ ساهم أعضاء المركز في تقديم المشورة أو الإشراف على بعض منها أو مناقشتها .

مع هذه البيئة الجديدة، برزت حاجة ماسة الى صدور مجلة أكاديمية تكون - بما تنشره من دراسات وبحوث وترجمات - ظهيرة للمركز، باعتباره مرجعية معرفية كمية، تلي حاجة وتطلعات الوضع الجديد.

في ضوء ذلك والتزاما به، اعتمدت المجلة، سياسة للنشر تتحرى:

1. التوسع في نشر ترجمات ما أنجزه الغربيون من أدبيات في المنهج بشكل عام، والمنهج الكمي بشكل خاص ، وما قدموه من دراسات وبحوث في ذات الإطار، وقد بدأنا ذلك مع العدد الأول للمجلة بنشر ترجمة لدراسة الدكتور ريتشارد بوليت الموسومة: المنهج الكمي وكتب التراجم الإسلامية في العصور الوسطى، من اللغة الإنكليزية الى اللغة العربية. قام بالترجمة الأستاذ الدكتور ناصر جاسم، مع تعقيبات وشروح له عليها .

2. نشر الأدبيات التي تتناول منهجيات البحث العلمي والمنهج الكمي، وكل ما يستجد، على صعيد اللغة العربية واللغات الأخرى، وقد ضم هذا العدد ثلاث دراسات في هذا الاتجاه، وهي: (منهج البحث التاريخي عند الدوري) للأستاذ الدكتور احمد عبد الله الحَسُو، و(ملاحظات حول استكشاف المنهج الكمي في دراسة التاريخ الحضاري لدى كل من الدكتور أحمد الحَسُو والدكتور هاشم الملاح)، للدكتور هاشم الملاح، و(توظيف المنهج الكمي لاكتشاف الإمكانيات الشكلية لقضية الموقع في مرحلة البرمجة المعمارية لإعمار مدينة الموصل، للمهندسة فردوس فارس عبد القادر الشالجي).

3. نشر الأدبيات التي تستخدم المنهج الكمي الإحصائي في مجال التاريخ والآثار والتراث واللغة والفنون المعمارية وفروع العلوم الإنسانية الأخرى. وقد تم في هذا الإطار، نشر دراسة كمية تحت عنوان: المظاهر الكمية للرق في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، للأستاذ الدكتور عبد الإله بنمليح، كما نشرت دراسة كمية في مجال تحقيق المخطوطات أشرنا اليها في الفقرة التالية .

4. نشر الأدبيات الخاصة بمنهجيات وتحقيق المخطوطات والوثائق واللقى الأثرية، وقد ضم العدد دراسة للدكتور سوسن الفاخري بعنوان: كتب التراجم وإشكاليات التحقيق- مخطوط (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) لمؤلفه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (831 902- هـ/1327-1495م) "نموذجا"

5. نشر الأدبيات التي تتناول الحضارة العربية الإسلامية والتكوين التاريخي للمجتمعات المنضوية في إطارها، ماضيا وحاضرا ، وبخاصة تلك التي تستخدم المنهج الكمي الإحصائي

6. انطلاقاً مما شخّصه المركز في أولى أديباته، ثم في خطته الخمسية (2021-2026)، من أن الثقافة التاريخية السائدة في عصرنا هذا، تشكلت عِبْرَ إحياءات العقل الجمعي، ومعطيات خلفيات ثقافية وفكرية متباينة، امتزجت فيها الحقيقة مع الخرافة، والصواب مع الخطأ والحق مع نقيضه، وما هو ثابت بالدليل، بما لا دليل عليه، وغلبة ما هو أسطوري على دواعي العقل والمنطق، فإننا نرحب بالأديبات التي تتناول هذه الإشكالية بالدراسة النقدية باستخدام المنهج الكمي الإحصائي.

في ختام هذه الكلمة، أرجو ان يكون ما قدمناه في العدد الأول من مجلتنا، فاتحة تمهد لأعداد قادمة ترسخ لثقافة المنهج الكمي وتقرب المسافات نحو الحقيقة.

وتقبلوا تحيات هيئة التحرير و تحياتي.

رئيس التحرير

بحوث
منهجية
تراثية

210.95

149.16

23.26

1.41%

منهج البحث التاريخي عند الدوري

أ.د. احمد عبد الله الحَسُو

مع أن البحث التاريخي العربي شهد نشاطا ملحوظا إبان القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، إلا أنه ظل في إطار التاريخ السردى بعيدا عن الارتفاع إلى مستوى الدراسة النقدية المنهجية، ولم يتأثر بالنظريات والأفكار التي ظهرت خلال هذه الحقبة وما قبلها في أوروبا، والتي كان في مقدمتها الأفكار التي نشرها المؤرخان الفرنسيان: شارل سنيوبوس Seignobos, Charles وشارل لانجلو Langlois, Charles، سنة 1889 في كتابهما: المدخل إلى الدراسات التاريخية، (1) ثم ما ساد بعد ذلك بعقود عَبرَ مدرسة الحوليات الفرنسية (1929) ممثلة بالمؤرخين الفرنسيين: لوسيان فيفر Lucien Febvre وفرديناند بروديول F. Broudel، ودعوتهما إلى دراسة التاريخ في إطار البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وكل ما يتعلق بالإنسان وأنشطته الحيوية في الزمان والمكان، وبما يخرج من حالة التاريخ السردى الحديث والانتقائي إلى حالة التاريخ الاشكالي، (2) بيد أن هذه الأفكار - مع ذلك - وجدت صداها عند قلة من المؤرخين العرب الذين تأثروا بها، كان الدكتور عبد العزيز الدوري في مقدمتهم، (3) كما هو واضح في أطروحته للدكتوراه التي حصل عليها، من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن سنة 1942م، والتي تحمل عنوان: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، (4) فقد جاءت رائدة في مجال التاريخ الاقتصادي العربي، وخروجاً على ما هو مألوف في الدراسات التقليدية من تركيز على التاريخ السياسي، (5)

وليس من شك في أن توجه الدوري هذا، كان أحد ثمار دراسته في إنكلترا بين سنتي 1939 - 1942م، كما أن معاشته للتطورات التي اكتنفت العالم في النصف الأول من القرن العشرين، وما أعقب الحربين العالميتين من تطورات كبرى، وما قام من حركات قومية ونهضات وطنية وظهور شعوب عريقة على مسرح الأحداث كل ذلك ترك أثره في تشكيل فكره ومنهجيته، (6) وكان في مقدمة ما أثار اهتمامه، مما أفرزته هذه التطورات امران: أولهما تراجع نظرية كانت سائدة قبلها، تزعم أن (محور تاريخ العالم هو الغرب)، وأن (كل تاريخ آخر، هو ممدد للتاريخ الغربي أو هامش من هوامشه)، وأن الحضارة الغربية (ستسود العالم وستطمس الحضارات القديمة الراكدة وأن مصير العالم حضارياً هو التغريب إن عاجلاً أو آجلاً)، وثانيهما ظهور نظرية جديدة ذات وجهتين: (وجهة عالمية... تؤكد على أهمية الحضارات الأخرى مع الحضارة الغربية... تشير إلى اشتباك الحضارات وتبادل التأثير فيما بينها)، ووجهة (موضعية... تؤكد على أهمية دراسة تاريخ الأمة من وجهتها الخاصة جنب النظر إلى التطورات العامة)، ويعني هذا - على حد تعبير الدوري - أن ثمة ضرورة لكتابة تواريخ بعض البلاد من جديد بصورة تتصل باتجاه الوعي الجديد فيها،

وبما (يساعد على فهم نهضتها)، مما تقع المسؤولية الأولى فيه على مؤرخيه (أن يريد أن يفهم بصورة سليمة)، (7)

إن هذا ما بادر الدوري إلى تحمله مسؤوليته، بقدر تعلق الأمر بالتاريخ العربي الإسلامي، فنأدى بضرورة تفهم (النظريات

(1) انظر نص الكتاب مترجماً إلى العربية من قبل: عبد الرحمن بدوي في كتابه: النقد التاريخي (الكويت: ط 4، وكالة المطبوعات، 1981)، ص 14.

(2) عن مدرسة الحوليات، انظر، وجيه كوثري، تاريخ التأريخ، (بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، 2013)، ص 199-207؛ محمد حالي، تطور الديموغرافيا التاريخية في سياق التاريخ الجديد، (دورية كان التاريخية، العدد الرابع والعشرون، يونيو 2014)، ص 28-9.

(3) من أوائل من تأثر بالمدرسة الوثائقية تزامناً مع الدوري، اسد رستم كما هو واضح في كتابه: مصطلح التاريخ (1939)، وحسن عثمان في كتابه: منهج البحث التاريخي (1943).

(4) ظهرت أول طبعة له في بغداد سنة 1948.

(5) ناقش الدكتور محمود عبد الواحد محمود مدى تأثير الدوري بمدرسة الحوليات الفرنسية، في بحثه: (التيارات الفكرية الجديدة: هل تأثر الدوري بمدرسة الحوليات الفرنسية)، انظر نص المقال في الموقع الإلكتروني لمجلة الراصد على الرابط التالي arrafid.ae/187_p5.html

(6) عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ (صدر عن مركز زايد للتراث والتاريخ 1420هـ/2000م)، ص 7.

(7) الدوري، بحث، 97.

والاتجاهات الحديثة في علم التاريخ، للاستنارة بها والاستفادة منها في وضع مناهج تاريخية منبثقة من طبيعة الدراسات التاريخية الإسلامية)، تخدم التاريخ العربي، وتُكَمَّنُ من إعادة كتابته وتضعه في مكانه الطبيعي من التاريخ العالمي. (8)

كان أكبر ما حَفَزَ الدوري للانغمار في توجهه هذا، أن دراسته لمصادر تاريخ العرب الأولية (9) والقديمة (10)، ثم للكتابات التاريخية المعاصرة، أوقفته على إشكالات وتناقضات، بل وتشويه لهذا التاريخ عن قصد أو غير قصد، (11)، مما وَلَدَ لديه شعورا بالأسى، وبخاصة ان كثيرا مما اعتبره مناقضا للحقيقة التاريخية، أصبح ثقافة مقبولةً ومسلماً معتمدةً، بما يعنيه ذلك من أثر سلبي في المجتمع العربي والإسلامي الذي تُشكِّلُ الثقافة التاريخية فيه عاملا مهما وفاعلا في حاضره وفي رسمه لمستقبله.

من هنا فان دراستنا لمنهج الدوري، تقتضي بالضرورة معرفة آرائه بصدد التناقضات والاشكالات التي بنى في ضوءها مشروعه المنهجي لتخليص التاريخ العربي والإسلامي مما اصابه من تشويه، ولوضعه في المسار السليم.

وردت هذه الآراء في كتاب اصدرة سنة 1949 م تحت عنوان: (مقدمة في تاريخ صدر الإسلام)، تضمنت نصوص محاضراته التي كان قد ألقاها على طلبته في جامعة بغداد، بين شتاء 1943 وصيف 1949م، (12) كما ان بعضا من آرائه ورد في مقدمات وثنايا كتبه الاخرى. (13)

ويبدو من (تصديره) للمقدمة المشار إليها، انه كان قد وجد ضالته في طلبته لنشر آرائه بينهم، بما يوحي بانه كان يؤسس لبناء جيل جديد من المؤرخين الشباب يمكن ان يحمل أمانة تطبيق ما كان يدعو اليه. وقد شجعه على هذا ما ذكره هو عنهم، انهم كانوا متجاوبين معه؛ يصغون الى محاضراته بشغف ويكثرون من النقاش ويطيلون الحوار، بل إنه - لحرصه على شدهم الى أفكاره-، اعتبرهم الأَحَقَّ بان تهدي اليهم، فقال : (فكرت في إهداء هذه الصفحات المتواضعة، فلم اجد أحق بها من طالباتي وطالبي) (14)، مما يعني أنهم كانوا أملهم الأساس في إتصال الجهود وإذكاء الحوار، وخلق بيئة ملائمة لاستكمال وتطوير المنهجية والأفكار التي دعا إليها.

الدوري أمام رؤيتين متناقضتين

استهل الدوري آراءه وملحوظاته النقدية بتقديم رؤيتين متناقضتين عن العرب ودورهم التاريخي في صدر الإسلام؛ وردتا فيما ظهر من دراسات تاريخية خلال النصف الأول من القرن العشرين؛ حيث قُدِّمَ العرب في الرؤية الأولى على أنهم: (حين خرجوا من الجزيرة اصطدموا بأمم متفسخة منهاره، فاضمحلّت أمامهم)، وقيل انهم (سكنوا في معسكرات منفصلة ليحافظوا على طابعهم العسكري ولتكون مهنتهم الحرب والجهاد)، وانهم اخذتهم نشوة النصر ونشوة العصبية فاحتقروا من حولهم)، ووصفوا بانهم (بدو أميون فاضطروا الى الاعتماد على غيرهم في الادارة والكتابة وخصوصا في النواحي المالية)، (15) و(سرعان ما خضعوا لحضارة الهلال الخصيب وانجرفوا معها، وانهم اقتبسوا كل شيء من جيرانهم فصارت حضارتهم مرقعة متنافرة) (16). اما الرؤية الثانية فقد قُدِّمَ العرب فيها بصورة مختلفة، إذ وصفوا بانهم اصحاب بثغر رفيع وأدب فياض ونشاط واسع في الاشتغال بالحديث والتفسير والفقه، و(أن الهجرة العربية التي لازمت الفتح دفعت بقبائل بدوية الى أراض حضرية) وان هجرة عربية وهجرات سامية سبقتها، (وانه

(8)الدوري، بحث، 9 - 10.

(9)المقصود بالمصادر الأولية في هذه الدراسة، المادة التاريخية التي قدمها الاخباريون والنسابون وغيرهم والتي افاد منها الطبري وغيره من المؤرخين القدماء.

(10)المقصود بالمصادر القديمة في هذه الدراسة كتابات الطبري والمسعودي ومن اعقبهما من المؤرخين.

(11)الدوري، مقدمة، 11.

(12)عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، (بغداد منشورات مكتبة المثنى 1949)، ص. 6 - 32.

(13)الدوري، بحث، 119-؛ مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي (بيروت، دار الطليعة، 1968)، ص. 5-6؛ التكوين التاريخي للامة العربية، دراسة في الهوية والوعي، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1984)، ص. 9 -11.

(14)الدوري، مقدمة، 3.

(15)الدوري، مقدمة، 6.

(16)الدوري، مقدمة، 6-7.

كان في الهلال الخصيب مجموعات من العرب عاشت طويلا وتأثرت بالحضارات الأخرى ولاسيما السامية منها)، وان (المَوْجَة الى هذه المَوْجَة كان قريشا ؛ تلك القبيلة التي انجبت زمرة لامعة من العبقريات في السياسة والقيادة والهاء والفقہ والأدب) ، ومع ذلك يقولون (ان قريشا قبيلة بدوية) .(17).

كان هدف الدوري وراء اختياره لهاتين الرؤيتين، ان يثير الأذهان الى ما فيهما من أحكام متنافرة، يناقض بعضها بعضا، والى ما تعكسانه من خلل في المعلومات وفي المنهج، وهو ما عبرت عنه تساؤلاته التي قال فيها : كيف تعطي قبيلة قريش المكانة المُنَوَّه عنها آنفا، ثم تقدم على أنها قبيلة بدوية ، وكيف يفسر احتقار العرب لمن حولهم ، ثم تأثرهم بهم بهذه السرعة الغربية، وكيف يوصف العرب بانهم أميون ، مع ان من يقول بذلك (يروي ... ان الشاميين وحدهم رفعوا في صفين خمسمائة مصحف يطلبون التحكيم...)، وكيف يصح تجاهل (محاولات الرسول والصحابة لنشر التعليم الذي بدأ في مسجد المدينة، وبَنَّةُ الخلفاء في كل جهة من الجزيرة)، واين هي مكانة اولئك الذين توجهوا (... نحو العلوم الدينية من دراسة لحديث الرسول وحفظ للقرآن وتفسيره، واهتمام بالتشريع للاوضاع الجديدة التي قابلوها في الهلال الخصيب والبلاد المفتوحة، واهتمام بالشعر والعربية) ، واين هي مساهمة الصحابة وبنائهم (ممن نشأ بالمدينة وثقف على يدي الرسول الأعظم ((ص)) او على تلاميذه ؛ وعامتهم من العرب بينهم العدد الضئيل من مواليهم الذين نشأوا بينهم وثقفوا بثقافتهم ...) (18).

ويلاحظ ان الدوري، في عرضه لهذه التناقضات، واختيار نصوصها من حقبة صدر الإسلام، انما اراد ان يقدم نموذجا لما يكتنف تاريخ العرب من اشكالات في مراحلها المختلفة، وهو ما عبر عنه بقوله: ان تاريخ العرب المدون (يشكو من أدواء خطيرة؛ بعضها قديم، وبعضها يتصل بطريقة كتابته الآن) (19) :اي ان الخلل - في نظره - ذو شقين ؛ قديم يتعلق بالمصادر التاريخية الأولية والقديمة، وحديث يتعلق بالدراسات التاريخية المعاصرة للحقبة التي كتب خلالها ملحوظاته النقدية، وهذا ما سنتناوله في الصفحات التالية.

إشكالية المصادر الأولية والقديمة

على الرغم من أن الدوري أشاد بما دونه المؤرخون القدماء: تحريراً، وتدقيقاً ومحاولةً ضبطاً لمادتهم التاريخية، وانهم فاقوا في ذلك كثيرا من مؤرخي الأمم الأخرى،(20) الا أنه انتقد الآلية التي اعتمدها في جمعهم للروايات التي استقوها من الرواد الاوائل قبلهم (الاخباريين والنسابيين والمؤرخين الخ...)، فقد اكتفوا بالتركيز على تدوينها كما وصلت اليهم، وتجاوزوا قواعد منهجية كانت معروفة في عصرهم ؛ ونعني بها منهجية علماء الحديث الذين اعتمدوا اسلوب الجرح والتعديل في التعامل مع أحاديث الرسول (ص)، مما مَكَّنَهُم من (تمييز الموضوع منها من الصحيح و صنفوا الأحاديث الى صحيح وحسن ومقبول وضعيف وموضوع).

ان عدم اخذ المؤرخين القدماء بهذا المنهج جعل مادتهم التاريخية تتضمن روايات يختلط فيها الصواب بالخطأ، والاصيل بالموضوع. وقد اورد الدوري نموذجا لهذا الخلل المنهجي بما انتهجه الطبري في تاريخه، فذكر انه استقى مادته عن صدر الإسلام من مجموعة كبيرة من المؤرخين وغير المؤرخين الذين سبقوه (21) دون ان يخضعهم، وما قدموه من روايات للجرح والتعديل، مع انهم: (يتباينون في الدقة والاتجاه، والاسلوب، وفي طريقة الرواية، وكل منهم يحتاج الى دراسة تاريخية خاصة). (22)

وفي نموذج آخر يتعلق بنصوص من سيرة ابن اسحاق وردت في المصادر القديمة دون تحقق من مدى صحتها، قام الدوري بإخضاعها للنقد فتبين أن روايات ابن اسحاق واخباره متباينة في الاهمية، بين عنصر تاريخي متين وآخر (مأخوذ

(17)الدوري، مقدمة، 7.

(18)الدوري، مقدمة، 7-8، وانظر في الصفحات: (8-11) تساؤلات وتعقيبات اخرى للدوري تحرى فيها توضيح ابعاد التناقض بين الرؤيتين.

(19)الدوري ، مقدمة، 11.

(20)الدوري، مقدمة، 11.

(21)المقصود بذلك: ابا مخنف، وسيف بن عمر، وابن الكلبي، وعوانة بن الحكم، ونصر بن مزاحم، والمدائني، وعروة بن الزبير، والزهري، وابن اسحق، والواقدي، ووهب بن منبه، وكعب الاحبار، وغيرهم، انظر، الدوري، بحث، 9.

(22)الدوري، بحث، 10.

من القصص الشعبي الذي يغلب عليه عنصر التسلية او التقوى او الفخر مع كثير من الشعر الموضوع. وقسم ثالث يرجع الى الاسرائيليات والى قصص وهب بن منبه واخباره في فترة ما قبل الإسلام خاصة. (23)

يتضح من هذين النموذجين ان اية دراسة جادة لهذه السيرة، لا يصح ان يُعَوَّلَ فيها على الروايات كما جاءت في المصادر القديمة التي لم تميز بين العناصر الثلاثة المذكورة وما فيها من تباين في القيمة والاهمية، وهو امر ينطبق على اية حالة اخرى تحمل الاشكالية ذاتها.

وقد قدم الدوري أمثلة اخرى فيما يخص السيرة النبوية قبل ابن اسحق وبعده، وذكر عناصر القوة والضعف فيها والتي توصل اليها بعد دراسة لأصولها ونقد تاريخي للروايات الواردة فيها، وهو أمر ما كان ليتضح لولا دراسته النقدية لها. (24)

لم تقتصر نتائج هذا الخل المنهجي في المصادر القديمة على قبول الروايات دونما تجريح وتعديل لها، ودون تحقق من صحتها، بل تعداها ليكون بمثابة نافذة استغللتها الاتجاهات الحزبية والدينية والفرق المختلفة، فعبثت بالروايات وأضفت عليها ما يؤيد وجهة نظرها؛ ومن ذلك (تصويرها لبداءة الجاهلية بصورة الفوضى والانحطاط الخلقي والاجتماعي)، (25)، كما ان الشعوبيين (26) استغلوا هذه الثغرة فوضعوا الروايات، وشوهوا (آثار العرب وتاريخهم، ونسبوا الى دول الفرس - القديمة خاصة - ما لا يقره التاريخ من مدنية وآثار، ولم يقتصروا على التاريخ بل تناولوا الأدب)، مما جعل الدوري يعتبرهم اخطراء أفسد التاريخ الإسلامي، وعصف (... بالحياة الفكرية في عصر التدوين) (27).

إشكالية الدراسات التاريخية المعاصرة

ترجع إشكالية الدراسات التاريخية المعاصرة - كما يراها الدوري- الى ثغرات في المنهجية التي اعتمدها مؤلفوها، مما يمكن حصره في الجوانب التالية:

1 - بنى المؤرخون المُخَدِّثون رؤيتهم التاريخية على ما ورد من روايات في المصادر القديمة التي سبقت الإشارة الى ما فيها من خلل، دونما تمحيص وبحث عن روايتها وعن مدى موثوقيتها؛ سندا ومضمونا، وهو ما اعتبره الدوري (حسن نية في غير محلها)، لانه أدى الى تثبيت ما اقحمته الأحزاب والفرق الدينية والحركة الشعبوية من عبث بالتاريخ وتشويه له، والى إظهار ما هو موضع جدل، بمظهر ما هو مؤكد. (28)

2 - لم تعكس الكتابات التاريخية المعاصرة احاطة كاتبها بكل ما هو متوفر من المصادر ذات العلاقة ببحوثهم، والتي تقتضي الضرورة المنهجية الرجوع اليها، وقد جرَّهْم هذا الى بناء رؤيتهم التاريخية على مصادر محدودة، والى تجاهل طائفة واسعة اخرى، تزخر بالموضوعات الاجتماعية والاقتصادية مثل كتب القصص التاريخي وبعض كتب الأدب وكتب السير والوفيات، وكتب الجغرافية والرحلات وغيرها، بما يعنيه هذا من تغييب لمادة تاريخية واسعة، وصفها الدوري بانها كنز (ثمين مليء بالمعلومات الطريفة لمن يريد الكشف عن التطورات الاجتماعية والاقتصادية). (29)

3 - أظهر عدم تفقه بعض المؤرخين بالمصادر ونوعها ودلالاتها التاريخية، الى تحميلها ما لم تقله، كما هو الحال مع مع بعض الباحثين الذين رجعوا الى كتب الفقه للإفادة منها في بحوثهم عن النظم، فأخذوها على ظاهرها وحكموا

(23) الدوري، بحث، 11.

(24) الدوري، بحث، 10-11.

(25) الدوري، مقدمة، 11، 12.

(26) عرف الدوري الحركة الشعبوية، بانها (حركة ثقافية اجتماعية قام بها غير العرب، وخاصة الفرس، وقد حاول هؤلاء نقل التراث الايراني الى المجتمع العربي الاسلامي ساعين الى طبع المجتمع بطابعهم الحضاري القديم، وعملوا على التقليل من شأن العرب والزراية بثقافتهم التي ازدهرت بالاسلام، والدعوة الى نبذها واطراحها، وقد ساهم في الحركة ادياء وشعراء، وكان لكتاب الدواوين من الفرس دور يذكر في هذه الحركة)، انظر، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص 65.

(27) الدوري، مقدمة، 12، وانظر في الصفحات: (13-20) تساؤلات وتعقيبات عديدة اخرى له، قدم فيها نماذج لمحاولات الشعبوية تقديم صورة مشوهة عن تاريخ العرب في العهد النبوي ثم العهد الراشدي والعصر العباسي، وانظر، الدوري، بحث، 10.

(28) الدوري، مقدمة، 19-20.

(29) الدوري، مقدمة، 27.

(بان النظم سارت وفق هذه الدساتير او ان النظريات بدأت وفقها واستمرت كذلك)، في حين ان من يتعمق فيها وفي خلفياتها ويدققها ، سيتضح له، انها تصور دساتير النظم المختلفة بشكل مثالي، وليس بحقيقتها العملية . وسيتضح له، انها- اي الدساتير- لم تكن موجودة عند بدء النظم، وانما كتبت متأخرة بعد خبرة طويلة مرت بها المؤسسات فوضعت لِيُتملَّ خلاصة الخبرة والتجارب؛ مهذبة مرتبة، ومرفوعة الى الصورة المثالية التي تعرفها كتب الفقه)، المعنية بالتفكير السياسي او المالي او الاجتماعي. (30)

4 - انتقد الدوري قيام بعض المؤرخين بدراسة تاريخ العرب مجزءا الى تاريخ سياسي، وتاريخ ثقافي، وتاريخ اجتماعي وتاريخ ديني وتاريخ اقتصادي، واعتبره اسلوبا (لا يستند الى أساس)، في حين ان الأوضاع (السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية) مشتبكة يؤثر بعضها في بعض، ويتأثر بعضها ببعض. إن هذا النوع من التقسيم (يفصل نتائج البحوث بعضها عن بعض، فيجعلها كلها مبتورة او متناقضة)، ويظهر التاريخ (سلسلة فترات متقطعة لا ارتباط بينها)، (فتخفى على الباحث ملاحظة العوامل المستمرة والتيارات الخفية التي تكمن وراء الحوادث في حين أن الحوادث هي نتائج لتلك العوامل والتيارات). (31)

5 - ويرد في السياق ذاته نقد الدوري للدراسات التاريخية التي تناولت تاريخ العرب بحسب الأسر الحاكمة او بحسب حاكم بعينه، إذ رأى في ذلك ابتعادا عن النظرة الشمولية للتاريخ، واختزالا لدور الأمة- بما يكتنفه من تحولات وظواهر تاريخية ومقدمات سبقتها او تلتها - في أظُر ضيقة ومحدودة؛ زمانا ومكانا، تتجاهل المدى الفعلي الذي تحركت فيه الاحداث؛ ولادة وتطورا وتأثيرا وتأثرا، (32) ثم ان من الطبيعي أن يركز هذا النوع من الدراسات على الأسرة الحاكمة او على شخص حاكم معين، وسيكون من النادر ان (يشار الى الأمة او الى الشعوب المحكومة، وبذلك يظهر التاريخ سلسلة فترات متقطعة، لا ارتباط بينها، فالراشدون يمثلون التقوى، والسير على الشريعة مثلا، والأمويون اغتصبوا الخلافة وجعلوها ملكا، والعباسيون حملوا لواء الدعوة الى الحكم الشرعي فساروا على أساس الدين والقوة، واستأثروا بالحكم وجاؤا بدولة جديدة او عصر جديد)، (33) في حين ان (لكل خليفة شخصيته وميوله وأهواؤه، وبذلك لا تقتصر التجزئة على عصور الأسر)، بل تتعداها الى (اجزاء العصور أو الفترات التي يحكم فيها كل خليفة)، إضافة الى ان اسلوب التجزئة هذا، قد ينسب (ما حصل مؤخرا الى الأولين، فتصور إدارة العباسيين مثلا مختلفة كل الاختلاف عن ا

إدارة الأمويين، وتصور التطورات التالية كأنها كانت موجودة من البداية، وكذلك يؤكد الانطباع الذي يعطيه الخليفة في آ خر سبنيّه ويسجل وكأنه وجد من بدأ حكمه، وكأن الخبرة والتجارب والظروف المحلية لا أثر لها، وهكذا تؤكد الخطوط الفاصلة وتوسع، فيظهر التاريخ ممزقا مقطوع الأوصال، فتخفى على الباحث ملاحظة العوامل المستمرة والتيارات الخفية التي تكمن وراء الحوادث، في حين ان الحوادث هي نتائج لتلك العوامل والتيارات. (34)

6 - أخذ الدوري على المؤرخين العرب أنهم (يهملون أثر الزمن وما يصحبه من تطور، وينسبون الكثير من التطورات التي احتاجت الى وقت طويل الى اشخاص سابقين)، وقد أورد امثلة على ذلك ومنها أن بعض المؤرخين نسبوا تنظيم الجزية والخراج الى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (في حين ان البحث يدل بوضوح على ان هذا... لم يحصل الا في زمن عمر بن عبد العزيز) كما أن البعض نسب الدعوة العباسية الى جهود ابي مسلم الخراساني... في حين ان الدعوة كانت

تبث منذ زمن يزيد على ربع قرن قبل مجيء ابي مسلم) (35)

7 - لم تقتصر ملاحظات الدوري النقدية على الكتابات التاريخية التي دونها المؤرخون العرب، بل شمل ذلك كتابات الغربيين عن تاريخ العرب وحضارتهم، فذكر ان اصحابها نشأوا (في ثقافات اخرى، وفي بيئات غريبة، ومن المنتظر ان

(30)الدوري ، مقدمة، 26 - 27.

(31)الدوري، مقدمة، ص 6.

(32)الدوري، مقدمة، ص 22 - 23.

(33)الدوري ، مقدمة، 22.

(34)الدوري ، مقدمة، 23.

(35)الدوري ، مقدمة، 21، 20.

تتأثر مؤلفاتهم بالاتجاهات القائمة في تلك الثقافات والبيئات) وقال: (ومع ان بعضها خدم الدراسات التاريخية، الا ان بعضها الآخر جاء بآراء او اتجاهات غريبة قبلناها مبدئياً)، ولا بد من اعادة النظر فيها جذريا. (36)

منهج الدوري في كتابة التاريخ

يتضح مما عرضه الدوري من إشكاليات تخص التاريخ العربي والإسلامي والتي تحدثنا عنها آنفا، أنها في جوهرها منهجية، وان مسؤولية ذلك تقع على عاتق المؤرخين القدماء من جهة، وعلى المؤرخين المُحدّثين من جهة أخرى، وانها تعكس خلا وتشويها كبيرين لهذا التاريخ، وهذا ما حاول الدوري معالجته بالدعوة الى اعادة كتابة التاريخ بموجب مرتكزات اعتمدها، ومنهجية حددها، مما يمكن حصره بالمرتكزات التالية :

1- اجراء دراسات نقدية لنشأة وتطور الكتابة التاريخية

بهدف توفير قاعدة صلبة تُمكّنُ (الباحثين من فحص مصادرهم التاريخية وتمييز القوي من الضعيف، والأول من التالي، والأصيل من الموضوع و الروايات التاريخية من القصص)، وتكشف عن (عوامل الوضع والارتباك في الكتابة التاريخية، من اثر التيارات السياسية والحزبية، الى دور القصص فيها، الى أثر الشعوبية، الى المؤثرات الدينية)، وتُخَلِّصُ التاريخ (من الشوائب التي لحقت به في الماضي والحاضر) (37)، دعا الدوري الى الالتزام بخطوة اعتبرها لازمة ومتقدمة على اية خطوة اخرى ؛ ونعني بذلك دعوته الى اجراء دراسات نقدية لنشأة الكتابة التاريخية عند العرب ومن ثم لتطورها عبر العصور: فَهْمًا للسباب والدوافع، وتعرفا على مدى تأثرها بالتطورات العامة، وعلى ما تمخض عنها من اتجاهات وآراء تاريخية، وتقييما لدور ومكانة من يقف وراءها من المؤرخين ومن هم في عدادهم من الاخباريين والنسابين وغيرهم، ومعرفة اتجاهاتهم وآرائهم واسلوبهم في تمحيص الروايات وفي الكتابة، ونظرتهم الى اهمية التاريخ ودوره. (38)

2 - هيكله المادة التاريخية الواردة في المصادر القديمة

في خطوة تالية للخطوة السابقة ومكملة لها، دعا الدوري الى: (إعادة تصنيف المواد التاريخية ... وبخاصة للقرون الثلاثة الأولى للهجرة بإرجاعها الى أصولها)، والحصول على هيكل تقريبي لها، لأن (المؤلفات التاريخية الأولى لم تصل ... كاملة)، بل وصلت على شكل (مقتطفات مبعثرة في تواريخ تالية) منسوبة الى أصحابها، ودون الإشارة الى الكتاب الذي أخذت عنه الا نادرا، وهو امر يرضع الباحثين في موضع (لا يخلو من الافتراض والتخمين) لمعرفة المصدر. (39)

ومع ان الدوري كان مدركا ان هذا الجهد قد لا ينتهي الا الى (خطوط عامة قد تكون مترابطة او غير مترابطة بالنسبة للمؤلفات التاريخية، بيد انه اعتبر اية دراسة للتاريخ العربي غير ممكنة (دون هذه المحاولة ودون اعادة تصنيف المادة التاريخية حسب اصولها، والا اختلط التاريخ بالقصص والأدب، ووضعت الروايات المبكرة والاخبار المتأخرة في صعيد واحد لا يقره منطق التاريخ او اسلوب البحث التاريخي). (40)

3 - الإحاطة بالمصادر والتفقه بها

لغرض تقديم صورة متكاملة تتضح معها (الشخصية العامة للأمة)، دعا الدوري الباحثين الى الإحاطة بمصادر بحوثهم التاريخية، إحاطة تامة، فلا يكتفون بالبعض دون الكل، ولا يُعَلِّبُون مصدرا على آخر، ودعاهم الى ان يأخذوا بنظر الاعتبار الى جانب المصادر التاريخية، المصادر الأدبية والفقهية وكتب السير والوفيات وكتب الجغرافية والرحلات والشعر والآثار الفنية التي قال عنها، بأنها كنز ثمين لا يقل اهمية عن المصادر التاريخية. ونوه الدوري بأهمية القصص التاريخي (كنشوار المحاضرة للنوحي، والأساطير الشعبية نظرا لأهميتها (في الكشف عن عقلية السواد الاعظم من الأمة

(36)الدوري ، بحث، 9.

(37)الدوري ، بحث، 12.

(38)الدوري ، بحث، 12.

(39)الدوري ، بحث، 12-13.

(40)الدوري ، بحث، 12-13.

وبعد نظرهم ... ونوع تفكيرهم)، (41) كما دعا الى ضرورة تفكيك مادة هذه المصادر، والتفقه بها، وفهم دلالاتها، ووضعها في اطارها الزمني والمكاني، وقدم نموذجا لذلك، مطبقا على كتاب (الف ليلة وليلة) الذي وصفه بانه (كنز ثمين يكشف عن تطور العقلية الشعبية في البلاد الإسلامية في مختلف عصورها...) فدعا الى ان ينظر اليه (كالبصلة تتألف من طبقات من الوراق... لا يمكن فهمها بالنقب على الفسيلة الداخلية بمخصف التاريخ، بل ان نبدأ بالقشر الاخير، ونرفع قشرا قشرا حتى ننفذ الى الداخل، ويكون ذلك بمحاولة مقابلتها بكتب الأدب والقصص التي كتبت في مختلف العصور، مبتدئين بالحديث راجعين تدريجيا الى القديم، وبذلك فقط نستطيع معرفة تطور الف ليلة وليلة، وتطور العقلية الشعبية). والواقع ان دعوة الدوري الى ضرورة تفكيك مادة المصادر، والتفقه بها، وفهم دلالاتها، ووضعها في إطارها الزمني والمكاني، يُدكّر بقواعد المنهج الكمي الإحصائي واستخداماته في الدراسات التاريخية. يؤيد ذلك، منحه صفة (الأصالة) لثلاث دراسات تاريخية استخدم فيها المنهج الكمي الإحصائي، وكانت قد أحيلت اليه للتقييم سنة 1992، كما صرح بذلك لكاتب هذه السطور في إحدى لقاءاته معه، وكنت أطلعت على رسالة ماجستير لأحد طلبتي استخدمت المنهج ذاته، فلما وجد عديدا من الجداول الإحصائية تصفحها بدقة ثم قال: انه منهج سليم، ولكن العبرة بالغوص في دلالات هذه الإحصائيات وتحليلها. (42).

4 - نقد المصادر

اعتبر الدوري أن من مستلزمات الدراسة المنظمة للتاريخ، الابتداء بنقد المصادر لمعرفة اصولها من جهة، وميول مؤلفيها وخلفياتهم من جهة أخرى، كما دعاهم الى إخضاع الروايات المستقاة منها في بحوثهم الى عملية نقدية وفق المرتكزات التالية: (43)

الشك في كل رأي وفي كل خبر ضرورة للبدأ الصحيح.

اسناد كل ما يؤخذ منها من معلومات الى مصدره، لكي تتوضح قيمة المعلومات ودقة الأصول. (44)

ج - عدم التقيد برأي او التسليم باستنتاج الا إذا أمكن اختبار صحته من المصادر. (45)

د - ضرورة التريث بقبول الروايات المتواترة والخبر المتكرر وروده في عدة مصادر، لأن ثمة احتمالا ان تكون مستقاة من مصدر واحد، وان هذا المصدر، قد يكون مدلسا او ضعيفا (46)

د - ضرورة التريث بقبول ما تجمع عليه المصادر، فقد يكون فيها (ما يبعث على الريبة احيانا) (47)

5 - تشخيص وتحليل الظواهر والتيارات

نظر الدوري الى البحث التاريخي على انه نقد وتحليل وربط واستنتاج ، وليس سردا للحوادث، بل انه صرح بعجزه : (عن تصور التاريخ هيكلا جامدا ليس فيه الا العظام) (48)، ودعا الى ان تتعدى دراسة التاريخ (... النظر في الجزئيات الدقيقة الى دراسة الاتجاهات وتحليل التيارات) والظواهر والتطورات، ومن ثم متابعتها في مسارها، مؤثرة ومتأثرة

(41)الدوري ، مقدمة، ص27.

(42)الدوري ، مقدمة، 29، تعتبر منهجية الدكتور عبد العزيز الدوري، مرجعية أساسية من مرجعيات مركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية الذي أنشئ في بريطانيا سنة 2011 م .

(43)الدوري ، مقدمة، 27-28.

(44)الدوري ، مقدمة، 28.

(45)الدوري ، مقدمة، 29.

(46)الدوري ، مقدمة، 29.

(47)الدوري ، مقدمة، 29-30.

(48)الدوري ، مقدمة، 32 .

عبر مساحة تستوعب حركتها في زمن متصل يبقى مفتوحا ما دام تأثيرها قائما، (49) ودعا الى ضرورة البحث عما وراء الظواهر والأحداث من عوامل أدت إليها، وضرب أمثلة على ذلك فقال بان (عوامل حروب الردة لم تكن من تكوين أبي بكر وسقوط الدولة الأموية لم يكن ناتجا عن ضعف مروان الثاني، وقيام الدولة العباسية لم يكن بجهد أبي مسلم او بجهد أبي العباس)، ولا يتجاهل ذلك (الا من اختلطت عنده ظواهر الأحداث بأصول التطور، ومن عد العرض جوهرًا، فللظروف وللتطورات أحكامها وتأثيراتها التي قد تتجاوز كل جهد يبذله الفرد، وتكتسح كل محاولة لإيقافها، وبعد ذلك قد يكون في تصرفات الأفراد ما يساعد على التطور، وبعقريتهم تتضح في مدى إدراكهم للأوضاع وفي القدرة على التوجيه أو المعالجة) (50)

6- دراسة التاريخ في إطار نظرة شمولية

مع قناعة الدوري بان (النظرة الشاملة الى التاريخ لا تخلو من تبسيط، او تعميم يورث نقدا...) فانها تبقى في نظره (من أهم عناصر الأسلوب التاريخي، اذا نظر الى التاريخ مجرى متصلًا، واذا أُريدَ له ان يسهم في توضيح رؤى المستقبل) (51)، وهذا ماتبناه وتحمس له، بل إنه اصبح بمثابة حجر الزاوية في منهجيته، وان من يقرأ كتاباته ويربط بعضها ببعض يقف أمام حلم كان يراوده، وهو ان يدرس تاريخ الأمة ضمن هذا المنظور، وهذا هو ما جعله لا ينسجم مع الدراسات التي تقدم التاريخ في أُطرٍ مجتزأةً سياسيا او ثقافيا، او مقتصرة على عهد حاكم او أسرة حاكمة كما سبقت الإشارة اليه .

كان الدوري مقتنعا بان ما في التاريخ من عوامل الاتصال والاستمرار ما يجعل التجزئة غير ممكنة، وما يجعل كل فترة متممة لما قبلها ونتيجة طبيعية لظروفها فالعوامل الجغرافية: من موقع ومناخ وحاصلات وثروات طبيعية) الى جانب (العناصر البشرية للسكان والاتجاهات الثقافية والاساطير والتقاليد والعادات والروح العامة التي تكونت على مر الزمن، كلها عوامل تضمن الاستمرار وتمنع الانقطاع باية حال من الاحوال، اما التبدلات السياسية... فانها حين تفحص تظهر نتائج لتبدلات داخلية وتطورات هامة خفية...) (52) لذا كان من الضروري ان تعالج (الفتريات المختلفة معالجة متصلة دون تجزئة، لتظهر نواحي الاستمرار والنمو وتفهم الأمة في تدرجها -لا في تاريخ الأفراد والأسر- وان نحيط بها من نواحيها المختلفة التي تمثل الفعاليات الاجتماعية والاقتصادية والدينية)، لنقدم للقارئ فكرة شاملة، وليفهم الشخصية العامة للامة باكمل صورة، وبذلك تكون الصورة منسجمة لا مجموعة اشلاء مبعثرة). (53)

7 - الدعوة الى تحقيب يستند الى المفاصل الاساسية في تاريخ العرب

دعا الدوري الى تحقيب جديد للتاريخ العربي الإسلامي يأخذ بنظر الاعتبار (... طبيعة الحركة التاريخية، وقيام أوضاع وظروف تشعر بالانتقال من حالة الى اخرى، وفق نظرة شاملة الى هذا التاريخ)، (54) وانتقد اولئك الذين نظروا اليه من خلال ثقافات أخرى واعتمدوا في دراستهم له فترات التاريخ الأوربي (قديم، وسيط، حديث، معاصر)، كما انتقد الكتاب الغربيين الذين اعتادوا (ان يقيسوا كل ظاهرة وتطور بموجب المفاهيم والمؤسسات الغربية)، فقال: لقد (أصبح واضحا الآن ان هذا المنهج غير دقيق وغير مقبول، بل ان المفاهيم والمؤسسات، لا ترسخ او تدوم في اية بيئة بالاقتراب وحده، بل لابد من ان تكون هناك اصول ومقومات في تلك البيئة...) (55)

الدوري وتطبيقاته للمنهج الذي دعا اليه

سبق القول ان أول اشهار لدعوة الدوري، لإعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي وفق منهجية جديدة، كان سنة 1949،

(49) الدوري، مقدمة 32.

(50) الدوري، مقدمة، 60.

(51) الدوري، التاريخ الاقتصادي العربي، 6.

(52) الدوري، مقدمة 23- 28.

(53) الدوري، مقدمة 28، وانظر الفصل الثاني عشر من كتابه: أوراق في التاريخ والحضارة، الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية سنة 2009 م، ص. 245 - 263.

(54) الدوري، بحث، ص 9

(55) الدوري، بحث، ص 9؛ وانظر الفصل العاشر والفصل الحادي عشر من كتابه: أوراق في التاريخ والحضارة، ص. 215 - 245.

فهل يعني هذا انه كان على منهج غير الذي دعا اليه قبل هذا التاريخ؟

بدراسة ادبيات الدوري قبل التاريخ المشار اليه، يتضح انها تعكس نزوعا نحو التجديد وخروجا على أسلوب التاريخ السردي المعمول به في الدراسات التقليدية، وهذا ما يلاحظ في أول مؤلفاته، ونعني به اطروحته للدكتوراه: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري التي انجزت سنة 1942؛ فقد ركز فيه على الجانب الاقتصادي، وهو توجه جديد كان له السبق فيه.

ومع انه في كتابه الثاني: (العصر العباسي الأول)، الذي صدر سنة 1945، لم يكن يريد ان يعالج موضوعاته معالجة تقليدية كما يتضح من قوله فيه: (لست من يستحسن جعل التاريخ مجموعة دراسات لحياة الخلفاء المختلفين، بل ارى ان تلاحظ التيارات والاتجاهات العامة التي تسيطر على مجرى الحوادث، مع مراعاة الادوار التي يلعبها الوزراء والخلفاء في الفترات المختلفة)، الا أنه - لسبب او لآخر - تناوله بحسب عهود الخلفاء الذين حكموا خلاله، بيد ان دراسته فيه عكست منهجا تحليليا ومتابعة للتيارات والاتجاهات، بما خلص الى صورة شاملة عن هذا العصر تربطه بما قبله وتمهد الى ما بعده . (56)

ويمكن ان نلاحظ ذات النهج في كتابه الثالث (دراسات في العصور العباسية المتأخرة) الذي صدر سنة 1945م، فقد ركز فيه الى جانب حديثه عن خلفاء بني العباس، على (التطورات الكبرى وعناصر التشابه دون الدخول في تفاصيل جزئية، ثم درس العوامل الجغرافية: اقتصادية وطبيعية، والتركيب السكاني والاضاع الاجتماعية والحياة الفكرية في تكوين الظاهرة التاريخية في عصر دراسته، ثم عالج بعد ذلك افرازات التطور الحضري خلال العصور العباسية المتأخرة حتى نهاية الفترة البويهية...) وهو ما تجلى (... في معالجته الحركات السياسية المناهضة للخلافة...) ووضعها (في موضعها من خط التطور العام للتاريخ الإسلامي، ووضح انها لا تظهر نتيجة لفعل شخص بعينه وانما تكون تيارات هامة فاعلة عندما تواتيها الظروف... لقد حاول الدوري في كتابه هذا، فهم العوامل والتيارات الظاهرة والخفية التي صنعت الحوادث وشكلت الشخصيات، في سلسلة مترابطة توضح مسيرة التطور واتجاهاته في العصور العباسية متكاملة). (57)

ذلكم هو ما كان عليه فكر الدوري خلال السنوات السبع التي سبقت اعلانه لمشروعه المنهجي سنة 1949، فما هي خطواته في تنفيذ ما دعا اليه بعد هذا التاريخ؟

لم يكتف الدوري بتقديم افكاره وتصورات عن المنهجية التي يجب ان تستخدم في كتابة التاريخ العربي الإسلامي، وهي التي تحدثنا عنها في الصفحات السابقة والتي تضمنتها رسالته الأولى المعنونة (مع المؤرخين) ضمن كتابه: (مقدمة في تاريخ صدر الإسلام)، بل حرص على ان يقدم في الوقت ذاته نموذجا طبق فيه المنهجية التي دعا اليها في رسالة ثانية له عنوانها: (نظرة شاملة الى صدر الإسلام) والتي نشرت في المقدمة نفسها، وقد تناول فيها احداث حقبة طويلة تبدأ بما قبل الإسلام وتستمر حتى بدايات النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ضمن نظرة تحليلية شاملة، وبأسلوب مختلف كلياً عما هو معتاد في الدراسات التقليدية، فقد ابتداء بدراسة التفاعل المتبادل بين الانسان العربي وبيئته الجغرافية من جهة ومحيطه الحيوي من جهة اخرى؛ تأثيرا وتأثرا، وتطورا، منطلقا من مبدأ اعتمده وهو (ان تاريخ امة ما لا يمكن فهمه دون فهم بيئتها الطبيعية) وان (الحضارة عامة تتكون نتيجة تفاعل بين الانسان والبيئة بمظاهرها ونواحيها المختلفة، ويكون تحكم البيئة الطبيعية قويا في المجتمعات الأولية خاصة، كما ان المجتمع يؤثر هو ايضا ويؤدي الى تطورات جديدة، وهكذا تتبادل التأثيرات وتتوالى، وتساعد على التطور بالمعنى الشامل)، (58)

وقد تابع الدوري هذا النهج التحليلي في رسالة ثالثة تحت عنوان (تطور المجتمع العربي في صدر الإسلام) والتي نشرت في الطبعة الثانية من المقدمة آنفة الذكر، فقد جاء في مقدمتها انها معنية بتقديم (صورة شاملة لتاريخ صدر

(56) حسين كسابية، بعض اسهامات الدوري في التاريخ العباسي، في: ندوة عبد العزيز الدوري، انسانا ومؤرخا ومفكرا، (مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، 1999) ص 30

(57) كسابية، 32-33..

(58) الدوري، مقدمة، 33

الإسلام بخطوطه الأساسية وبما تخلله من تيارات كبرى واتجاهات عامة (59).

وجاء كتابه: بحث في نشأة علم التاريخ (صدر سنة 1960 في بيروت)، تطبيقاً لاهم مرتكزات منهجيته التي دعا فيها إلى ضرورة توثيق وتصنيف مادة المصادر الأولية والقديمة، وإعادتها إلى أصولها وتنظيم هيكل تقريبي لها، وقد تضمن الكتاب خمس رسائل تناول فيها موضوعات لم يسبق طرحها من قبل، تناول في الرسالة الأولى: (نشأة علم التاريخ وتطوره حتى نهاية القرن الثالث الهجري) أظهر فيه (الخيوط العامة لتطور الموضوع)، أما الرسالة الثانية فقد تناولت نشأة مدرسة المدينة، في حين تناولت الرسالة الثالثة (وهب بن منبه بصفته قاصاً وإخبارياً تغلب عليه القصص) وتناولت الرسالة الرابعة نشأة مدرسة التاريخ في العراق، أما الرسالة الخامسة الدوافع فقد عرض فيها العوامل التي أدت إلى نشأة علم التاريخ عند العرب، وإلى الآراء والأفكار التاريخية التي أرادوا التعبير عنها وضمونها مؤلفاتهم). (60)

وفي إطار دعوته إلى كتابة تاريخ شامل للأمة، كتب الدوري كتابه (مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي) منطلقاً من ثلاث قناعات كان مؤمناً بها، أولها أن (فهم خبرات الأمة وتتبع سيرتها التاريخية، ضرورة أولية لوعي الحاضر وبداية لازمة للانطلاق إلى المستقبل) وثانيها أن (...التاريخ الاقتصادي لامة ما، يمثل جانبا حيويا من خبرتها التاريخية، وأساسا لفهم الكثير من آثارها)، وثالثها أن الفكر الاصيل يقوم (على تفهم تحليلي لتاريخ المجتمعات) وأن النظريات تبنى (على مثل هذا التحليل لترسم طريق المجتمعات للمستقبل). (61)

رسم الدوري في كتابه هذا (مخططا أوليا) للتاريخ الاقتصادي العربي بين القرنين الأول والثالث عشر للهجرة/السابع والتاسع عشر للميلاد. (62)، وقدم (خلاصة تحليلية للتاريخ الاقتصادي العربي تتلمس خطوطه الرئيسية)، عبّر دراسته للتطورات والظواهر والاتجاهات ذات الطبع الاقتصادي أو المؤثرة فيه، فتحدث عن تكوين الأمة، وهجرة القبائل الكبرى إلى الأمصار، وانتقالها من حياة الترحل إلى حياة الاستقرار ثم انتقل فرصد وحلل كثيرا من المستجدات ومنها ظهور الملكيات الكبيرة وتوهم العصبية القبلية، ونمو المدن، وازدهار التجارة والصيرفة، وتوسع الملكيات الكبيرة في الأرض، وظهور رأسمالية تجارية صيرفية، وقيام حركات شعبية ثورية، ثم تناول المتغيرات في الأنشطة الاقتصادية ومنها: انحراف خط التطور الاقتصادي وتراجع النشاط التجاري وضمور النقد ومؤسساته وظهور القطاع العسكري واتساعه. كما تناول حالة الركود الاقتصادي في البلاد العربية إبان السيطرة العثمانية، وتحدث عن النظام الإقطاعي في هذه الحقبة. (63)

لقد أخذ اهتمام الدوري بدراسة الاقتصاد العربي، حيزاً كبيراً بين أديباته، وكان آخر أعماله في هذا المجال كتاب: (الجامع لنصوص الاقتصاد الإسلامي) الذي صدر في أربع مجلدات سنة 2002م عن مؤسسة آل البيت، وهو أول عمل فهرسي موسع، كان ثمرة عمل استمر لسنوات نفذه فريق عمل كبير كان الدكتور الدوري على رأسه.

كما أن للدوري بحوثاً ودراسات عديدة في المجال نفسه، ومنها: النظام النقدي والصيرفي في العراق في القرن الرابع الهجري (مجلة القضاء، بغداد، 1942)، ونشوء الأصناف والحرف في الإسلام (مجلة كلية الآداب، بغداد، 1959)، ونشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية (مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد، 11، 1964) وغيرها. (64)

أما كتاب الدوري: (التكوين التاريخي للامة العربية - دراسة في الهوية والوعي) (65) فقد جاء تطبيقاً لدعوته إلى كتابة تاريخ شامل للامة، وعرضاً لأفكاره فيما يخص الهوية والوعي، وما أثير عنهما في بعض الكتابات (من تساؤل وشكوك)

(59)الدوري، مقدمة، ط 2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1960، 78.

(60)الدوري، بحث، 13-14.

(61) الدوري: التاريخ الاقتصادي العربي، 5.

(62) الدوري، التاريخ الاقتصادي العربي، 5.

(63)الدوري، التاريخ الاقتصادي العربي، 5-7.

(64) عن مؤلفات الدوري في مجال التاريخ الاقتصادي، انظر مقال غيداء خزنة كاتي: الدوري وجوانب منهجه في البحث التاريخي، (ندوة عبد العزيز الدوري، انسانا ومؤرخا ومفكرا، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، 1999) ص 20-18.

(65) صدر في طبعته الأولى (بيروت 1984م) وطبعته الثانية (القاهرة 1985) وطبعته الثالثة (بيروت 1986) عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت.

خلال (الاحداث والهزات التي تعرض لها العرب) في النصف الثاني من القرن العشرين. (66)

وقد انطلق الدوري في كتابه هذا من فرضيتين اولاهما (ان الأمة العربية تكونت في التاريخ بعد تطور اجتماعي وفكري طويل، وان شعورها بهويتها ووعيها لذاتها يرتبط بصورة وثيقة بهذا التكوين) وثانيهما ان (الوعي العربي، الحديث في الاتجاه القومي لم يكن تقليدا لقومية او لآخرى، بل انه تبين للهوية العربية، وامتداد للوعي العربي في التاريخ بعد ان تأثر بالآراء الحديثة في العصر الحديث). (67)

في إطار هذه المفاهيم حاول الدوري التعرف (على ظروف تكوين الأمة العربية، وتحديد هويتها في التاريخ، ولتبيين وعيها لذاتها وتطور هذا الوعي الى العصر الحديث)، وتوحي (بيان عناصر الاستمرار في هذا الوعي وطبيعة التحول فيه).

وقد جاءت دراسته هذه نموذجا حيا لما دعا اليه في منهجيته من حيث التركيز على تشخيص الاتجاهات وتحليل التيارات في تاريخ الأمة

اما دعوة الدوري لاستحداث تحقيق لتاريخ الأمة يستند الى التحولات الكبرى فيه والتي تشكل اساسا للانطلاق من حقبة الى اخرى ، فنلمس اولى محاولاته في تنفيذه في كتابه: (مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي) حيث استخدم تحقيقا جديدا لم يسبقه احد اليه ،استند فيه الى التحولات الاقتصادية الفاعلة، فاعتبر القرن الأول للهجرة (السابع للميلاد) هو فترة تكوين الأمة وتعبئتها للجهد، و الهجرة الكبرى للقبايل الى الامصار وانتقالها من حياة الترحل الى الاستقرار، واعتبر معظم القرن الثاني للهجرة (الثامن للميلاد) هو الفترة الثانية التي (تأكد فيها الاهتمام بملكية الارض ، وظهور الملكيات الكبيرة وظهور الموالي...وتوهج العصبية القبلية وما رافق ذلك من مشاكل انتهت بالثورة العباسية)، واعتبر ما تلا ذلك وحتى القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) هو فترة نمو المدن، وازدهار التجارة والصيرفة، وتوسع الملكيات الكبيرة في الارض ، وظهور راسمالية تجارية صيرفية، وقيام حركات شعبية ثورية)، واعتبر الفترة التي تبدأ بأواسط القرن الرابع (العاشر للميلاد) التي استهلكت بالتسلط البويهي وانحراف خط التطور الاقتصادي) بفعل (تراجع النشاط التجاري وضمور النقد ومؤسساته) وظهور الاقطاع العسكري واتساعه. فترة تجزئة و(بداية النهاية لكيان العرب السياسي وحريتهم) تلتها فترة السيطرة العثمانية التي اتسمت بحصول ركود اقتصادي في البلاد العربية(68) .

وقد استخدم الدوري في كتابه (التكوين التاريخي للأمة العربية ...) تحقيقا مختلفا يتلاءم مع العوامل المؤثرة التي شكلت هذا التكوين فجاء على ثلاث فترات، (تبدأ الأولى بالأصول العربية، ثم تكوين المجتمعات العربية بعد ظهور الإسلام، وتكوين الأمة العربية في التاريخ)، وتتناول الثانية بداية التنبه العربي وتطوره في النصف الاخير للقرن التاسع عشر والعقدين الأولين للقرن العشرين)، اما الفترة الثالثة فتتناول ما حصل من متغيرات ما بعد الحرب العامة (العالمية) الأولى. (69) .

وقد اعتمد التقسيم ذاته في مقالة له نشرت سنة 1995 بعنوان: (فترات التاريخ العربي: نظرة شاملة)، بيد انه اعطى الحقب الثلاث مددا زمنية مختلفة عن التقسيم السابق، فجاءت على النحو التالي:

1 - الحقبة الأولى وتبدأ بظهور الإسلام مطلع القرن السابع الميلادي، وحتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

2 -الحقبة الثانية، وقد أطلق عليها صفة: الكبرى، وتبدأ بين القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وحتى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.

(66)الدوري، التكوين، 10.

(67) الدوري، التكوين، 10.

(68) الدوري، التاريخ الاقتصادي العربي، ص، 6-7.

(69) الدوري، تكوين، 9-10.

3 - الحقبة الثالثة، وتبدأ بالقرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وحتى القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي.

وقد أخذ بنظر الاعتبار في هذا التقسيم المتغيرات الأساسية التي لعبت دوراً جوهرياً في الانتقال من حقبة إلى أخرى. (70).

نظرة تقييمية

في عرضه لمشروعه المنهجي، تحرى الدوري أن يوجهه أولاً إلى القارئ المثقف وإلى طلبته، كما رحب بأن يحظى باهتمام المتخصصين. (71) ويبدو أنه كان يهدف وراء ذلك إلى إيجاد قاعدة واسعة من المثقفين تشاركه الرأي في أن تشويهاً كبيراً أصاب التاريخ العربي، عن قصد وغير قصد، وأن ثمة ضرورة لإعادة كتابة التاريخ العربي وفق منهجية علمية اجتهد هو فوضع أسسها وترك الباب مفتوحاً للنظر فيها؛ تقييماً وتعديلاً، إدراكاً منه إلى أن أفكاره ومنهجيته، لا يمكن أن تأخذ طريقها إلى التنفيذ، إلا من خلال بيئة ثقافية، تؤمن بضرورة التغيير في مجال لم يكن مقتصرًا على الدوائر الأكاديمية فحسب، بل هو يمثل ثقافة تاريخية شائعة.

كان الدوري مدركاً لصعوبة مهمته في أن يقنع قراءه بأن يعيدوا النظر فيما ألقوه وأن يعيدوا التفكير في كثير من آرائهم، وفيما اعتبروه بديهياً في الصورة التي لديهم عن تاريخ العرب، بيد أنه - مع ذلك - سخر كل نشاطه العلمي طوال حياته لتحقيق تلك المهمة: سواء بما أصدره من كتب، أو نشره من بحوث ودراسات، أو خلال محاضراته على طلبته.

وإن من المناسب هنا أن نتذكر لحظة مؤثرة في تجربة الدوري العلمية الثرة، ومنهجيته في تنقية التاريخ، حين خاطب قارئ أفكاره فقال: (إنما اردت ان أجعله - اي: القارئ - يعيد النظر فيما ألقى، ويعيد التفكير في كثير من آرائه وبديهيته في تاريخ العرب، لأنني أخشى أن يختنق هذا التاريخ في الغيوم الكثيفة من البخور التي أحرقناها ليُنحَمِيه، وفي الغزات المخدرة التي نفتناها فيه فكادت تقطع عليه أنفاسه، وكادت تحجب عن أبصارنا جوهره وقد نُفِرَتْ عنه الكثيرين). (72).

لقد تحرى الدوري أن يعرض أفكاره ورؤيته المنهجية بما عرف به، وعنه، من خلق علمي رفيع، وجدناه ماثلاً في مخاطبته لقراءه، وفي الصيغة التي قدم فيها أفكاره إليهم، إذ عرضها على أنها أفكار أولية مطروحة لغرض الحوار وفتح الطريق للاقترب من الحقيقة التاريخية، وقد عبر عن ذلك في أكثر من موضع. جاء في مقدمة رسالته الأولى التي تحمل عنوان: (مع المؤرخين) والتي تضمنت معظم طروحاته النقدية ومنهجيته، أنها: (لا تتعدى كونها آراء، وكل ما أرجوه هو أن يشترك معي القارئ في التفكير...) كما قال في نهاية الرسالة نفسها: (هذه ملاحظات شاملة، تمثل آراء تجمعت نتيجة الدراسة والتدريس لعل فيها الجديد ولعل فيها ما يفيد، فإن لم يكن فيها هذا ولا ذاك، فلعل فيها ما يدعو إلى إعادة التفكير فيما ورثنا من آراء، لا يسندنا إلا أنها قيلت، وتكرر قولها). (73) وقد أكد الدوري هذا في رسالة ثالثة له صدرت سنة 1960م أعطاه عنوان (تطور المجتمع العربي في صدر الإسلام) حيث قال: إنها (مجموعة ملاحظات في تطور المجتمع العربي في صدر الإسلام، وفهم التطور الاجتماعي الاقتصادي بصورة متصلة لتكوين فكرة أكثر شمولاً). (74) وجاء في كتابه: (بحث في نشأة علم التاريخ) أن الكتاب هو (محاولة أولى لدراسة نشأة علم التاريخ عند العرب)، وأنه ليس إلا (مجموعة مخططات تجمعها المدة الزمنية الواقعة بين القرن الأول والثالث للهجرة، وتجمعها وحدة الموضوع). (75)

(70) الدوري، أوراق، 245، 260.

(71) الدوري، مقدمة، 3، 32.

(72) الدوري، مقدمة، 32، 93.

(73) الدوري، مقدمة، 93.

(74) الدوري، مقدمة، (ط 2)، 79.

(75) الدوري، بحث، 14/13.

وتكرر هذا التوجه لدى الدوري في كتابه (مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي) فقد ذكر أنه تحرى فيه تقديم مخطط أولي للتاريخ الاقتصادي بين القرنين السابع والتاسع عشر للميلاد، وأنه (محاولة لإعطاء خلاصة تحليلية للتاريخ الاقتصادي العربي، تتلمس خطوطه الرئيسية دون أن تنتهي الى نظرية ما). (76)، وجاء في نهاية دراسته هذه قوله (...ان ما ذكر لا يراد به الا كشف الجذور وفهم تطور المجتمع العربي وتجاربه) وانه (محاولة لتقديم عرض تحليلي تاريخي (علمي) للمجتمع العربي، تبررها الحاجة لمثلها) (77).

وقال في مقدمة كتاب: (التكوين التاريخي..) ان دراسته فيه هي (محاولة اولية فيها ثغرات، الا انها محاولة لتبين الخطوط الرئيسية والملامح العامة للهوية والوعي، فإن حققت ذلك فهو ما تأمله) (78)

يتضح مما اوردناه ان طروحات الدوري في دعوته الى ضرورة إعادة كتابة تاريخ العرب وفق منهجية، اقتنع بها وطبقها في كل ما صدر عنه من أدبيات، وتمنى على كل متلق لها من المثقفين والمتخصصين، أن يخضعوها للنقد وأن يدلوا برأيهم فيها، أو فيما قد تثيره من أفكار، أن يُبقي الباب مفتوحا للقيام بدراسات مفصلة لاستكمالها، فيما يؤدي الى كتابة تاريخ شامل للأمة او القيام بدراسات شاملة عامة لفترات تاريخية واسعة تتضح فيها العوامل التاريخية المؤثرة وتنسجم مع هذا التوجه وتؤدي اليه.

مصادر الدراسة

- الدوري، عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، (صدر عن مركز زايد للتراث والتاريخ 1420هـ/2000)
- الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، (بغداد، 1948)
- الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، (بغداد، 1945)
- الدوري، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، (بغداد، منشورات مكتبة المثنى 1949)
- الدوري، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، (ط 2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1960)
- الدوري، عبد العزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي (بيروت، دار الطليعة، 1968)
- الدوري، عبد العزيز، التكوين التاريخي للامة العربية، دراسة في الهوية والوعي، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1984)
- الدوري، عبد العزيز، اوراق في التاريخ والحضارة...، (مركز دراسات الوحدة العربية، 2009م)

(76) الدوري، التاريخ الاقتصادي العربي، 5 - 6.

(77) الدوري، التاريخ الاقتصادي العربي، 148.

(78) الدوري، تكوين، 11.

ملاحظات حول استكشاف المنهج الكمي في دراسة التاريخ الحضاري لدى كل من الدكتور أحمد الحَسُو والدكتور هاشم الملاح

أ.د. هاشم يحيى الملاح*

إهداء إلى ((الصدوق الصدوق أحمد الحَسُو))

1. التمهيد:

تعد منهجية البحث التاريخي المعاصرة في العراق والدول العربية امتداداً للمدرسة الطبيعية (الموضوعية) التاريخية التي كان من أبرز روادها في أوروبا فيكو وفولتير ورانكة ولانجلو وسينيوبوس وبيوري وتوينبي. وقد أشار الدكتور صالح أحمد العلي إلى ان هذه المنهجية قد نشأت منذ أزمنة قديمة ثم نمت وتكاملت في الأزمنة الحديثة (تحت تأثير منهج البحث التجريبي في العلوم الطبيعية).

ويرى الدكتور العلي أن هذه المنهجية بميزاتها وعيوبها، هي أحسن الوسائل للوصول إلى المعرفة التاريخية الصحيحة، لذلك فهي تحظى بالتقدير والتأييد في جامعاتنا فتدرس في أقسام التاريخ، وتراعى في البحوث والدراسات، ولا يزال أهم كتابين في الموضوع هما كتاب مصطلح التاريخ لأسد رستم ومنهج البحث التاريخي لحسن عثمان (1).

وقد أوضح الدكتور حسن عثمان ان القواعد المنهجية التي عرضها في كتابه لا تعدو ان تكون خلاصة لبعض المؤلفات الأوروبية مثل كتابات لانجلو وسينيوبوس، وفلنج، وفنسننت، وكروتشي... مع بعض الاسترشاد بما كتبه علماء المسلمين في الرواية والحديث (2).

أما الاستاذ أسد رستم، فيؤكد ان صياغة قواعد هذه المنهجية هي صياغة غربية، غير ان كثيراً من أصولها عربية إسلامية، فهي تمت إلى علم الحديث بصلة قوية، فالتاريخ دراية أولاً ثم رواية كما ان الحديث دراية ورواية (3).

وفي منتصف القرن الماضي (القرن العشرين) توجهت عناية الباحثين في العلوم الاجتماعية إلى استخدام المنهج الكمي - الإحصائي في دراساتهم لما يتسم به من دقة تجعله قريباً من مناهج البحث في العلوم الطبيعية.

وكان للباحثين الفرنسيين دور الريادة في هذا المجال، إذ شرعوا في استخدام هذا المنهج منذ منتصف القرن العشرين في مجال الدراسات السكانية في التاريخ من حيث المواليد والوفيات والهجرة، وحجم السكان وتركيبهم. وقد تابعهم في هذا التوجه في انكلترا جماعة كمبردج منذ عام 1964، فحاولوا استخراج البيانات الضرورية لدراسة أحوال السكان على معطيات ارقام وجداول إحصائية.

وهكذا قدر لهذا المنهج أن يمتد ويتوسع في النصف الثاني من القرن العشرين ومطلع القرن الحالي، وأخذ يشمل الدراسات العربية الإسلامية.

وكان من الدراسات الرائدة في هذا المجال دراسة (جورج فايدا وجاكولين سويليه) التي تناولت كتب التراجم والسير

(*) عضو المجمع العلمي العراقي والاستاذ المتمرس في قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الموصل.

(1) العلي، كتابة التاريخ، الواقع وأحواله، مقالة في كتاب حول كتابة التاريخ، بغداد، 1979، ص. 37، ص. 68.

(2) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، مصر، 1970، ص. 10.

(3) أسد رستم، مصطلح التاريخ، بيروت، ط. 3، ص. (ز).

لتحديد كمية ونوعية المعلومات التاريخية التي استخرجت على شكل فهرس مرتبة، أجدياً، أو تاريخياً، أو إحصائياً بصورة عامة، أو جزئية. كما يشار في هذا المجال إلى دراسات (ريجار بوليت) مثل دراسة تراجم رواة الحديث في مدينة نيسابور، وكتابه الموسوم ب(التحول إلى الإسلام في العصور الوسطى) المترجم عن الانكليزية بهذا العنوان. وقد طبع في عام 1979 في مطبعة جامعة هارفارد. وكذلك دراسته الموسومة (طريقة كمية لدراسة معاجم التراجم الإسلامية في العصور الوسطى). وقد نقلها إلى العربية بهذا العنوان شاكر نصيف العبيدي ونشرها في المدينة المنورة سنة 1990 (الجامعة الإسلامية).

ولعل من أقدم المؤرخين العرب الذين اشتغلوا على المنهج الكمي هما الدكتور المُنْجِي الكعبي والدكتور أحمد الحَسُو، فقد تأثر أولهما بمجموعة فرنسية وفريق عمل دولي مهتم خلال تحضيره لدرجة الدكتوراه سنة 1970، ثم طبق نتائج تمريناته على تراجم من كتاب (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) لابن العماد الحنبلي، وألحقها ببحث القاه في المؤتمر الأول لتاريخ المغرب وحضارته سنة 1974، تحت عنوان: (أداة عمل جديدة للبحث التاريخي)، وقدم ثانيهما في السنة ذاتها مشاركا في المؤتمر نفسه حاملا معه، تجربته الرائدة في مجال المنهج الكمي الإحصائي في دراسة التاريخ، فحصل حوار وتلاقح بين التجريبيين وهو ما سنتحدث عنه بالتفصيل في المحاور الآتية.

2. التكوين العلمي للدكتور أحمد الحَسُو:

تأثر الدكتور الحَسُو في مرحلة شبابه المبكر، بما كان سائدا آنذاك من نشاط ثقافي وأدبي عرفته مدينة الموصل آنذاك، كما كان للحوارات التي كان يشهدها في مجلس والده العلمي أيام الجمع، في سكنه بمحلة شَهْرَسُوق، تأثير كبير في إثارة ذهنه نحو آفاق المعرفة. ويبدو أن الأدب والتاريخ استأثرا باهتمامه، فقد نُشِرَ له إبان هذه المرحلة (1954)، عدة مقالات في هذين المجالين في جريدة (فتى العراق) وجريدة (الفجر) الموصليتين، لعل ابرزها مقالة في جزأين تحت عنوان (التكوين التاريخي للقومية العربية)، كما نشر له مقالات أخرى وقصائد نثر، في عدد من الجرائد البغدادية وهي: جريدة (السجل) وجريدة (الحرية) وجريدة (اليقظة) .

في إطار هذه الخلفية، أخذت الشخصية الثقافية والعلمية للدكتور الحَسُو في النمو والتطور وهو يتلقى دروس التاريخ في كلية التربية في جامعة بغداد للمدة من (1955-1959). وكان من ضمن الأساتذة الذين تأثر بهم الدكتور محمد الهاشمي الذي كان يوصيهم " كطلبة ألا يستأثر بهم التاريخ السياسي دون التاريخ الاجتماعي، وان يتعاملوا مع النصوص بالغوص فيها وتحليلها وإعمال العقل في فهمها"(4)، كما تأثر بالدكتور طه باقر الذي كان له فضل كبير في إثارة اهتمامه، بل تعلقه، بتاريخ العراق القديم الذي درسه على يديه، وبملحمة كلكامش الشهيرة التي كان استأذه قد ترجمها من لغتها الأصلية الى اللغة العربية، ولعل الحَسُو هو من أوائل من استوحى هذه الملحمة في قصائد نثر ثلاث تضمنتها مجموعته الأدبية التي أصدرها سنة 1956 تحت عنوان: (دموع وزهرات) . (5)

وفضلاً عما تقدم، فقد تأثر الحَسُو بالدكتور عبد العزيز الدوري الذي كان على تواصل معه، وتلمذ على مؤلفاته، وبخاصة أطروحته للدكتوراه، التي أعدها في جامعة كمبردج في المدة من سنة 1940-1942 وكان عنوانها (تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري) التي عربت ونشرت في عام 1948. كما قرأ مؤلفاته الأخرى، قراءة دراسة واستيعاب وكان من أبرزها كتاب مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ومقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي (6).

ويلحظ ان هذا التوجه نحو التاريخ الاقتصادي الاجتماعي، كان ذا منحنى عالمي، وانه قد بدأ يأخذ مكانه في الأوساط الجامعية الغربية تحت عنوان: التاريخ الجديد ومدرسة الحوليات الفرنسية التي أولت عناية كبيرة ب(التاريخ الشامل) مع التركيز على التاريخ الاجتماعي والاقتصادي.

وبشير وجهه كوثراني إلى ان عدداً من الأساتذة المستشرقين الذين أشرفوا على عمل الدوري في لندن أمثال مينورسكي،

(4) نص رسالة من الزميل الدكتور أحمد الحَسُو في 2022/1/28.

(5) النص نفسه.

(6) النص نفسه.

بغداد)، ليس لدراسة التاريخ كما قد يتبادر إلى ذهن القارئ الكريم، وإنما لدراسة القانون في كلية الحقوق. وفي هذه الكلية تتلمذت على عدد من الأساتذة الأكفاء في جميع تخصصات العلوم القانونية ذات الصلة بتنظيم المجتمع وإدارة الدولة وتنظيماتها، فضلاً عن دراسة القانون الدولي والعلاقات الدولية. وبالإضافة إلى ما تقدم، فقد درست الفقه الإسلامي وأحكامه في مجال أصول الفقه والاحوال الشخصية والمعاملات المالية والتجارية، وإلى جانب ذلك فقد ضمت المقررات التي درستها علوم أخرى مساعدة كعلم الاقتصاد، ومالية الدولة، وتاريخ القانون.

وكانت الفلسفة المعتمدة في دراسة هذه العلوم هي الفلسفة الوضعية السائدة في العلوم الاجتماعية بحسب المنهجية التي وضعها أوغست كونت. وهي امتداد للفلسفة العلمية الموضوعية السائدة في دراسة العلوم الطبيعية (التجريبية) وبما يناسب طبيعة هذه العلوم.

وحيث أكملت دراستي في كلية الحقوق وحصلت على شهادة بكالوريوس في القانون في عام 1962، توجهت مباشرة إلى جامعة القاهرة لمواصلة دراساتي العليا في كلية الحقوق.

ومن هذه الكلية، حصلت على دبلوم الدراسات العليا في الشريعة الإسلامية في عام 1963، ودبلوم الدراسات العليا في القانون العام في عام 1964. وبذلك أصبحت مؤهلاً للانتقال إلى اعداد الدكتوراه في القانون. لأن هذين الدبلومين يعادلان شهادة الماجستير بحسب نظام جامعة القاهرة.

وهنا، وفي سياق البحث عن عنوان الأطروحة التي سأعدها لنيل شهادة الدكتوراه سيحصل التحول في توجهاتي البحثية من الدراسات القانونية الصرفة، إلى الدراسات القانونية - التاريخية المقارنة.

فقد صادف ان حضرت محاضرة عامة قدمها استاذ القانون الدستوري الدكتور أحمد كمال ابو المجد عن (حكومة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) أوضح فيها ان الرسول قد أسس في حياته دولة في المدينة المنورة، وأنه قد أقام هذه الدولة وأدارها على وفق عدد من القواعد التي تتفق مع القواعد القانونية السائدة في الدول الحديثة. وقد تمنى الدكتور أبو المجد على الباحثين ان يعطوا هذا الموضوع الأهمية التي يستحقها ويقوموا بدراسته من الزوايا التاريخية والشريعة والقانونية.

والحقيقة ان هذا الاقتراح قد لقي هوى في نفسي وذلك لأنني كنت اتمتع بثقافة تاريخية وإسلامية عامة. ومن ثم فقد شعرت ان بإمكانني استثمار هذه الفرصة في توظيف هذه الثقافة بالإضافة إلى ما حصلت عليه من معرفة وخبرة في مجال الدراسات القانونية، وبخاصة في القانون الدستوري.

لذا فقد سارعت إلى مراجعة الاستاذ الدكتور أبو المجد طالباً منه الموافقة على تولي الإشراف على إعدادي أطروحة الدكتوراه في الموضوع الذي اقترحه في محاضرتة، فرحب بذلك كل ترحيب.

وبعد إعداد خطة الأطروحة والمصادقة عليها من قبل الجامعة عدت إلى العراق لأعمل مدرساً مساعداً لمقرر مادة القانون في معهد المحاسبة العالي في جامعة الموصل (التي كانت في طور التأسيس). وقد حرصت طوال عملي في هذا المعهد (من سنة 1965-1968) على مواصلة العمل في جمع المادة العلمية لأطروحة الدكتوراه من المصادر الأولية ذات الطبيعة التاريخية والقانونية بالإضافة إلى قيامي بواجبات تدريس القانون. وكنت أسعى للحصول على اجازة دراسية من الجامعة تسمح لي بالتفرغ لكتابة الأطروحة. وقد استجابت الجامعة لطلبي في عام 1968 فمحتني زمالة دراسة لمواصلة الدراسة، ولكن ليس في جامعة القاهرة وإنما في جامعة سانت أندروز في بريطانيا.

وكان من حسن حظي ان وافقت هذه الجامعة على قيامي بإعداد أطروحة الدكتوراه في ذات الموضوع الذي سجلته في كلية الحقوق - جامعة القاهرة، وبذلك تسنى لي الاستفادة من المادة العلمية التي جمعتها من مصادر كثيرة تمهيداً لكتابة الأطروحة.

4. لقاء الصحبة والبحث مع الدكتور الحَسُو في جامعة سانت أندروز:

كنت على معرفة جيدة بصديقي وزميلي الدكتور الحَسُو منذ مرحلة الدراسة الثانوية، لأننا كنا متقاربين في السكن والاتجاهات الفكرية، إلا أنه لم تنشأ بيننا علاقة صحبة وصداقة في هذه المرحلة، لأنه كان متقدماً عليّ في الدراسة بحكم السن بحوالي ثلاث سنوات.

وقد بدأت علاقات الصداقة الحميمة معه منذ وصلت إلى سانت أندروز في عام 1968، وكان لحسن الحظ أول من قابلته فيها. فرحب بي وبإدرا إلى ابداء استعداد له لمرافقتي لزيارة استاذ المشرف جون برتن الذي سيتولى الإشراف على إعداد أطروحتي للدكتوراه عن حكومة الرسول (ص). وأتذكر أنني قد استطعت ان أكتسب ثقة الاستاذ المشرف حينما وضعت أمامه كمية كبيرة من (الجدازات) التي دونت عليها النصوص التي جمعتها عن موضوع أطروحتي من المصادر التاريخية والقانونية العربية طوال السنوات الثلاث السابقة. وفضلاً عما تقدم فقد شعرت بأن الاستاذ بدا عليه الارتياح حين سمع اجابتي على اسئلته التي وجهها لي حول المنهجية التي سأتبناها في مجال البحث وإعداد الأطروحة.

وهنا قد يتساءل القارئ الكريم عن طريقة وتوجهات الاستاذ المشرف جون بيرتن في مجال البحث العلمي وحقيقة تخصصه الدقيق.

5. تخصص الأستاذ المشرف ومنهجيته في البحث:

كان التخصص العلمي الدقيق للأستاذ جون بيرتن هو الدراسات القرآنية. وقد حصل على الدكتوراه في موضوع "الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم". وهذا يعني أنه كان يجيد اللغة العربية إلى الحد الذي يساعده على دراسة آيات القرآن الكريم والنصوص ذات الصلة به كالأحاديث النبوية وكتب التفسير والفقه والتاريخ الإسلامي. وكانت هذه المؤهلات من المتطلبات الضرورية لمن يسلك طريق الاستشراق، ويسعى لدراسة الإسلام (لغة وتاريخاً وحضارة) على وفق المنهج (الفيلولوجي) الذي هو امتداد لتوجهات المدرسة العلمية الموضوعية والتي عرفت بمدرسة الوثائق لشدة عنايتها بدراسة الوثائق التاريخية وتحليلها، إذ لا تاريخ من دون وثائق.

في ضوء ما تقدم، فقد وجد الدكتور الحَسُو كل الرعاية والتشجيع من الأستاذ بيرتن حينما اختار دراسة السخاوي مؤرخاً لعصره وتحقيق الأجزاء غير المحققة من مخطوطة (وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام).

وقد وصف الدكتور الحَسُو علاقته العلمية بأستاذه المشرف ومن سبقه من الأساتذة الذين أخذ عنهم في جامعتي بغداد وعين شمس بالقاهرة. بقوله: " كان من حسن حظي، أن من تأثرت بمنهجيتهم وأشرت إليهم أنفاً، قد درسوا في جامعات غربية، وتأثروا بالتوجهات غير التقليدية في كتابة التاريخ، وفي التعامل مع تحقيق النصوص الخطية. لذلك فإنني مع هذه الخلفية، وجدتي منسجماً مع المنهجية المتبعة في جامعة سانت أندروز. وقد كان للأستاذ المشرف بروفيسور بيرتن أثره الكبير في تعميق هذه المنهجية، وفي توفير كل ما أتاح لي إنجاز مهمني البحثية في مسارها العلمي السليم.

ولابد لي ان اشيد بما أفدته في الاتجاه ذاته من بروفيسور بوزورث عبر حوارات وزيارات متعددة له في منزله بمدينة سنت أندروز- وكان من عاداته ان يستقبل طلابه فيه ويفتح لهم مكتبته الثرة - كانت في غاية الأهمية، إبان إشرافه على اطروحتي للدكتوراه لمدة ستة أشهر قبل انتقاله الى جامعة مانشستر، وتعيين بروفيسور جون برتن مشرفاً جديداً على اطروحتي خلفاً له.

وقد أشار الدكتور الحَسُو إلى أن موضوع أطروحته تطلب إلى جانب استخدام منهج البحث التاريخي، استخداماً لمنهج تحقيق النصوص، بحكم ان أطروحته تتضمن تحقيقاً لجزئية لم تكن قد حققت من قبل، من مخطوط للسخاوي بعنوان: (وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام)، إضافة الى استخدامه المحدود للمنهج الكمي - الإحصائي، بالقدر الذي تطلبت الأطروحة، وقد كان الأستاذ المشرف جون برتن مع توجهه هذا، بيد أنه - وكما تشير إليه رسالته، جواباً

على استفسارات الباحث منه - لم يتوسع في استخدام المنهج المشار إليه، إلا بعد تخرجه والتحاقه مدرساً في قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الموصل (1973) فسعى إلى تنفيذ ما كان يعتدل في ذهنه منذ بدايات دراسته في مصر في مرحلة الماجستير 1966 وهو الكيفية التي يمكن معها استيعاب وتصنيف وربط الكم الهائل من المعلومات المتناثرة في ثانيا كتب التراجم واليوميات والمعاجم والكتب البلدانية، وهكذا ارتبطت مسيرته في مجال البحث العلمي في تحقيق هذا الهدف، بتبني اعتماد المنهج الكمي الإحصائي في كل عمل أمكن تطبيقه فيه، بل ان الفلسفة التي ينطلق منها هذا المنهج بتحكيم المنطق الرياضي ابتداء وانتهاء؛ انعكست على أعماله الأخرى وفي تدريساته.

فإذا غادرنا تجربة الدكتور أحمد الخسّو، مع استاذة المشرف ومدى تأثيرها على توجهاته البحثية في مجال تحقيق المخطوطات، وبدايات توجهه في استخدام المنهج الكمي الإحصائي في البحث، جاز لنا ان ننقل إلى تجربة كاتب هذه السطور (الدكتور هاشم الملاح) للحديث عن مسار عمله في أطروحته وهي تتناول موضوعاً يتصل بنظام الحكم في عهد الرسول (ص) بأبعاده التاريخية، والقانونية، والدينية، والحضارية.

لقد رحب البروفيسور بيرتن بالإشراف على أطروحتي للدكتوراه (حكومة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم)، ربما لأن موضوعها، ذا صلة وثيقة بتخصصه في حقل الدراسات القرآنية وما يتصل بها من علوم الحديث والفقه والتاريخ. كما أنه بحكم عمله كمستشرق كان شديد العناية بالحضارة الإسلامية ونظمها المتنوعة (ومنها نظام الحكم في عهد الرسول (ص) وخلفائه الراشدين).

أما على مستوى منهج البحث العلمي، فلم يكن بيني وبين استاذي المشرف خلاف حول القواعد العامة التي تقضي بضرورة الالتزام بقاعدة استقراء النصوص من مصادرها الأصيلة بروح موضوعية محايدة تستهدف الوصول إلى الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة، أما على مستوى التطبيق والممارسة، فقد تبين لي أن ذلك لا يمكن تحقيقه إلا بصورة نسبية وهي تختلف بين باحث وآخر بسبب تفاوتهم في ضبط مشاعرهم الدينية والقومية والمصلحية (10). وقد توصلت بعد عمل متواصل مع أستاذي المشرف أنه كان حريصاً على التقيد بقواعد النظام والنزاهة ومحاولة الالتزام بأبكر قدر من الموضوعية والانصاف في الحكم بقدر ما تسمح به طبيعته البشرية (المتأثرة غالباً بثقافته وبيئته الاجتماعية).

لقد تبنيت في دراستي (المنهج المقارن) في دراسة نظام الحكم الإسلامي في عهد الرسول (ص) من خلال مقارنته بأنظمة الحكم السائدة في العالم قديماً وحديثاً. وبذلك استطعت ان أتوصل إلى بعض القواعد العامة من خلال دراسة كثير من الحالات الخاصة. كما استطعت ان اجمع بين المنهج القانوني والمنهج التاريخي في البحث؛ وهو ما واصلت تطويره في مسيرتي العلمية في جامعة الموصل بعد حصولي على شهادة الدكتوراه والتحاقني بعلمي في كلية الآداب - جامعة الموصل في عام 1971.

6. توجهاتي العلمية في جامعة الموصل:

حين التحقت بجامعة الموصل كنت أحمل اختصاصين، اختصاصاً في القانون وهو امتداد لاختصاصي الأصيل، واختصاصاً في التاريخ، وهو بنتيجة للدراسة والخبرة التي حصلت عليها من خلال إعدادي أطروحة الدكتوراه عن حكومة الرسول (ص). لذا فقد اخترت العمل في قسم التاريخ كلية الآداب لتدريس مقرر (السيرة النبوية) ومقررات مساعدة أخرى. كما وافقت على القاء محاضرات في القانون على طلبة كلية الإدارة والاقتصاد التابعة للجامعة المستنصرية الأهلية من أجل مواصلة عملي في تدريس القانون.

أما في مجال البحث العلمي، فقد عملت على ان اثبت لزملائي في قسم التاريخ كفاءتي في مجال البحث التاريخي فأنجزت في خلال سنتين ثلاثة بحوث علمية لا تخلو من جدة وابتكار بحسب شهادة مجلس قسم التاريخ وقد استخدمت في البحث الأول الموسوم: "دولة المدينة بين أثينا ومكة" (11) المنهج الكمي - الإحصائي في تقدير عدد سكان مدينة أثينا ومكة، فضلاً عن المنهج الحضاري المقارن في دراسة نظم الحكم. وكان مما حفزني على استخدام المنهج الكمي في

(10) كان من أبرز ما تعلمته من أستاذي المشرف فن قراءة النصوص التاريخية وتحليلها من أجل الوصول إلى استنتاجات دقيقة أو أقرب إلى الدقة. كما أخذت عنه القدرة على الاعتراف بالأخروالتعامل مع وجهات النظر المخالفة بموضوعية واحترام.

(11) براج بحثي الموسوم: دولة المدينة بين أثينا ومكة، منشور في مجلة آداب الراشدين (جامعة الموصل)، 1972، العدد (4)، ص 60-76.

البحث التاريخي ما كان يدور بيني وبين زميلي الدكتور أحمد الحَسُو حول دقة هذا المنهج منذ كنا طلاباً في جامعة سانت أندروز. كما وجدت ان استخدام لغة الارقام قد أخذت بالانتشار في كتابات الكثير من الباحثين في الغرب، وقد اشرت إلى بعضها في هوامش بحثي المشار إليه آنفاً.

وهكذا ومنذ سنة 1972 أخذ الرقم والاحصاء الكمي يأخذ مكانه في جميع البحوث والكتب التي نشرتها أو الاطروحات التي أشرفت عليها وبخاصة حينما يتصل البحث بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية، (بما فيها الحديث عن الطبقات والانساب والاعلام) كما وجدت في الارقام التي تقدمها المصادر عن الحروب وأعداد المقاتلين مناسبة جيدة لتقدير أعداد السكان في المدن والقبائل التي ينتمي إليها المتحاربون (12).

وعلى الرغم من استخدامي للارقام والاحصاء في البحث، فإنني لم اتوجه في بحثي نحو استخدام (الحاسوب) كما سيستخدمها زميلي الدكتور أحمد الحَسُو. وهو ما سأحدث عنه بالتفصيل في المبحث الآتي.

وهنا، لابد من ملاحظة ان استخدامي للمنهج الكمي جاء في سياق اشمل وهو دراسة التاريخ في إطار (المنهج الحضاري) الشامل ذي الابعاد الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية والثقافية والفنية وغيرها (13)، وهو منهج يقارب في توجهاته العامة توجهات مدرسة الحوليات الفرنسية كما تجلت في أعمال فرناند بروديل (14).

وكان أبرز معبر عن هذا التوجه من قبلي "موسوعة الموصل الحضارية" التي صدرت عن جامعة الموصل في عام 1992 في خمسة مجلدات وشاركني في الإشراف على تحريرها زميلي الدكتور أحمد الحَسُو الذي كان عضواً ومقرراً لهيئة تحرير الموسوعة، بينما توليت أنا مسؤولية رئاسة التحرير.

وقد حرصت في مجال البحث العلمي وتوجيه مشاريع رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه التي أتولى الإشراف عليها في التاريخ الإسلامي على استخدام المنهج الكمي - الإحصائي في البحث. وكانت من أبرز الأطاريح التي اشرفت عليها واستخدمت هذا المنهج، اطروحة الباحث وليد مصطفى الجبوري، وكانت بعنوان: "الأوضاع السكانية في شبه جزيرة العرب في عصر الرسالة". وقد أجزت من قسم التاريخ في كلية الآداب - جامعة الموصل بتاريخ 2006/5/28.

ومن الجدير بالذكر ان الدكتور وليد مصطفى الجبوري قد التزم بعد حصوله على شهادة الدكتوراه بهذه المنهجية، وأخذ يوجه طلبة الماجستير في إعداد الرسائل التي يشرف عليها باستخدامها في نشاطهم البحثي، وكان آخرها رسالة ماجستير للباحث عمر وليد خالد بعنوان: "دور القبائل العربية في حروب الردة والفتوحات الإسلامية حتى نهاية عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - دراسة تاريخية كمية". وقد تشكلت لجنة مناقشتها برئاسة بريستي في تاريخ 2022/3/26 على قاعة أبي تمام في كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة الموصل (15).

7. التوجهات العلمية للدكتور أحمد الحَسُو في جامعة الموصل:

إثر حوار علمي أخوي دار بيني وبين زميلي الدكتور أحمد الحَسُو عبر الهاتف أرسل لي بضعة أوراق مطبوعة بعنوان "تجربتي مع المنهج الكمي" في البحث التاريخي، أوضح فيها أنه قد بدأ يفكر في استخدام المنهج الكمي في تفكيك وإحصاء ما تضمنته كتب التراجم من معلومات متناثرة بين ترجمة وأخرى، وفي مقدمتها كتاب شمس الدين السخاوي (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)، في وقت مبكر ابان دراسته في عين شمس بالقاهرة سنة 1964، إلا ان هذا التفكير لم يتحول إلى مشروع بحثي قيد التنفيذ إلا بعد انتهائه من مهامه في إعداد أطروحته للماجستير والدكتوراه، وتعيينه في قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة الموصل في سنة 1973.

(12) ابراج بحثي الموسوم: "عدد سكان شبه الجزيرة العربية في عصر الرسالة، دراسة تاريخية في الاحصاء السكاني"، منشور في كتابي: الحضارة الإسلامية وأفاق المستقبل، بيروت، (دار الكتب العلمية)، سنة 2000، ص 102-115.

(13) ابراج على سبيل المثال بحثي الموسوم: "التفسير الحضاري ومسألة إعادة كتابة تاريخ الأمة، منشور في مجلة الاكليل، صنعاء، 1988، العدد (2)، ص 26-37.

(14) ابراج بحثي: "الحضارة الإسلامية وتحديات الحضارة الغربية عند المؤرخ فرناند بروديل"، المنشور في كتابي قراءات معاصرة في الفكر والتاريخ والحضارة الإسلامية، عمان، (دار غيداء للنشر)، 2019، ص 359-377.

(15) تألفت لجنة المناقشة من: الأستاذ الدكتور هاشم يحيى الملاح - رئيساً والأستاذ الدكتور خطاب إسماعيل أحمد، والأستاذ الدكتور عمر أمجد صالح، والأستاذ المساعد الدكتور وليد مصطفى الجبوري (المشرف) أعضاء.

وقد اوضح الدكتور الحَسُو الخطوات الأولى التي سار عليها لتنفيذ هذا المشروع بقوله:

"قمت سنة 1974 باختيار مجموعة من التراجم (تقرب من مائة ترجمة) (16)، من كتاب السخاوي (الضوء اللامع)، وتفكيكها، ثم وضعتها في مداخل متباينة مع بعضها بعضاً، ومتماثلة ضمن محتويات كل مدخل منها، ثم وضعها في جداول خاصة بهدف دراسة نتائجها الرقمية وتحليلها، وحيث أنني كنت آنذاك على معرفة متواضعة في أسلوب تحميل المعلومات على أجهزة الحاسوب، قمت بعرض الفكرة على مدير مركز الحاسوب في جامعة الموصل التي كنت عضواً في هيئتها التدريسية، الأستاذ الدكتور محمد زكي خضر، وحاورته في مدى امكانية تحميل هذه المعلومات على الحاسبة الالكترونية الخاصة بالمركز، فقام مشكوراً بتحميلها واستخراج نتائجها الرقمية، وعرضها في محاضرة قدمها في المركز الثقافي الاجتماعي لجامعة الموصل" (17).

وقد شجع نجاح هذه التجربة الدكتور أحمد الحَسُو على تبني هذا المنهج البحثي وعرض تجربته المبكرة فيه على مجموعة من المشاركين في المؤتمر الأول لتاريخ المغرب وحضارته الذي انعقد في تونس عام 1974، وكان أحد المشاركين فيه.

وقد أتاح هذا المؤتمر للدكتور الحَسُو فرصة الاطلاع على دراسة قيمة في مجال (المنهج الكمي) قام بها الدكتور المنجي الكعبي والمتعلقة بكتاب (شذرات الذهب في تاريخ من ذهب) لابن العماد الحنبلي، كما دار حوار معه حول تجارب مماثلة قام بها مؤرخون فرنسيون" (18).

لقد حفزتني هذه المعلومات على التوجه إلى زميلي الدكتور أحمد الحَسُو متسائلاً: هل اطلعت على بعض الكتابات أو التجارب في حقل المنهج الكمي قبل عام 1974؟ فأجابني بأنه لم يطلع على بحث متكامل في هذا المجال، ولكنه تأثر بتجارب بحثية قريبة من ذلك، وهي بحسب نص ما دونه في رسالته: "قرأت سنة 1969 مقالة أعارني إياها الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت؛ وكان آنذاك طالب دكتوراه في جامعة لندن بعنوان: (الاتجاهات التاريخية في عصر المماليك) - وأظنها له -، تضمنت سرداً للمصادر التاريخية الخاصة بالعصر المملوكي (وقد رتبت فيها المؤلفات التاريخية بحسب موضوعاتها، وأخضعت للتحليل، بهدف تحديد الاتجاهات التاريخية في عصر المماليك، ولقد رسخ هذا البحث لدي، أهمية العمل الإحصائي في الدراسات التاريخية" (19)، وأشار الحَسُو، إلى أنه قرأ في سنة 1973، "كتيباً مترجماً إلى العربية، يلخص دراسة احصائية، انصبت على مجموعة من النقود الإسلامية (لم يتذكر عنوانها بحسب تعبيره). وقد تم تفكيك المعلومات فيها بموجب قواعد وآليات المنهج الكمي، وخرجت بنتائج كانت موضع تقييمه وإعجابه الكبير" (20).

وفي سنة 1987 نشر الحسو دراسة بعنوان: (الدور القيادي لعرب المدن في نشأة الحضارة العربية والإسلامية) في مجلة المؤرخ العربي (العدد 32، 1987 م)، وقد كانت - كما أشار في رسالته - بمثابة مقدمة لمشروع موسع، خطط له وكان بصدد تشكيل فريق عمل من المتخصصين لتنفيذه، يتناول إجراء دراسة كمية موسعة، لرصد وتحليل دور أهل المدن والأرياف والبوادي في التحولات الاجتماعية والفكرية منذ ظهور الإسلام وقيام دولة النبوة، وحتى مطلع العصور الحديثة. ومع أن ظروف الحرب التي كانت قائمة آنذاك في العراق في ثمانينات القرن الماضي، حالت دون تحقيق طموحه هذا، فقد بادر - كما ورد في نص رسالته - إلى إجراء مسح أولي للمصادر التاريخية والبلدانية والأدبية ولكتب التراجم واليوميات، وجزأ ما ورد فيها من معلومات عن موضوع البحث، وعن التأثيرات المتبادلة مع المحيط الحيوي القريب والبعيد لدار الإسلام، ووضع لها جداول إحصائية أولية وحللها ودون استنتاجاته الأولية بصدها، وهي اليوم في عهدة مركز علمي معني بالدراسات الكمية، كما أن مشروع تنفيذها وتشكيل فريق عمل يتولى استكمالها مدرج في خطته البحثية.

وقد نشر الحَسُو في أعقاب ذلك سنة 1988 دراسة في موسوعة: "العراق في موكب الحضارة" بعنوان: "الصناعة في

(16)رسالة توضيحية من الدكتور أحمد الحَسُو في 2022/1/28.

(17)الحَسُو، تجربتي مع المنهج الكمي في 2022/1/20.

(18)المصدر نفسه في 2022/1/20.

(19)الحَسُو، رسالة جوابية بتاريخ 2022/1/28.

(20)الرسالة نفسها في 2022/1/28.

العراق منذ القرن الأول الهجري وحتى القرن السابع الهجري" (21)، وقد عبرت هذه الدراسة عن توجهاته نحو العناية بدراسة تاريخ العراق الاقتصادي في ظل الحضارة الإسلامية. ورغم اتسام هذه الدراسة بالدقة والموضوعية إلا أن المنهج الكمي الإحصائي لم تظهر معالمه فيها، كما ستظهر في بحوثه اللاحقة، وبخاصة في موسوعة الموصل الحضارية. ويلاحظ أنني كنت في هذه الفترة عضواً في هيئة كتابة التاريخ التي أشرفت على إصدار الكثير من المؤلفات والعديد من الموسوعات، ومن ضمنها الموسوعة التي نشر زميلي الدكتور الحسّو بحثه فيها.

لقد شكّلت هذه القراءات والتجارب حافزاً قوياً للدكتور الحسّو لتركيز نشاطه التدريسي والبحثي في هذا الاتجاه. وقد وصف هذا النشاط بقوله: "وجهت طلبة الدراسات الأولية والعلية في أقسام التاريخ إبان تدريسي في جامعة الموصل (1973-1992)، وفي جامعة وهران بالجزائر (1980-1983) (22)، ثم في جامعة التحدي بمصراته في ليبيا (1992-1995) وفي جامعة مؤتة بالأردن (1995-2008م)، نحو تفكيك النصوص التاريخية إلى مداخل، والتعامل معها إحصائياً، ومن ثم تحليل نتائجها بما يقرهم من مفهوم المنهج الكمي، وشجعتهم على التدريب على استخدام أجهزة الكمبيوتر؛ تهيئة لأذهانهم نحو إمكانيات الإفادة في بحوث تخرجهم، كما وجهت بعض طلبة الماجستير الذين أشرفت على رسائلهم لاعتماد المنهج الكمي في إعدادها" (23)، إضافة إلى عديد من المحاضرات التي القاها ضمن نشاطات الجمعية التاريخية في جامعة التحدي بمصراته بليبيا ومواسمها الثقافية (1993-1995).

8. بعض مسارات التعاون بيني وبين الدكتور الحسّو في كلية الآداب بجامعة الموصل:

في تاريخ 12/11/1973 توليت عمادة كلية الآداب في جامعة الموصل. وكان الدكتور أحمد الحسّو قد عُين مدرساً في هذه الكلية في بداية هذا العام، فوجدت في وجوده إلى جانبي وهو الصديق الصدوق فرصة مناسبة للتعاون الخلاق بيني وبينه على مستوى التفكير في تطوير المسارات العلمية في الكلية والجامعة والارتفاع بهما إلى مستوى الطموح. وكان من حسن الحظ أن انتبعت الجامعة (ربما بشخص رئيسها آنذاك الدكتور محمد المشاط) إلى كفاءة الدكتور الحسّو العلمية والإدارية فعهدت إليه بمنصب الأمين العام لمكتبات جامعة الموصل (-1974/1980)، فضلاً عن تعيينه في الوقت ذاته، بمنصب مساعد رئيس الجامعة للشؤون الإنسانية (1974) ثم مساعد رئيس الجامعة للشؤون الإدارية والثقافية.

وقد عزز هذا التطور من قدرتنا على تنفيذ بعض المشاريع العلمية التي كنا نتطلع إلى تحقيقها، ومنها إشاعة التفكير العلمي بين الطلبة والاساتذة واستخدام أحدث المناهج والتقنيات في البحث. وكان من أبرز المشاريع التي كانت ثمره تعاوننا ما يأتي:

1. إعادة الحياة إلى مجلة آداب الرافدين: حينما توليت عمادة كلية الآداب، كانت مجلة الكلية العلمية (آداب الرافدين) قد توقفت عن الصدور بسبب ضعف أداء هيئة تحريرها. فقررت العمل على إحيائها على وفق منهج علمي دقيق وصارم بحيث لا ينشر فيها إلا البحوث العلمية التي تجتاز مناقشة الحلقة العلمية في القسم (السمنار) أو تقييم بعض الخبراء المعروفين بالدقة والرصانة في تقويم البحوث إن كان أصحابها من خارج الكلية.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف فقد توليت رئاسة تحرير المجلة وعينت زميلي الدكتور أحمد الحسّو سكرتيراً لتحرير المجلة. وقد نشرت كلمة افتتاحية في المجلة تعبر عن سياستها العلمية في النشر، جاء فيها: "إن هيئة التحرير تتبنى الفكر العلمي، وترى في المنهج الأكاديمي النافذة المفتوحة نحو مجتمع متطور. إنها لا تريد أن يكون محتوى الكلمة بعيداً عن المشكلات الفكرية التي يعانها مجتمعنا، بل ترى أن يكون الفكر جريئاً علمياً في مواجهة هذه المشكلات من أجل تجاوز دهور التخلف وأسباب الموت وبطء الحركة. ملتزمون في كل ذلك بالمنهج العلمي السليم، الذي عبر عنه بروعة وإيجاز الكاتب الشهير أ.ج. ويلز بقوله: إن الطريقة العلمية الحقة هي هذه: ألا يفرض أي فرض غير ضروري، ألا يقبل أي خبر من غير تحقيقه، إن تختبر كل الأشياء بأقوى قوة مستطاعة، ألا يحتفظ بأي أسرار، ألا يحاول أي احتكار، وأن يقدم

(21) الحسّو، الصناعة في العراق منذ القرن الأول الهجري وحتى القرن السابع الهجري، بحث منشور في موسوعة: العراق في موكب الحضارة، ج2، بغداد، 1988، ص189-225.

(22) أوفد الدكتور أحمد الحسّو للتدريس في دائرة التاريخ بجامعة وهران بالجمهورية الجزائرية، سنة 1980، واستمر فيها حتى عودته إلى جامعة الموصل سنة 1983.

(23) الحسّو، تجربتي مع المنهج الكمي، رسالة بتاريخ 20/1/2022.

الإنسان خير ما لديه في تواضع ووضوح، وألا تخدم أية غاية أخرى" (24).

2. العناية بتاريخ العلوم عند العرب وتدريبه: لقد كنت على قناعة راسخة (ويشاركني فيها زميلي الدكتور أحمد الحَسُو) ان دراسة التاريخ لا ينبغي ان تقتصر على التاريخ السياسي، وإنما يجب ان تمتد لتشمل دراسة تاريخ الإنسان على الأرض بكل أبعاده الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والفنية وغيرها)، وهو ما درج الباحثون على تسميته بالتاريخ الحضاري أو التاريخ الشامل.

وقد سعت من خلال موقعي العلمي والاداري في الجامعة على إقناع مجلس جامعة الموصل على إدخال مقرر دراسي لجميع طلبة الجامعة باسم (تاريخ العلوم عند العرب) يسعى لتزويد الطلبة في جميع تخصصاتهم بنبذة مركزة عن تاريخ العلم الذي يدرسونه من أجل إقامة التواصل في فكرهم بين المنجزات العلمية التي تحققت في الماضي وبين المنجزات التي يحققها الإنسان في الحاضر وبخاصة ما يتصل منها بتاريخنا العربي الإسلامي. وقد وافق مجلس الجامعة على هذا المقترح، وأصدر أمراً بتاريخ 1974/9/25 بتشكيل لجنة برئاسة ليإعداد مفردات هذا المقرر واعتماد الكتاب المناسب لمساعدة الطلبة على دراسة هذه المادة العلمية وبإشراف مباشر من كلية الآداب.

3. إضافة مقرر الفلسفة إلى المقررات الدراسية: تعد الفلسفة أم العلوم، وهي المنطلق للمنهج العقلاني في التفكير. لذا كانت العناية بدراستها مقدمة ضرورية لتنمية القدرة على التفكير والبحث العلمي في شتى التخصصات، لذا فقد درجت كليات الآداب على دراستها في اقسام متخصصة، فضلاً عن تدريسها إلى جانب مناهج البحث العلمي في معظم الأقسام الأخرى.

وقد وجدت من الغريب غياب مقرر الفلسفة من بين المقررات المعتمدة في كلية الآداب، لذا فقد سعت منذ تعييني عميداً لكلية الآداب على تلافي هذا النقص، فأقنعت مجلس كلية الآداب على إدخال مقرر الفلسفة في المناهج الدراسية في جميع الأقسام والتخصصات العلمية في الكلية وذلك اعتباراً من سنة 1975.

وقد ساعد هذا الاجراء على تعيين عدد من التدريسيين المتخصصين في الفلسفة في الكلية والتمهيد لإنشاء فرع الفلسفة في الكلية والذي تحول بعد توسعه قسماً للفلسفة يمنح شهادة البكالوريوس في هذا التخصص. وأتذكر ان زميلي الدكتور أحمد الحَسُو، كان سعيداً بهذا التوجه، فكان يشجعي على مواصلة المسير في هذا الطريق لأنه يلتقي مع المنهج العلمي في البحث التاريخي الذي كنا نسعى لإشاعته وترسيخه في الجامعة.

4. تأسيس وحدة تحقيق المخطوطات في الكلية: من المعروف ان التراث العربي الإسلامي قد وصلنا على صورة (مخطوطات) لأن طباعة الكتب على النحو الشائع في عصرنا، لم تكن معروفة في العصور القديمة والوسطى. لذا كان من مستلزمات البحث العلمي في اقسام اللغة العربية والتاريخ ان يكون لديها وحدة متخصصة في جمع المخطوطات وحفظها مع كافة الأجهزة المساعدة على تصويرها وقراءتها، تمهيداً لتحقيقها ونشرها. ولم يكن في كلية الآداب مثل هذه الوحدة حينما توليت عمادة كلية الآداب. لذا فقد سعت وبتشجيع من زميلي الدكتور أحمد الحَسُو على تحقيق هذا الهدف. وقد تجاوبت رئاسة الجامعة مع هذا المسعى فوافقت على استحداث هذه الوحدة. وأتذكر ان الدكتور أحمد الحَسُو، قد بذل جهداً متميزاً في مساعدتي على اختيار الأجهزة المناسبة لهذا الغرض. ولا يخفى على القارئ الكريم مدى الترابط بين وحدة تحقيق المخطوطات ومنهج البحث التاريخي في العمل وبخاصة المنهج الكمي الاحصائي الذي هو موضع الاهتمام المشترك بيني وبين الدكتور الحَسُو.

9. بحوث الحَسُو الكمية المنشورة في موسوعة الموصل الحضارية:

واصل الدكتور أحمد الحَسُو تطوير تجاربه البحثية في مجال تطبيق المنهج الاحصائي والكمي طوال عمله في جامعة الموصل. وقد عبر عن ذلك في محاضراته وبحوثه التاريخية ذات المنحى الحضاري. وقد وصف الدكتور الحَسُو جانباً من هذه التجارب في محاضرة القاها على طلبة جامعة الموصل بقوله: "خلال محاضرة لي على طلبة قسم التاريخ بجامعة

(24) الكلمة الافتتاحية، مجلة آداب اليراقدين، جامعة الموصل، العدد (5)، سنة 1974.

الموصل بخصوص العصور الإسلامية المتأخرة، أثير جدل حول مدى صحة قول ابن خلدون: أن سند التعليم انقطع في العراق بعد غزو المغول له سنة 656هـ، وأن معالم بغداد درست (بدروس الخلافة)، وأن (شأنها من الخط والكتابة، بل والعلم، انتقل إلى مصر والقاهرة)، وان اللغة العربية فسدت على الاطلاق، ولم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية بالعراق وخراسان). وقد وجدت في هذا الجدل المحتدم، فرصة مناسبة لتوضيح أهمية اللجوء إلى المنهج الكمي فيما يمكننا من الاقتراب من الحقيقة، في حالات كهذه وبصدد حكم لا يبدو - رغم صدوره عن مؤرخ كبير له مكانته - مقبولاً، وبخاصة أنه يتعلق ببلد كالعراق، يتمتع بعمق حضاري كبير يمتد لآلاف السنين" (25).

ويبدو من سياق هذا الكلام ان الدكتور الحَسُو قد القى هذه المحاضرة خلال المدة من (1986-1992)؛ وهي المدة التي كان يساهم فيها بفعالية إلى جاني في تحرير موسوعة الموصل الحضارية (26)، فقد أشار إلى أنه- بعد محاضراته التي أثار نقاشاً واسعاً بين الطلبة- تفرغ لتنفيذ ما نصحهم به، فأخضع مقولة ابن خلدون، آفة الذكر للنقد باستخدام المنهج الكمي وبدأ أولاً بدراسة كمية لواقع الثقافة العربية ولغتها وأدائها في المشرق الإسلامي، متخذاً من إيران (التي تضم خراسان، التي قال ابن خلدون ان اللغة العربية، لم يبق لها رسم فيها) نموذجاً، وقام بإجراء مسح إحصائي كمي للمعلومات التي وردت في ثنايا التراجم الخاصة بشخصيات عاشت في إيران أو كان لها حضور فيها ممن عاش معظمهم في القرن التاسع الهجري والقرنين السابق واللاحق كما وردت في كتاب: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع الهجري (للسخاوي). (27) وقد أظهرت الدراسة - على حد تعبير الدكتور الحَسُو - ما يؤكد أن اللغة العربية، كان لها حضور كبير في إيران بعد الغزو المغولي بأكثر من قرن، رغم وجود محاولات لإزاحتها عن الساحة الثقافية وإحلال اللغة الدرية الفارسية وأدائها (28)، وأن ما كان يربط بين اللغتين العربية، لم يكن محصوراً بمحاولات إحلال إحداها محل الأخرى فحسب، بل التأثير المتبادل بينهما وحضورهما الفاعل. (29)

اما الدراسة الثانية فقد عالجت ذات الإشكالية التي نجمت عما طرحه ابن خلدون بصدده ما آل إليه الوضع الثقافي في العراق والمشرق الاسلامي بعد الغزو المغولي، غير انها اختارت الموصل نموذجاً.

وهنا اترك للدكتور الحَسُو الكلام عن الخطوات التي اتبعها في هذا المجال، وذلك بقوله: " قمت برصد حركة العمران في الموصل، ونشاط المدينة الفكري والثقافي، وحركة هجرة المثقفين منها وإليها، قبل الغزو المغولي وإبانه وبعده (من خلال استقراء ما أوردته المصادر وكتب التراجم)، وقد تمخضت الدراسة عن أربعة بحوث كمية إحصائية، تم نشرها في (موسوعة الموصل الحضارية) سنة 1992م، وهي: -

الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة المغولية والإيلخانية (660-736هـ/1261-1335م).

الموصل في عهد السيطرة الجلائرية (736-814هـ/1335-1411م).

الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة الجلائرية. (736-814هـ/1335-1411م).

الواقع الحضاري في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض (814-914هـ/1411-1508م).

وأضاف الحسو قائلاً: إن بحوثه هذه، خلصت إلى نتائج تنفي ما ذهب إليه ابن خلدون في مقولته آفة الذكر" (30)، وان تصويب هذا الخطأ التاريخي ما كان ليتم، لولا استخدام المنهج الكمي الإحصائي.

(25) الحَسُو، تجرّبي مع المنهج الكمي، بتاريخ 20/1/2022.

(26) تألفت هيئة تحرير الموسوعة من: الأستاذ الدكتور هاشم يحيى الملاح رئيساً للتحرير والأستاذ الدكتور عامر سليمان (عضواً) والأستاذ الدكتور أحمد قاسم الجمعة (عضواً) والدكتور ابراهيم خليل أحمد (عضواً) والدكتور أحمد عبد الله الحَسُو (عضواً ومقرراً).

(27) انجز الحَسُو في حقبة تالية (2011)، دراسة مماثلة عن الحياة الثقافية في مدينة خوارزم (ق 7-10هـ) استناداً الى ما ورد في كتاب (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) للسخاوي، وقد شارك بها في مؤتمر دولي عن: (تاريخ وتراث تركمانستان) عقد في مدينة عشق آباد سنة 2011م.

(28) عن اللغة الدرية، انظر: الرابط التالي على شبكة الانترنت <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=10101>

(29) قُدِّمَتْ نتائج هذه الدراسة في أمسية من أمسيات اللجنة الثقافية في المركز الثقافي الاجتماعي التابع لجامعة الموصل في حدود سنة 1987، وكان كاتب هذه السطور، ممن حضرها، الى جانب أعضاء قسم التاريخ في كليتي الآداب والتربية بجامعة الموصل.

(30) موسوعة الموصل الحضارية، جامعة الموصل، 1992، المجلد (2)، الصفحات 234-262، 272-277.

لم تقتصر جهود الحَسُو على إشاعة ثقافة المنهج الكمي على ما ذكرناه آنفاً، بل ترافق معها مساهمته بتوفير بيئة معلوماتية وفهرسية تسهل على طلبته وغيرهم من الباحثين الراغبين بتطبيق المنهج الكمي مهمتهم، وتمكنهم من استخدام مراجع ومصادر بحوثهم باللغتين العربية والانكليزية، وكان من أهم ما أنجزه في هذا المجال، إصداره سنة 1987 كتاباً بعنوان:

An English Course for Students Of History

مشاركة مع الأستاذ الدكتور يوئيل عزيز أستاذ قسم اللغات الأوربية بكلية الآداب بجامعة الموصل، (31) وتبنيه مشروع إنشاء (قاعدة معلومات تراثية) تضم النصوص الأصلية الكاملة للمخطوطات والوثائق، تعنى ببرمجة كل المعلومات المتوفرة فيها، سواء ما يتعلق بمضامينها أو المعلومات الفهرسية الخاصة بها. وقد قدم دراسة مفصلة عن مشروعه هذا إلى مؤتمر حطين الذي عقد في بغداد سنة 1987، كما نشر نصه الكامل في مجلة المكتبات الأردنية سنة 1992م، (32) وقد حظي المشروع باهتمام المتخصصين في مجال علم المعلومات والمكتبات، ومنهم الأستاذ الدكتور هاشم فرحات، أستاذ علم المعلومات في جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، في دراسة له صدرت سنة 2001م حيث قال: (إن مما يحسب للحسو هنا طرحه لفكرة القاعدة النصية، في هذا السياق التاريخي المبكر، وهي فكرة تأتي من منطلق إتاحة نصوص المخطوطات في شكل النص الكامل للمستفيدين من ناحية، وحفاظاً على أصولها من ناحية أخرى، كما يحسب له كذلك إسهامه في تقديم نموذج لشكل اتصال معياري ينبغي استخدامه لإدخال بيانات الوصف المادي للمخطوطات، وبالرغم من أنه لم يحدد مصدر هذا الشكل وهويته، وما إذا كان شكلاً معيارياً دولياً، أو وطنياً، إلا أن هذا الشكل المقترح يعكس نظرة شمولية متكاملة: حيث يراعي معظم حقول الوصف الببليوجرافي والمادي والموضوعي، المناسبة لفهرسة المخطوط. (33)

إن التأمل في عناوين بحوث الدكتور الحَسُو التي نشرها في موسوعة الموصل الحضارية، وفي غيرها توضح التداخل الوثيق بين المنهج الحضاري الشامل بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى السياسية والمنهج الاحصائي - الكمي الذي استخدمه الحَسُو ببراعة لإثبات المسائل التي كانت موضع خلاف وجدل. كما تفصح عن طبيعة المنهج والفلسفة التي اعتمدها هيئة تحرير الموسوعة في عملها، وكان الحَسُو أحد أعمدتها.

10. نشاطات الحَسُو في خدمة المنهج الكمي في جامعة مؤتة:

تعد فترة عمل الدكتور أحمد الحَسُو في قسم التاريخ بجامعة مؤتة في المملكة الأردنية الهاشمية، والتي امتدت ثلاثة عشر عاماً (1995-2008) من أخصب فترات إنتاجه في مجال البحث والتدريس، وبخاصة ما يتصل بجهوده في حقل الدراسات الكمية. وقد ظهر له في هذه المرحلة كتابان: أولهما سنة 2004 وهو بعنوان (الكرك في العصور الإسلامية المتأخرة) وثانيهما سنة 2010 وهو بعنوان (الكرك كما أرخ لها شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي في كتابه: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) وصدر عن وزارة الثقافة الأردنية، ولعل من أهم ما أنجز في هذه الحقبة بحث بعنوان: (الدراسات التاريخية بين الآليات التقليدية وتكنولوجيا المعلومات) والذي جاء بمثابة دليل للباحثين الذين يرغبون باعتماد المنهج الكمي في دراساتهم، وقد نشر عدة مرات بين سنتي (1980-2013) كان آخرها في مجلة كان التاريخية، كما قدم دراسة كمية تحت عنوان: (الحياة الثقافية في مدينة خوارزم بين القرنين الثامن والعاشر للهجرة)، شارك بها في مؤتمر دولي عن تاريخ وتراث تركمانستان، عقد سنة 2011م في مدينة عشق آباد في تركمانستان.

وقد وصف الدكتور الحَسُو جهوده هذه خلال وجوده في جامعة مؤتة بقوله: "حرصت على إشاعة ثقافة المنهج الكمي بين الطلبة في مرحلة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه. وقد ترك ذلك أثره على عديد منهم، وغدا تطبيق المنهج الكمي، بفعل جلسات الحوار المتواصلة داخل قاعات المحاضرات وخارجها، وبفعل ما تحقق من أعمال كمية قبلها، أكثر وضوحاً، بأهدافه وآلياته. وصار ينظر إليه على أنه جزء أساسي من منهج البحث التاريخي، فتزايد اقبال طلبة

(31) طبع الكتاب من قبل مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل 1987.

(32) رسالة المكتبة، مجلد فصلية متخصصة تصدرها جمعية المكتبات الأردنية، المجلد السابع والعشرون - العدد الثاني، حزيران 1992، ص 27-27.

(33) انظر نص المقال عبر الرابط التالي: https://www.researchgate.net/profile/Hashem-Farahat-2/publication/285523192_information_technology_and_manuscripts/ (links/565ec5b408ae1ef92983e8f2/information-technology-and-manuscripts.pdf)

الدراسات العليا عليه، وكانوا بمثابة خلية بحث، تتحرى عن الحقيقة التاريخية عبر تحليل النصوص وتكميمها والغوص في ظاهرها وباطنها⁽³⁴⁾.

وهكذا فقد شجع تجاوب الطلبة مع طروحات الدكتور الحَسُو على استئناف وتطوير ما بدأه في العراق من خلال البحوث الأربعة التي انجزها ونشرها في موسوعة الموصل الحضارية التي درس فيها الواقع الحضاري في الموصل بعد الغزو المغولي، وما أعقبها من دراسات كمية ومن خلال إشرافه على عدة رسائل ماجستير استخدمت المنهج الكمي، بقدر أو بأخر، وتكاملت مع ما بدأه في بحوثه الكمية المشار إليها آنفاً.

جاءت الرسالة الأولى بعنوان: (اليونيني؛ حياته ودوره في التاريخ لدولة المماليك)، وقد تقدم بها الباحث أنور الطوالة، سنة 2004م، واستخدم فيها المنهج الكمي في جوانب منها اقتضت ذلك، أما الرسالة الثانية، والتي جاءت تحت عنوان: (الحياة العلمية والثقافية في بغداد في العصر الإيلخاني - 656-736هـ/ 1208-1335م) للباحث هاني الرفوع - الدكتور حالياً - سنة 2007، فقد توسعت في استخدام المنهج الكمي لمقتضيات البحث التي تطلبت ذلك وكما يلاحظ من عنوانها، أنها عالجت نفس الإشكالية التي تناولها استاذ الدكتور الحَسُو في بحوثه الأربعة المنوه عنها آنفاً، والذي ناقش فيه ما طرحه ابن خلدون بخصوص الواقع الثقافي في العراق بعد الغزو المغولي، ولكن باختيار مدينة بغداد نموذجاً وهي التي أصابها الضرر الأكبر إبان الغزو المغولي. وقد جاءت نتائج رسالة الرفوع متطابقة مع ما توصل إليه الدكتور الحَسُو، أما الرسالة الثالثة، فقد تقدم بها الباحث حمود مضعان السعودي (الدكتور حالياً) سنة 2014م، وكانت تحت عنوان: ابن الفوطي مؤرخاً (642-723هـ/ 1245-1324م)، فقد قدمت مادة مهمة عن النشاط الثقافي والعلمي في بغداد بخاصة، والعراق بعامة بعد الغزو المغولي. وقد اعتمدت هذه الرسالة المنهج الكمي فأخضعت النصوص ذات العلاقة للتفكيك والتعليل؛ تجريباً وتعديلاً، وخرجت بنتائج معززة لما ذهب إليه استاذ الدكتور الحَسُو، وزميله هاني الرفوع (35).

وتجدر الإشارة هنا، إلى ان دراسة الرفوع والسعودي، ومن قبلها بحوث استاذهما الدكتور الحَسُو، اعتمدت في تطبيقها للمنهج الكمي على جهد الباحثين واجتهاداتهم، حيث أجروا كل الخطوات الواجب اتخاذها والجدول اللازمة لذلك بأنفسهم، مع استعانة بالقدر الذي كانت توفره لهم أجهزة الكمبيوتر في ذلك الوقت، لتنظيم الجداول والأشكال؛ وتلك جهود تذكر لهم، إذ أن برامج الحزم الإحصائية وغيرها كبرنامج (إكسل)، وبرنامج التحليل الإحصائي (اس بي اس اس) اللذين يستخدمان حالياً، لم تكن شائعة الاستعمال في ذلك الحين.

وقد كان الدكتور الحَسُو يتطلع إلى الاستفادة من هذه الحزم الإحصائية في دراسة كمية جديدة لأنها تتيح المجال للحصول على نتائج سريعة ودقيقة ومتكاملة، لا يمكن الحصول عليها، إلا عن طريقها. وقد واتته الفرصة لتطبيق هذه المناهج حين أشرف على أطروحة باحثة مجدة تسعى للحصول على الدكتوراه. وقد كان الحَسُو سعيداً بهذا الإشراف ونتائجه وقد وصف ذلك بقوله: "وقد كنت محظوظاً ان أشرف على أطروحة دكتوراه بين سنتي 2002-2005 للباحثة سوسن الفاخري (الدكتورة فيما بعد)، والتي لم تكن أقل حماساً مني لتطبيق برامج الحزم الإحصائية في أطروحتها تحت عنوان: (التراجم المقدسية في كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي 831-901هـ/ 1327-1495م تحقيق وتحليل)، (36) وقد انعكس التزامها الدقيق بالمنهج الكمي الإحصائي وبقواعده وأصوله على أطروحتها التي جاءت رفيعة المستوى بما أهّلها للحصول على المرتبة الأولى في مسابقة أكاديمية، ومنحها جائزة مالية بمقدار عشرة آلاف دولار، والتوصية بطبعتها، كما أن مما يحسب للباحثة الفاخري أيضاً، أنها أول باحثة تستخدم برامج الحزم الإحصائية في دراسة كمية مدونة باللغة العربية".

ويبدو أن ما تم كشفه باستخدام المنهج الكمي في بحوث الحَسُو والرسائل والأطروحات المشار إليها، أظهر مدى الغموض الذي يكتنف حقبة الغزو المغولي وما سبقها وعاصرها وأعقبها، دفع الحسو الى توجيه مجموعة من طلبة الدراسات العليا لاختيار موضوعات تؤدي الى كشف مكونات هذه الحقبة، ويفتح الآفاق نحو دراسات كمية مستقبلية

(34) الحَسُو، تجربتي مع المنهج الكمي، رسالة في تاريخ 2022/1/20.

(35) المصدر نفسه.

(36) صدرت الطبعة الأولى من الأطروحة سنة 2022، عن دار وائل للنشر، وبإسناد من وزارة الثقافة الأردنية.

عنها. ومع انه كان قد أشرف على أطروحتين في هذا الاتجاه ابان عمله في جامعة الموصل (37)، فقد واصل ذات المسعى، في قسم التاريخ بجامعة مؤتة، وشجع طلبته فيه على اختيار موضوعات ذات علاقة مباشرة بنشأة وتكوين القبائل المغولية واجتياحها للمشرق الإسلامي، ثم بما أحدثه الغزو من متغيرات في الجغرافية البشرية والسياسية، وجاء في مقدمة ما انجز من ذلك تحت إشرافه على رسالة ماجستير، ثم أطروحة دكتوراه تقدمت بهما الباحثة اخلاص العيدي (الدكتوراة فيما بعد)، حملت اولهما عنوان : (عطا ملك الجويني ودوره السياسي والثقافي 623-681) وقد أجزت سنة 2004م، وحملت ثانيتهما عنوان (المغول كما ارخ لهم عطا ملك الجويني في كتابه : تاريخ جهانكشاي)، وأجزت سنة 2008م. وقد تحرت الباحثة في بحثها، فهم حياة المغول وتكوينهم: ابتداء بالقبيلة وانتهاء بالدولة وامتداداتها وعلاقتها من خلال شخصية ذات ثقافة عالية ومعرفة معمقة بالمغول وثقافتهم ودورهم، ونعني به : عطا ملك الجويني الذي اختاره المغول حاكما للعراق في أعقاب هيمنتهم عليه . (38)

أما الأطروحة الثانية فقد أجزت سنة 2008، وكانت للباحثة حنان الخريسات (الدكتوراة فيما بعد) وحملت عنوان: (السياسة الخارجية لدولة المغول الإيلخانيين) ، فقد كشفت عن المتغيرات السياسية والبشرية والثقافية التي تسبب بها الغزو المغولي والسياسة الخارجية للدولة التي نشأت عنه (الدولة الإيلخانية)، و رصدت ردود الفعل تجاه ذلك في بلاد الشام ومصر. (39)

لقد كان توجه الدكتور الحسّو هذا وتشجيعه لطلبته للقيام بدراسات معمقة عن المغول في كل جوانب حياتهم وتأثراتهم وردود الفعل تجاههم، خطوة ضرورية، فهي تفتح الأبواب لإنجاز رسائل وأطروحات أخرى أولا، وتفتح الباب واسعا لدراسات كمية وإحصائية قادمة تتناول هذا المنجم التاريخي والبشري.

11. تأسيس مركز الحسّو للدراسات الكمية والتراثية:

بعد رحلة طويلة ابتدأها الدكتور الحسّو من جامعة الموصل في سنة 1973 (وربما قبلها من جامعة سانت أندروز في المملكة المتحدة) في استكشاف معالم المنهج الكمي في دراسة التاريخ الحضاري، وانتقلت معه عبر قاعات المحاضرات إلى جامعات وهران في الجزائر، وجامعة التحدي في مصراتة الليبية، حتى أينعت في جامعة مؤتة الأردنية طوال ثلاثة عشر عاماً (1995-2008 م)، اتجه بعدها نحو منعطف جديد بدأه في إنكلترا، حيث أسس هناك في مدينة نورث شيلدز (North Shields) سنة 2011، مركزاً تطوعياً معنيا بتقديم خدماته دونما مقابل يحمل اسم (مركز الحسّو للدراسات الكمية والتراثية). ويعتبر الخطاب المسجل فيديويًا والذي وجهه بمناسبة إشهار المركز رسمياً، في شهر آذار وبعد سنة من تأسيسه (2012)، وثيقة رسمية حددت أهدافه وفلسفته المنهجية التي ترى في المنهج الكمي الإحصائي، ضرورة ملزمة للباحثين، لا يجوز تجاوزها، كلما كانت المادة التي يقومون بدراساتها قابلة للقياس رقمياً، وأن عدم الالتزام بها، يعني نزوعاً نحو الانتقائية وابتعاداً عن جانب من الحقيقة، واقترباً من الخطأ؛ وهو أمر لا يمكن قبوله علمياً، لأنه يؤدي إلى نتائج منقوصة أو مشوهة، وقد نصت وثيقة الإشهار أيضاً على أن المركز نافذة مفتوحة للباحثين والمفكرين والمهتمين بالدراسات التاريخية والتراثية، ومنبر علمي حراً لتبادل الأفكار والخبرات، يعمل على اشاعة ثقافة المنهج الكمي، ويدعو الى التعامل مع التراث المدون والمسموع والمصور بموجب المنهج الكمي الإحصائي. كما تضمنت الوثيقة دعوتين لمؤازرة المركز، خاطب الدكتور الحسّو في أولاهما المؤرخين والمفكرين والمفهرسين والمعنيين بالمنهج الكمي لمساندة المركز وإرفاده بأرائهم وكتاباتهم، وخاطب في ثانيتهما الجيل الشاب من المؤرخين والمؤرخات بقوله :

(أتوجه بدعوة الى طلبتي بالأمس وزملائي اليوم، ممن كان لي شرف العمل العلمي بمعيتهم، والإشراف على

(37) حملت الرسالة الأولى عنوان: العراق في السياسة المملوكية (656هـ - 748هـ) وقد تقدم بها الباحث بونس المولى الى قسم التاريخ بجامعة الموصل (1988م): وحملت الرسالة الثانية عنوان: العلاقات السياسية المملوكية التركمانية خلال عهد دولة المماليك الجراكسة (784 - 932هـ) / وقد تقدمت بها الباحثة حنان جاسم الى قسم التاريخ بجامعة الموصل (1991م).

(38) اهتمت الدكتوراة اخلاص العيدي منذ سنة 2008 باستخدام المنهج الكمي وإشاعة ثقافته، ومن ذلك مشاركتها بدراسة كمية تحت عنوان: (المرأة المسلمة العالمية كما أرخ لها المقريري في كتابه: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة - دراسة كمية) في المؤتمر الدولي الثالث في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين... في الشارقة 2017 ونشر في وقائع المؤتمر سنة 2017

(39) اهتمت الدكتوراة حنان الخريسات بعد حصولها على الدكتوراه سنة 2008 باستخدام المنهج الكمي وإشاعة ثقافته، ومن ذلك مشاركتها بدراسة كمية تحت عنوان: (أعلام الجزيرة العربية في كتاب محمد بن فضل الله المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر- دراسة تاريخية باستخدام المنهج الإحصائي الكمي) وقد شاركت به في الندوة العالمية التاسعة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي أوائل سنة 2021.

أطروحاتهم، أو مناقشتها بين سنتي 1973-2011 م، في كل من : الموصل بالعراق، وهران بالجزائر، ومصراتة بليبيا، وموتة بالأردن، ومسقط بعمان، ممن عرفوا أهمية التعامل مع النصوص التاريخية إحصائياً.. أَدْعُوهم الى ان يكونوا روادا في اشاعة ثقافة المنهج الكمي، أمانة أرجو ان يسمحوا لي ان أُحْمَلَهُم ونفسي، مسؤوليتيها على مدى الزمن جيلا بعد آخ). (40)

وهكذا فقد اجتمع شمل (الأمناء) المؤمنين بهذا المنهج العلمي في البحث، تحت رايته من طلبته وزملائه من كل البلدان التي أشار إليها في دعوته، الى جانب أرباب الفكر والمعرفة الذين تبنا رسالة المركز وساندوها، وساهموا بتقديم المشورة، كلما احتاجت إليها، وهم الذين تشكلت منهم هيئة المركز الاستشارية، التي يشعر كاتب هذه السطور بالفخر أنه كان ولما يزل من ضمنهم.

لقد كان انفتاح المركز على الفئات الشابة من المؤرخين، والمؤرخات واختيار أول فريق عمل منهم فيه، واسترشاده بمصدر الحكمة ومنبع العلم المتمثل بمجموعة كريمة من أساتذة الفكر واللغة والأدب والتاريخ، كان مقصودا، لاكتساب قوتين أساسيتين: قوة وحماس الشباب، وقوة وخبرة الحكماء.

ولقد واصل الاستاذ الدكتور أحمد الحَسُو نشاطه في تحمل مسؤولية إدارة هذا المركز لمدة عشر سنوات (2011-2021) حتى إذا اطمئن إلى واقعه ومستقبله، عمد- إيمانا منه بدور وقدرة أمناء المنهج الكمي من الشباب والشابات - إلى العهد بقيادته إلى الدكتورة سوسن الفاخري التي كانت من أبرز من تتلمذ على يده، وأبدع في استخدام المنهج الكمي في البحث التاريخي، وهي تتولى منذ الأول من نيسان من سنة 2021م مسؤوليتها بكفاءة مشهود لها، وفي إطار قيادة جماعية يقف الى جانبها فيها فريق العمل والأعضاء العاملون في المركز، وممثلوه في الأردن وليبيا والجزائر والمغرب، في حين يقف الحَسُو على قمة الهرم رئيسا للمركز متفرغا لمتابعة سياسته العامة ورئاسة تحرير مجلته الأكاديمية إلى جانب مديرة المركز، مساعداً ومرشداً، يشعر بالسعادة وهو يرى - بعد مرور عقد على تأسيسه - طلابه السابقين (والأساتذة الحاليين)، يجتمع شملهم حول المركز وفيه، وإذا باحثون آخرون وباحثات، يسارعون الى الانضمام إليه، وأنه اليوم ينتشر مشرقاً ومغرباً ولديه (ممثلات) نشطة في كل من ليبيا، والجزائر، والمغرب، والأردن وفلسطين والبحرين والعراق، كما ان لديه تعاوناً وأنشطة مشتركة مع مؤسسات ومراكز علمية واكاديمية، منطلقا نحو المستقبل مسترشداً ومستوحيا خطته الخمسية (2021-2026) (41).

وفي ختام هذا العرض لجهود الاستاذ الدكتور الحَسُو في استكشاف وخدمة المنهج الكمي في البحث التاريخي والحضاري، نرى الحَسُو يفكر بعدد من المشاريع التطبيقية في مجال البحث الكمي ويضعها أمانة بيد الجيل الجديد من المتشبعين بثقافة المنهج الكمي، وهي:

“أولاً: الاستفادة من المنهج الكمي في استحداث قاعدة معلومات لغوية، تستوعب اللغة الفصحى والدارجة، وتتبع معاني مفرداتها وأصولها كما هي اليوم، وكما كانت في متغيرات الزمان والمكان من قبل .

ثانياً: الاستفادة من المنهج الكمي في استحداث قاعدة معلومات فهرسية موسعة وقابلة لاستيعاب ما هو جديد ومبرمجة بطريقة تؤمن للباحثين الإفادة من مخرجاتها.

ثالثاً: الاستفادة من المنهج الكمي باستحداث قاعدة معلومات ومصورات وثائقية خطية، تستوعب المخطوطات والوثائق العربية بصيغ مصورة، وبصيغ معلوماتية مبرمجة حسب قواعد المنهج الكمي” (42)، وهي التي اوضحنا ابعادها وأهميتها في المتن.

(40)أجربنا - للضرورة الأسلوبية - تغييرا طفيفا على النص كما نشر في وثيقة اشهار المركز

(41)الحَسُو، تجربي مع المنهج الكمي، رسالة في تاريخ 2022/1/20.

(42)الحَسُو، رسالة جوابية بتاريخ 2022/1/28.

وقبل ان اختتم هذا العرض المركز لجهود زميلي الدكتور الحَسُو في خدمة المنهج الكمي في البحث توجهت إليه بهذا السؤال:

هل تشعر بعد هذه الجهود الكبيرة في البحث، أنك تنتمي إلى إحدى المدارس الفكرية أو الفلسفية في دراسة التاريخ أم أنك مؤرخ تبحث عن الحقيقة بكل ما تيسر لك من وسائل، ومن غير تمذهب بمذهب معين؟ فأجابني قائلاً: "من الناحية المنهجية أنا متأثر بمدرسة الحوليات (الفرنسية لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي)، ولكنني في ذات الوقت مؤرخ يبحث عن الحقيقة ليس إلا" (43).

يظهر مما تقدم، أن البحث عن الحقيقة هو الهدف الأسمى الذي يبحث عنه زميلي الاستاذ الدكتور الحَسُو في بحوثه، وقد توصل إلى استخدام المنهج الكمي لأنه وجد فيه ما يساعده على ان يصل إلى الحقيقة أو ما يقربه منها، بسبب ما يتسم به من دقة في استخدام الرقم والاحصاء والحاسوب الآلي (الكومبيوتر). وهو قد وجد نفسه قريباً أو متأثراً بمنهج مدرسة الحوليات من دون ان ينتمي إليها أو يتمذهب بمذهبها وهو في هذا يلتقي مع توجه معظم المؤرخين الموضوعيين في العالم.

والحقيقة، أنني كنت من أشد المتحمسين لهذا الموقف الحيادي الذي يرفض (التمذهب المدرسي) في البحث التاريخي، وقد نشرت دراسة بعنوان: "إشكالية وجود مدرسة تاريخية عراقية معاصرة في كتابة التاريخ" تعبر عن هذا الموقف في المجلة القطرية للتاريخ والآثار في سنة 2000 كما قدمته في ندوة علمية عامة ضمت مشاركين من معظم أقسام التاريخ في الجامعات العراقية (44).

وقد جاء هذا الموقف موافقاً لما سبق وإن أشار إليه الدكتور طريف الخالدي بقوله: "إن أغلبية المؤرخين لا يلتفتون إلى الأسس أو المبادئ النظرية التي يركز عليها علمهم، بل انهم يدونون الأحداث التاريخية ويفسرونها على ضوء ما توجي به مادتهم، لا استناداً إلى مبادئ ونظريات فلسفية أو قوانين طبيعية أو غير طبيعية" (45).

(43) الحَسُو، رسالة جوابية بتاريخ 2022/1/28.

(44) أعدت نشر هذه الدراسة في كتابي: قراءات معاصرة في الفكر والتاريخ والحضارة، عمان، 2019، ص 412-436.

(45) الخالدي، بحث في مفهوم التاريخ في منهجه، بيروت، 1982، ص 55.

المظاهر الكمية للرق في الغرب الإسلامي خلال

العصر الوسيط

أ.د. عبد الاله بنمليح

تروم هذه المداخلة الإسهام في الحركة العلمية لمركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية، والسعي إلى إثارة النقاش عن قضية محددة تهم الرق والرقيق في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، راجيا أن يكون لهذه المساهمة ما بعدها، على سبيل الإغناء، سواء بالملاحظة أو التعقيب أو النقد.

اخترت لهذه المداخلة، انسجاما مع الخط العلمي للمركز، العنوان التالي: "المظاهر الكمية للرق في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط". ويحيل الشطر الأول من العنوان: المظاهر الكمية، على نوعين منها:

- المظاهر الكمية المستنبطة من المعطيات الأدبية، التي تستعمل الصيغة المفردة، مثل كثير/ وفير/ جم .. والصيغة المركبة، مثل جم غفير/ عدد كبير ..
- المظاهر الكمية المستقاة من المعطيات الرقمية الصريحة، الواردة على شكل أرقام وأعداد ..

ويظل عمل المؤرخ، وهو يقرب النصوص والروايات، مترواحا بين النوع الأول، أي المعطيات الأدبية وبين النوع الثاني أي المعطيات الرقمية، جيئة وذهابا، في الاتجاهين معا، ممتطيا سبيل المقارنة والمقابلة، مؤكدا تارة ونافيا تارة ثانية وموفقا تارة ثالثة، سواء كان محللا أو مفسرا أو مؤولا .. وهو تعدد يوجي بنوع من الحركة، غير أنه في الآن نفسه يجعل المؤرخ وجها لوجه أمام تناقضات، يرى من واجبه تفسيرها وفك ألغازها الثاوية وراء الخلفيات والمقاصد والغايات، مسلحا بمجموعة من الأسئلة، من قبيل:

1. هل تعبر المعطيات الأدبية عن معطيات رقمية غائبة أو مغيبة؟
 2. هل استندت المعطيات الرقمية الواردة في المصادر على سجلات ودواوين، يمكن الاطمئنان إليها، على الرغم من طابعها الرسمي، باعتبارها صادرة عن السلطة السياسية أو الشرعية [الحاكم/ القاضي/ المحتسب ..]؟
 3. الخلفيات الكامنة وراء كل من المعطيات الأدبية والمعطيات الرقمية؟
 4. هل يمكن للتناقضات القائمة في المعطيات بشقيها الرقمي والأدبي أن تشل عمل المؤرخ؟
- هي غيظ من فيض من الهواجس / الأسئلة التي يطرحها الباحث عادة وهو يعيد بناء حدث ما في الماضي، سواء اتخذ هذا الحدث شكلا سياسيا أو عسكريا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أو ثقافيا أو ديمغرافيا.
- وأملت علي هذه التساؤلات القيام بعرض تجربتي مع الوجه الكمي لموضوع الرق في مجتمع الغرب الإسلامي الوسيط، متبعا الخطوات الثلاث التالية:

• تبيان مقتضب لأهمية المقاربة الديمغرافية التاريخية ونجاعتها في الحقل التاريخي:

• عرض تمثيلي لتجارب متنوعة ورائدة:

• الرقيق في الغرب الإسلامي الوسيط من زاوية كمية، مع التركيز على مباحث ثلاثة هي الأسعار والتوزيع والأعداد.

1. أهمية المقاربة الديمغرافية التاريخية ونجاحاتها في الحقل التاريخي:

تعود صلتني بالديمغرافيا التاريخية إلى اهتمام علمي شخصي، تابع من قراءات لنصوص حبلني بالإحياءات الديمغرافية تارة، وبالإشارات العددية السريعة تارة أخرى. وأثمر هذا الاهتمام دعوتي مجموعة من زملائي في قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، إلى تأسيس مجموعة بحث في الديمغرافيا التاريخية. وهو ما تم في صيف سنة 1994 [أي منذ أكثر من ربع قرن]، وأسفر هذا التقاسم وعمل هذا الفريق، في خطوة أولية، عن إصدار عدد من مجلة الكلية، بمحور خاص عن الديمغرافيا التاريخية¹. وتمت تأسيسه هذا العمل بإصدار مجلة تحمل عنوان: "كنائش"، لم يصدر منها، للأسف، غير أربعة أعداد.. ثم توقف قطارها. وفي خضم ذلك تم عقد ندوة علمية وطنية بشراكة مع الجمعية المغربية للبحث التاريخي³، أيام 23 - 25 أكتوبر 1999، بعنوان: "الديمغرافيا في تاريخ المغرب".

وعلى الرغم من توقف مسيرة المجموعة السالفة الذكر، فقد كانت النتائج إيجابية، من خلال ملاحظة حضور المقاربة الديمغرافية التاريخية في مجمل البحوث والأعمال الأكاديمية المغربية، انطلاقاً من البذرة الأولى، التي كان لي شرف زرعها في أواسط العقد الأخير من القرن الماضي⁴. ومن شأن قراءة سريعة لعناوين مجموعة من الأبحاث والأطاريح الجامعية، تعود إلى هذه الفترة وما بعدها، أن تظهر الإقبال الكبير والحضور القوي للهاجس الكمي.

نشأت الديمغرافيا التاريخية بصورة فعلية في فرنسا في خمسينيات القرن 20، حين وُلدت في "المعهد الوطني للدراسات الديمغرافية" INED، عبر دراسة مشتركة بين لوي هنري Louis HENRY وميشيل فلوري Michel FLEURY، صدرت سنة 1956 بعنوان: "Des registres paroissiaux à l'histoire de la population, Manuel de dépouillement de l'état civil ancien"، وضعت أسس منهج البحث في الحالة المدنية القديمة واستغلالها، استناداً إلى ما كانت تتيحها السجلات الكنسية⁵.

ويقوم هذا المنهج على تجميع العقود المتوفرة، على مستوى القرية، وفق أسماء النّسب، وتنزيلها في جذاذات أسروية، تتضمن تواريخ الميلاد والتعميد ومكانه والزواج والوفاة. وفي مرحلة لاحقة يتم استخراج جداول إحصائية تهم خصوبة النساء ومتوسط الأعمار والتوزيع الزمني للولادات.. وغير ذلك⁶.

وما كان لهذه النتائج أن تتحقق لولا انفتاح الديمغرافيين على الحقل التاريخي وتبنيهم المقاربة التاريخية، وفي مقابل ذلك اهتمام المؤرخين بالديمغرافيا، وهو ما انطلق مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية، ليثمر في فرنسا بعد سنوات معدودات تأسيس المعهد الوطني للدراسات الديمغرافية [INED]، وإصدار مجلة "Population"، التي فتحت المجال أمام مساهمات العلوم الاجتماعية الأخرى.

ومنذ سنة 1952 تتابعت الأعمال في حقل الديمغرافيا التاريخية مع كل من Michel و Louis HENRY و Pierre GOUBERT و Marcel REINHARD الذي أصدر كتابه الشهير: "Histoire de la population mondiale de 1700 à 1948"، وعزز

(1) ضم خمسة مقالات عن التاريخ الكمي والديمغرافيا التاريخية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، العدد 06، 1996.

(2) العدد الأول، 1999، بعنوان: الديمغرافيا في تاريخ المغرب/العدد 02، 2000، بعنوان: قضايا في الديمغرافيا التاريخية/العدد الثالث، 2001، بعنوان: الديمغرافيا التاريخية في أدب الرحلة/العدد 04، 2002، بعنوان: الديمغرافيا التاريخية في أدب المناقب والتراجم والفهارس.

(3) الأيام الوطنية السادسة.

(4) على المستوى الشخصي أنجزت مجموعة من الأبحاث ذات الصلة بالتاريخ الكمي والمقاربة الديمغرافية التاريخية، أذكر منها:

• قراءة في نصوص مغربية من زاوية ديمغرافية: أنموذج الفترة الوسيطة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد السادس، 1996، صص 07-26.

• الحرب في تاريخ المغرب الوسيط: مقارنة ديمغرافية تاريخية، مساهمة في يوم دراسي بعنوان: "البحث العلمي والتاريخ العسكري"، تنظيم اللجنة المغربية للتاريخ العسكري بالرباط، فاس، يوم 27 أبريل 2006.

• معطيات ديمغرافية تاريخية في مقدمة كتاب العبر، قراءة في المقاربة الخلدونية، مجلة "عصور"، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2010، العدد 16، صص 147-158.

(5) Jacques DUPAQUIER, Démographie historique, Dictionnaire des sciences historiques, sous la direction de André BOURGUIERE, Presses Universitaires de France (PUF), Paris, (1986, p.185.

(6) Ibidem .

جهوده بإنشاء مؤسسة الديمغرافيا التاريخية سنة 1963، ويصدر المجلة المتخصصة: حوليات الديمغرافيا التاريخية: "Annales de démographie historique".⁷

ويضيق المقام عن استعراض تطور الديمغرافيا التاريخية: موضوعا ومنهجيا، في فرنسا وأنجلترا وبلجيكا وسويسرا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل وغيرها، وتكفي الإشارة إلى أن هذا الامتداد المجالي والتلاقح بين الديمغرافيا والتاريخ أسفر عن ميلاد الأنثروبولوجيا التاريخية، وتوطد علاقتها بالديمغرافيا التاريخية، وتجاوز النظر إلى التاريخ الكمي *l'histoire quantitative* كموضة عابرة. إذ بموازاة نمو وعي المؤرخين الديمغرافيين بالحاجة إلى توسيع مجالات موضوعاتهم، أصبح "المؤرخون الجدد" أكثر اهتماما بمشاكل التمثيلية [les problèmes de représentativité].⁸

وهكذا راكمت الديمغرافيا التاريخية عبر مسارها إنجازات مهمة، غير أن ذلك لا يحجب ملاحظة العديد من السلبيات التي عانت منها، والثغرات والمشاكل التي ظلت من دون حلول، ذلك أنه بناء على نقط الضعف، وليس القوة، تتحدد التوجهات المستقبلية لكل حقل معرفي، وهو ما عبر عنه Jacques DUPAQUIER بقوله: "إن الطريقة التي يتم بها تجاوز هذه الصعوبات، هي التي من شأنها أن تسهم بنصيب وافر في رسم مستقبل الديمغرافيا التاريخية".⁹

وإذا كان هذا حال الديمغرافيا التاريخية: نشأتها وتطورها 10 في مجتمعات أوربية وأمريكية تتمتع بخصوصيات معينة وتوظف الإمكانيات المتاحة، ابتداء من السجلات الكنسية، فماذا عن حال المجتمعات الأخرى، خاصة المجتمع العربي الإسلامي، وضمنه مجتمع الغرب الإسلامي؟

2. عرض نماذج من تجارب عربية في اعتماد المقاربة الكمية:

لا تكاد تخلو مقدمة كل دراسة أثارت موضوعا أو مواضيع تهم الديمغرافيا التاريخية من إقرار صاحبها بالعجز وقصر ذات اليد تجاه قضايا تستدعي التسلح بمناهج تحليلية دقيقة تفك رموزها وما استغلق من إشكالاتها، خصوصا وأنها تنطوي على أدبيات ذات طابع كمي ومؤشرات إحصائية.¹¹

وسواء تعلق الأمر بكوارث طبيعية أو حروب أو هجرات جماعية، فإن مفارقة غريبة تعترض الباحثين، تتمثل في حضور ديمغرافي واضح في مقابل غياب أرقام دالة.

وتعد الدراسة التي أنجزها الباحث التونسي محمد الطالبي، بعنوان: "الانهيار الديمغرافي في بلاد المغرب من القرن 11 إلى القرن 15"، رائدة في حقل الديمغرافيا التاريخية، ولم تسلم افتتاحيتها من إقرار بالعجز، الذي لم يعتبره صاحبها حائلا بينه وبين البحث في الخطوط العريضة للتطور الديمغرافي لبلاد المغرب في تلك الفترة.

ويبدو أن العوائق المصدرية التي واجهت الباحث محمد الطالبي منذ أكثر من 40 سنة ما زالت قائمة في وجه الباحثين، وإن بشكل أقل حدة: ما دام الثابت هو الطابع الأدبي / الوصفي، والمتغير هو أدوات البحث ومناهجه. ذلك أنه أمام الفراغ المهول المسجل في مصادرها التقليدية المغربية، وأمام الخلفية أو الخلفيات التي تتحكم في صياغة معطيات

.Ibid, p. 187 (7)

.Ibid, pp. 187 - 188 (8)

.Ibid, p. 190 (9)

(10) للتوسع أكثر في الموضوع يمكن مراجعة:

Jacques DUPAQUIER, Histoire et démographie, Population, année 1977, volume 32, n°1, pp. 299 - 321

P. -A ROSENAL, La nouveauté d'un genre ancien : Louis HENRY et la fondation de la démographie historique, Population, année 2003, volume 58, n°1, pp. 103 - 136

Claire LEMERCIER, Claire ZALC, Méthodes quantitatives pour l'historien, coll. Repères, Editions la Découverte, Paris, 2008

(11) انظر عبد الإله بنمليح، قراءة في نصوص تاريخية مغربية... مقال سابق، صص 7 - 26.

.pp. 51 - 60, 98-Mohamed TALBI, Effondrement démographique au Maghreb du XI au XVI siècle, Cahiers de Tunisie, 1e et 2e trimestre, Tome XXV, 1977, n° 97 (12)

رقمية معينة، لا يسع الباحث غير الاستعانة بنماذج محددة من الدراسات الديمغرافية التاريخية الأوروبية الأمريكية عامة، والفرنسية خاصة.

وفي اعتقادنا أن أول خطوة في هذا الاتجاه هي القيام بقراءة مصدرية متأنية، بغية الوصول إلى الأهداف المرورية التالية:

• استخلاص التعابير الأدبية ذات الشحنة الديمغرافية في المصادر التاريخية؛

• تصحيح بعض المقولات، اعتماداً على آليات وأدوات جديدة؛

• تنويع المصادر المعتمدة في البحث التاريخي.

وفي المبحث الثاني من هذه المساهمة سنعرض لتجربتين عربيتين في هذا الصدد: التجربة الأولى ذات طابع منهجي، للمفكر والمؤرخ المغربي عبد الله العروي، والتجربة الثانية ذات طابع معرفي تطبيقي، للمؤرخ السوداني عز الدين عمر موسى.

1. " التاريخ بالعدد" للأستاذ عبد الله العروي:13

اتخذ عبد الله العروي هذه العبارة "التاريخ بالعدد" عنواناً للفصل الخامس من كتابه الشهير: "مفهوم التاريخ"، في القسم الثالث من الجزء الأول منه، الذي عنوانه: "تاريخيات"، والذي ضم مباحث: التاريخ بالخبر / التاريخ بالعهد / التاريخ بالتمثال / التاريخ بالأثر الطبيعي / التاريخ بالموروث / التاريخ بالحلم / التاريخ بالمفهوم ..

وتكشف قراءة هذا المبحث عن المعطيات المنهجية التالية:

• إسهام اختراع الحواسيب الإلكترونية في إحداث قفزة نوعية في الكتابة التاريخية ذات الهاجس الكمي، وتتجسد في اختصار عمل فريق كبير من الباحثين خلال سنوات، في عمل فردي في وقت قصير14.

• تدشين الولايات المتحدة الأمريكية لهذه الطفرة ومنها انتقلت إلى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا ثم إلى بلدان أخرى "تملك وثائق رقمية كثيرة ومنسّقة"15، حسب تعبيره.

• وجود تيارين اثنين يتجاذبان ولوح ميدان البحث الكمي:

• تيار أول: يلح على ضرورة امتلاك الباحث طوابير من الأعداد المتناسقة، تشكل مادة قابلة للمعالجة الإحصائية.

• تيار ثان: يرفض هذا الشرط، باعتباره يحد من حرية البحث، ومن محاولة تطبيق المناهج الإحصائية16.

• بروز ثلاث مستويات للتاريخ بالعدد:

• المستوى الأول: دراسة الإنتاج والمبادلات؛

• المستوى الثاني: دراسة التسكان وحياة الأسر؛

(13) عبد الله العروي، مفهوم التاريخ: الألفاظ والمذاهب، ط. 2، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ج. 1، صص 136 - 150.

(14) نفسه، ج. 1، صص 136 - 137.

(15) نفسه، ج. 1، ص 137.

(16) نفس المرجع والجزء والصفحة.

• المستوى الثالث: دراسة النفسانيات والعقائديات.

ويظل الانتقال من مستوى إلى آخر رهينا بالزمن أولا وبطبيعة الوثائق المتوفرة ثانيا وبتأويل النتائج الإحصائية ثالثا¹⁷.

• للجواب عن سؤال: ماذا يعني العدد المستعمل في الدراسات الكمية؟ يطرح عبد الله العروي التساؤل التالي: "هل هو رمز مباشر لشيء ملموس، كما هو الحال في الطبيعيات، أم هو رمز بواسطة، والواسطة هنا هي عمل المؤرخ؟"¹⁸.

• توقف الباحث عند ثلاثة مراحل، وهو بصدد نقد منهج التاريخ بالعدد:

• مرحلة التعبئة: التي تهم الترجمة من لغة الألفاظ إلى لغة الأعداد؛

• مرحلة التأويل: التي تهم الترجمة العكسية من الرقم إلى الواقع.

وتقع العملية الحسابية في مرحلة وسطى بينهما¹⁹.

وقاد هذا التشخيص الدقيق للتاريخ بالعدد المؤرخ عبد الله العروي إلى خلاصة عريضة، على قدر كبير من الأهمية، يقول فيها: "إن التاريخ بالعدد لا يطرح قضية التأشير [إلصاق رقم بمعلومة تاريخية] بقدر ما يطرح قضية المنطق الإحصائي"²⁰.

2. "علماء المدينة المنورة في العصر الأموي من خلال طبقات خليفة بن خياط نموذجاً" للأستاذ عز الدين عمر موسى²¹:

انطلق الأستاذ الباحث في مقدمة كتابه "وقفات منهجية مع المفاهيم والمنظور والأساليب" من تساؤلات ثلاثة، صاغها في الفقرة التالية: "أليس من الممكن أن يأخذ مؤرخ التاريخ الإسلامي "المنهج الكمي" الذي ثبتت فائدته الكبرى في سائر العلوم التجريبية والتطبيقية والإنسانية نتيجة للثورة التقانية المتسارعة المتصاعدة؟ وماذا لو عدّله إلى أسلوب إحصائي يتناسب مع الثروة العظيمة التي تتركها كتب التراث؟ أليس من الممكن أن تظهر نتيجة التطبيق حقائق جديدة قد تؤكد ما يعرف أو تعدله أو تبطله؟"²².

وهي التساؤلات التي أجاب عنها عندما قام بإنجاز مجموعة من الأبحاث تستجيب لهذه المطالب، اتخذنا أحدها أنموذجاً في هذه المقالة، لعرض تجربة رائدة، ثبت الاقتداء بها. ويتعلق الأمر بمقاله الموسوم بـ: "الأسلوب الإحصائي: علماء المدينة المنورة في العصر الأموي من خلال طبقات خليفة بن خياط نموذجاً".

لا يعلق الباحث آمالاً عريضة على المنهج الكمي بمفهومه الأوربي، لذلك عدّله إلى الأسلوب الإحصائي، تماشياً مع طبيعة المصادر العربية الإسلامية، التي يصف إحدى أجناسها، وهي كتب تراجم الرجال، بالكثرة وجفاف المعلومات²³. ويقرر أن هذا الأسلوب "وإن لم يعط نتائج حاسمة فهو على الأقل سيقدم فرضيات جديدة تعيد النظر فيما سبق بحثه

(17) نفسه، ج1، ص 145.

(18) نفسه، ج1، ص 146.

(19) نفسه، ج1، صص 146 - 147.

(20) نفسه، ج1، ص 148. ولتعميق فهم دلالات مفهوم التاريخ بالعدد عند عبد الله العروي، يمكن مراجعة مقال جديد، صدر هذه السنة، لبشير مبارك، بعنوان: أثر المنهج الكمي في الدراسات التاريخية، قراءة في كتاب مفهوم التاريخ لعبد الله العروي، مجلة دفاتر البحوث العلمية، الصادرة عن المركز الجامعي مرسلني عبد الله، تيبازة، الجزائر، المجلد 9، العدد 1، السنة 2021، صص 84 - 94.

(21) عز الدين عمر موسى، وقفات منهجية مع المفاهيم والمنظور والأساليب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، صص 121 - 203.

(22) نفسه، ص11.

(23) نفسه، ص121.

لن نتبع الباحث في دواعي اختياره للمدينة المنورة بالذات ولطبقات خليفة بن خياط من دون غيره وللإشكالات الثمانية لموضوعه25 ، فذلك مما يطول عرضه، وإنما سنستكشف معه خلاصاته وهو يخوض غمار مغامرات الأسلوب الإحصائي وتطبيقاته، حسب تعبيره26.

لقد نجح المؤلف، وهو يرسم المبيانات ويسطر الجداول، انطلاقاً من المتن الذي اعتمده، في تحديد عدد التابعين وطبقاتهم27، وفي توزيعهم فئويًا وقبلًا28، وتتبع مسألة الحلفاء ودلالاتها29، وقضية الولاء وأبعادها30، من خلال مجموعة كبيرة من الجداول الزاخرة بالمعلومات، فرضت عليه خصها بملحق في نهاية بحثه31.

وهكذا توزعت خلاصات المؤلف بين:

- نقد داخلي لبنية المتن المعتمد وهو طبقات خليفة بن خياط؛
- فحص داخلي لمنهج خليفة بن خياط في طبقاته؛
- تصحيح مقولات متداولة عن نصيب إسهامات علماء المدينة المنورة: صليبية وحلفاء وموالي.

ولن نجد تعبيراً أوضح من الخلاصة التي سطرها المؤلف في نهاية بحثه، والتي ورد فيها: " ينبغي ألا تؤخذ هذه النتائج كمسلمات جديدة لأنها تعبر عن الصورة البصرية بعيون خليفة بن خياط ... فلا بد من إجراء إحصاءات مشابهة من مصنفات أخرى ومدن مغايرة ... ولكن يحسب لهذا العمل أنه أثار غباراً حول عدد من المسلمات المتداولة عن الحياة العلمية في العصر الأموي"32.

الرقيق في الغرب الإسلامي الوسيط من زاوية كمية:

وجب التنبيه في البداية إلى أمرين:

أولهما، أن المسألة لا تتعلق بالحديث عن الرق في المجتمع المغربي الوسيط كمؤسسة قائمة الذات، وتتبع امتداداتها على المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فذلك موضوع آخر سبق لنا تناوله33، وإنما ستم إثارة المظاهر الكمية المرتبطة بالرق.

ثانيهما، لا يستقيم الحديث عن الزاوية الكمية للرق في المغرب الوسيط من دون الحديث عن الفضاء الذي يتيح للباحث تبني المقاربة الكمية، نقصد بذلك السوق، الذي تنعقد به في الغالب، عمليات العرض والبيع والشراء.

السوق:

(24) نفس المرجع والصفحة.

(25) نفسه، صص 124 - 137.

(26) نفسه، ص124.

(27) نفسه، صص 138- 142.

(28) نفسه، صص 142 - 153.

(29) نفسه، صص 153 - 155.

(30) نفسه، صص 155 - 161.

(31) نفسه، صص 165 - 203.

(32) نفسه، ص163.

(33) انظر عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2004.

أتاحت لنا مراجعة المعلومات المتوفرة عن أسواق الرقيق في الغرب الإسلامي الوسيط، على الرغم من شح المادة المصدرية، أن نقف على عدة عناصر تروحي بظلالها على ما أصدرناه من أحكام ومقولات تهم تكميم حضور الرقيق في المجتمع، سواء على المستوى المكاني أو الزماني، من قبيل:

• مساحة السوق؛

• عدد أيام انعقاد السوق وفتراته؛

• دور المكلف بمهمة بيع الرقيق: الدلال أو النحاس، وشروط توليه ذلك؛

• ترتيبات عمليات بيع الرقيق، وعلى رأسها وجوب تسجيلها في دفتر؛

• تدخل السلطة السياسية [أنموذج السلطة الموحدية خلال القرن 12/هـ6م] والدور المنوط بالمحتسب؛

• ممارسات النحاس قبل عرض الرقيق للبيع [حيل التجميل].

إن من شأن الالتفات إلى هذه العناصر وأخذها بعين الاعتبار وإيلائها عناية خاصة، باعتبارها مؤشرات تتدخل في تحديد الأرقام الصريحة والمضمرة، أن يحقق الوعي بنسبية ما انتهينا إليه من نتائج وخلصات.

الأسعار والتوزيع:

ارتبط سعر العبد أو الأمة في أسواق الرقيق بمجموعة غير متناهية من المحددات، نجملها فيما يلي :

• آليات السوق من عرض وطلب؛

• حالة الرقيق : ويدخل ضمنها : جنسه وسنه وقدراته الجسمانية والثقافية؛

• القدرة الشرائية للراغب في اقتناء العبيد والإماء، وترتبط بها عملية المزايمة في السوق والحاجة إليهم؛

• حيل النحاسين وخدعهم.

وبخصوص أسعار الرقيق، قمنا اعتماداً على ما تمدنا به المصادر من معطيات رقمية، برسم جداول أربعة :

جدول أسعار رقيق المغرب والأندلس ما قبل القرن 5/هـ11م (يحمل رقم 1).

جدول نماذج من أسعار الرقيق بالمشرق الإسلامي قبل القرن 5/هـ11م (تحت رقم 2)

جدول أسعار رقيق المغرب والأندلس خلال القرنين 5-6/هـ11-12م (تحت رقم 3).

جدول نماذج من أسعار رقيق المغرب الأقصى والأندلس وبلاد السودان بعد القرن 6/هـ12م (تحت رقم 4).

وراعينا في رسم هذه الجداول ما يمكن أن تكشف عنه من خلاصات تهم الأسعار ومقارنتها في الزمان والمكان مع جهات أخرى.

وتكشف قراءة أولية للجداول الأربعة الرئيسية 34، عن معطيات رقمية مبعثرة في المصادر، تسنى لنا جمعها. وتتيح

(34) انظر ملحق الجداول في نهاية هذا البحث.

مناقشة خلاصاتها فرصة تأكيد فرضيات ودحض أخرى، استنادا إلى الأدبيات المصدرية التي تحمل بدورها تعبيردالة وقوية.

وهكذا فإن استنطاق الأرقام الواردة في الجدول رقم 3، الذي يخص أسعار رقيق المغرب والأندلس خلال القرنين 5-6هـ/11-12م، ومقارنتها بالجدول الثلاثة الأخرى، يمكن من تصنيف الرقيق وتوزيعه حسب المستويات التالية :

1 - مستوى التوزيع حسب الجنس :

جدول رقم 5 : توزيع الرقيق حسب الجنس في المغرب والأندلس خلال القرنين 5-6هـ/11-12م

النسبة المئوية	عدد الحالات	الجنس
30	06	الذكور
70	14	الإناث
100	20	المجموع

يتبين من الجدول أعلاه (رقم 5) أن الإقبال على الإماء يشكل أكثر من الضعف بالنسبة للذكور. وهي خلاصة نجد تأكيدا لها فيما تحفل به المصادر من إشارات إلى وفرة السبي خلال الحروب والمواجهات العسكرية، سواء على الجبهة الخارجية أو الداخلية، إذ كان مصير معظم الرجال القتل أو الفداء، في حين كان مصير معظم النساء والذرية الاسترقاق.

كما نجد مصداق ذلك في شيوع إقبال المغاربة والأندلسيين على الإماء لحاجتهم إليهن، خاصة في الخدمة المنزلية، ف"البربريات أطبع الخلق على الطاعة وأنشطهم للعمل وأصلحهم للتوليد واللذة وأحسنهم للولد... والزنجيات أشد خلق الله وأجلدهم على الكد" 35. كما تقوم "الزنجية للرضاع" 36، أما الرومية، فهي "لحيطة المال والخزانة" 37.

وهكذا فإن الحرب والحاجة كانتا وراء وفرة إماء المغرب والأندلس، مقارنة بالعبيد الذكور، وهي الملاحظة ذاتها التي يفيد بها الجدول رقم 01، الذي يهم المغرب والأندلس قبل القرن 5هـ/11م، وكذا الجدول رقم 02، الذي يهم المشرق الإسلامي قبل القرن 5هـ/11م أيضا.

النسبة المئوية	عدد الحالات	الجنس
25	07	الذكور
75	21	الإناث
100	28	المجموع

جدول رقم 7 : توزيع الرقيق حسب الجنس في المشرق الإسلامي قبل ق 5هـ/11م

النسبة المئوية	عدد الحالات	الجنس
10	01	الذكور
90	09	الإناث
100	10	المجموع

جدول رقم 6 : توزيع الرقيق حسب الجنس في المغرب والأندلس قبل القرن 5هـ/11م

2 - مستوى التوزيع حسب اللون :

النسبة المئوية	عدد الحالات	الرقيق
05	01	الأبيض
35	07	الأسود
60	12	غير محدد
100	20	المجموع

جدول رقم 8: توزيع الرقيق حسب اللون في المغرب والأندلس خلال القرنين 5-6هـ/11-12م

(35) أبو عبد الله محمد السقطي المالقي الأندلسي، في آداب الحسبة، نشر كولان وليفي- بروفنسال، مكتبة إرنست لورو Ernest Leroux، باريس، 1931، ص 50.

(36) نفسه، 49.

(37) نفس المصدر والصفحة.

على الرغم من أن الحالات غير المحددة وعددها 12 من أصل 20، تضيع علينا فرصة قراءة متأنية للمعطيات التي يكشف عنها هذا الجدول، فإنها لم تبخل علينا ببعض الملاحظات :

- غلبة العبيد السود على العبيد البيض بشكل واضح، يصل نسبة 12,5% بالنسبة للبيض، و87,5% بالنسبة للسود. وهي ملاحظة نجد صدى لها في توقف تدفق الرقيق الأبيض على الأندلس والمغرب خلال القرن 5هـ/11م، بعد النشاط الكثيف الذي عرفته تجارتهم، خاصة الصقالية منهم، خلال ق 4هـ/10م.
- تفسر سيولة الاتصال التجاري والبشري بين المغرب والأندلس خلال القرنين 5-6هـ/11-12م وبلاد السودان الغربي، إقبال المغاربة على التزود برقيقهم من الجنوب عبر الصحراء 38 بدل الشمال، على الرغم مما اعترض تلك التجارة من صعوبات وعراقيل.
- إن عدم تحديد المصادر التي اعتمدها، أصول رقيق المغرب والأندلس، لم تؤثر كثيرا في الخلاصات التي انتهينا إليها، باعتبار أن حضور العبيد السود في المغرب والأندلس كان حضورا بارزا مقارنة بالعبيد البيض. وتبقى نسبة عدد الحالات غير المحددة "ظاهرة" ترتبط بطبيعة مصادرنا التي تغفل الإشارة إلى أصول الرقيق. وهذا ما ينطبق أيضا على المشرق الإسلامي. إذ تتساوى نسبة الحالات غير المحددة : 60% بالنسبة للمغرب والأندلس (ق 5-6هـ/11-12م) و59,25% بالنسبة للمشرق الإسلامي قبل القرن 5هـ/11م.

النسبة المئوية	عدد الحالات	الرقيق
14,81	04	المغرب والأندلس
14,81	04	إفريقيا
07,40	02	اليمامة
03,70	01	صقلية
59,25	16	غير محدد

جدول رقم 9 : توزيع الرقيق حسب الأصل في المشرق الإسلامي قبل ق 5هـ/11م

3 - مستوى التوزيع حسب الزمان :

النسبة المئوية	عدد الحالات	الزمان
10	02	ق 4-5هـ/10-11م
20	04	ق 5هـ/11م
10	02	ق 5-6هـ/11-12م
60	12	ق 6هـ/12م
100	20	المجموع

جدول رقم 10 : توزيع الرقيق حسب الزمان في المغرب والأندلس خلال القرنين 5-6هـ/11-12م

إن النماذج/الحالات الواردة في الجدول رقم 10 تظهر بجلاء وفرة الرقيق بالمغرب والأندلس خلال القرن 6هـ/12م، مقارنة بالقرن 5هـ/11م، وهي خلاصة يصعب تأكيدها أو نفيها، باعتبار أن مصادرنا تفتقر إلى معطيات رقمية بخصوص أعداد الرقيق في المغرب والأندلس، في حين تحفل بأدبيات تعبر عن وفرة، من خلال السبي المسلم وغير المسلم، عقب كل مواجهة حربية. وهو ما سيكشف عنه البحث في مسألة أعداد رقيق المغرب والأندلس في المحور الأخير من هذا البحث، مع تسجيلنا خلاصة أولية مفادها أن رقيق المغرب والأندلس خلال القرن 6هـ/12م (60% حدا أدنى) تجاوز بكثير رقيق المغرب والأندلس خلال القرن 5هـ/11م (40% حدا أقصى)، وهي النسب التي ظلت متقاربة، سواء مقارنة مع المغرب والأندلس قبل ق 5هـ/11م (الجدول رقم 11) أو مقارنة مع المشرق الإسلامي قبل القرن 5هـ/11م أيضا (جدول

(38) . 46-Yoro K. FALL, Modalités et formes de développement de l'esclavage en Afrique de l'ouest, pp. 44 .

ضمن كتاب، مسألة الرق في إفريقيا، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1989.

رقم 12)، مع استثناء القرن 3هـ/9م (54,54% في الجدول رقم 11) والقرن 6هـ/12م (60% في الجدول رقم 10).

النسبة المئوية	عدد الحالات	الزمان
11,11	03	ق1هـ/7م
44,44	12	ق3هـ/9م
03,70	01	ق3-4هـ/9-10م
37,03	10	ق4هـ/10م
03,70	01	غير محدد

جدول رقم 12 : توزيع الرقيق حسب الزمان
في المشرق الإسلامي قبل ق 5هـ/11م

النسبة المئوية	عدد الحالات	الزمان
09,09	01	ق1-2هـ/7-8م
54,54	06	ق3هـ/9م
18,18	02	ق3-4هـ/9-10م
18,18	02	ق4هـ/10م

جدول رقم 11 : توزيع الرقيق حسب الزمان
في المغرب والأندلس قبل ق 5هـ/11م

4 - مستوى التوزيع حول مكان البيع :

النسبة المئوية	عدد الحالات	مكان البيع
15	03	إفريقية
10	02	المغرب الأوسط
20	04	المغرب الأقصى
50	10	الأندلس
05	01	غير محدد
100	20	المجموع

جدول رقم 13 : توزيع الرقيق حسب مكان البيع في المغرب والأندلس خلال القرنين 5-6هـ/11-12م

يصعب القول إن الأمر يتعلق هنا بأسواق الرقيق وتوزيعها الجغرافي، لغياب الإشارة إلى ذلك في المصادر، ولأن عمليات البيع -كما أسلفنا- كانت تتم في الأسواق والأحياء والأزقة والدورى 39.

حظيت الأندلس بنصيب هام في التوزيع الجغرافي لعمليات بيع العبيد في مغرب القرنين 5-6هـ/11-12م. ونجد تفسيراً لذلك في أن معظم مصادر الفترة أندلسية، خاصة مصادر القرن 5هـ/11م، لذلك استأثر المجتمع الأندلسي -وضمنه رقيقه- باهتمام كتاب الفترة.

وفي ظل هذه الملاحظة تعبر النماذج المتعلقة بالمغرب ببيئاته الثلاث (الأدنى والأوسط والأقصى) عن حالات متوازنة لمواطني بيع الرقيق، بمعنى أن الجدول رقم 13 يقدم نماذج تمثيلية متكافئة، مع استثناء الأندلس، التي حلت محل إفريقية فيما قبل ق 5هـ/11م، كما يبين الجدول التالي :

النسبة المئوية	عدد الحالات	مكان البيع
54,54	06	إفريقية
09,09	01	فاس
09,09	01	المغرب
27,27	03	الأندلس
99,99	11	المجموع

جدول رقم 14 : توزيع الرقيق حسب مكان البيع في المغرب والأندلس قبل ق 5هـ/11م

5 - مستوى التوزيع حسب الأسعار :

تفرض طبيعة العملة التي وردت بها أسعار الرقيق في المغرب والأندلس محاولة تحديد قيمتها.

(39) ورد في نازلة تعود إلى مغرب القرن 4هـ/10م أن رجلاً "اشترى جارية من المغنم"، أبو العباس أحمد بن يحيى الوشيري، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ج6، ص 183. وأخرى عن "رجل ابتاع جارية من المغنم نصرانية"، نفسه، ج9، ص 235. وثالثة "من اشترى من المغنم أم ولد رجل..."، نفسه، ج10، ص 72.

النسبة المئوية	عدد الحالات	العملة
15	03	الدرهم
15	03	المثقال
70	14	الدينار

جدول رقم 15 : عملات أسعار الرقيق

انطلاقاً من أن المصادر تساوي بين قيمة المثقال وقيمة الدينار 40، وأنموذج ذلك أن صاحب الاستبصار 41، الذي نقل عن البكري 42 سعر الأمة الطبخة بأودغست، فحوّل 100 مثقال إلى 100 دينار، يمكن إلحاق الحالات الثلاث التي ورد بها سعر الرقيق بالمثقال بالحالات التي استعمل فيها الدينار. فما المقصود إذن بالدينار؟ هل دينار القرآن الكريم الذي تبلغ قيمته 4,729 غرام؟ وهي قيمة الدينار الموحد والمريني. أم الدينار المرابطي، وقد ورد صراحة في الحالة رقم 7، الذي تتراوح قيمته بين 3,864 غ و 3,960 غ؟ أم الدينار الذي تبنته دائرة المعارف الإسلامية، وقيمته 4,250 غ؟

ناقش أحد الدارسين صعوبة تقويم الدينار الوارد في مصادر الفترة، وانتهى إلى اعتماد الدينار القرآني-الموحد-المريني، وقيمته 4,729 غ، الذي يعادل 14,5 فرنكا حسب لوي ماسينيون 44 Massignon.

أما بالنسبة للدرهم، فيمكن اعتماد القيمة التي وردت بشأنه في إحدى نوازل المعيار 45، التي تعود إلى فترة الدراسة، حيث أن "قيمة كل دينار ثمانية دراهم".

وبخصوص أسعار رقيق المغرب والأندلس، يمكن رسم الجدول التالي :

الزمان	السعر ⁴⁶		الجنس
	الأقصى	الأدنى	
ق 4 - 5 / 10 - 11 م	300 دينار		الأمة
	-	-	العبد
ق 5 / 11 م	3.000 دينار	60 دينار	الأمة
	100 دينار		العبد
ق 5 - 6 / 11 - 12 م	300 دينار	250 دينار	الأمة
	-	-	العبد
ق 6 / 12 م	200 مثقال [دينار]	"دراهم يسيرة"	الأمة
	50 ديناراً	درهم واحد	العبد

جدول رقم 16 : أسعار الرقيق حسب الجنس والزمان في المغرب والأندلس خلال القرنين 5-6هـ/11-12م

تراوح سعر الرقيق في المغرب والأندلس بين درهم واحد وثلاثة آلاف دينار، مصنفا حسب الجنس إلى :

• الأمة : تراوح سعرها بين دراهم يسيرة وثلاثة آلاف دينار، خلال القرنين 5 - 6هـ/ 11 - 12م، في حين كان خلال القرون

(40) يثبت المقدسي أن "الدينار يزل عن المثقال بحبة أعني شعيرة". انظر: أبو عبد الله محمد ابن البناء المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تقديم وفهرسة محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987، ص 198، وانظر أيضاً:

.Raymond MAUNY, Tableau géographique de l'ouest africain au moyen âge, d'après les sources écrites, la tradition et l'archéologie, I.F.A.N., Dakar, 1961, p. 422

(41) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 216.

(42) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مطبعة الحكومة، الجزائر، 1857، ص 158.

(43) وهي القيمة نفسها التي اعتمدها دارسون آخرون، انظر:

.Hubert DESCHAMPS, Histoire de la traite des noirs de l'antiquité à nos jours, l'histoire sans frontières, Fayard, Paris, 1972, p. 29

R. MAUNY, op. cit., p. 422 (44)

(45) الونشريسي، مصدر سابق، ج 3، ص 154.

(46) استثنينا الحالتين 1 و 5 باعتبار أنهما لا تقدمان قيمة محددة. راجع الجدول رقم 03.

الأربعة السابقة بين 10 دینارات وأكثر من ألف دینار، كما ورد في الجدول رقم 01. ليصل إلى 120 ألف دینار، كما في الجدول رقم 02 الذي يهـم المشرق الإسلامي قبل ق 5هـ/11م.

• العبد: تراوح سعره بين درهم واحد و100 دینار خلال القرنين 5 - 6هـ/11 - 12م، في حين لم يتجاوز في الفترة السابقة 10 دینارات. كما ورد في الجدول رقم 01، وليصل إلى ألف دینار كما في الجدول رقم 02 الذي يتعلق بالمشرق الإسلامي قبل ق 5هـ/11م.

الزمن	السعر		الجنس	الزمن	السعر		الجنس
	الأقصى	الأدنى			الأقصى	الأدنى	
ق-2 1 هـ / 7 - 8 م	1.000 دينار	600 دينار	الأمة	ق-2 1 هـ / 7 - 8 م	-	-	الأمة
	-	-	العبد		-	-	العبد
ق-3 4 هـ / 9 - 10 م	120 ألف د.	800 درهم	الأمة	ق-3 4 هـ / 9 - 10 م	110 دينار	28 دينار	الأمة
	1.000 دينار	200 درهم	العبد			10 دنانير	العبد
ق-3 4 هـ / 9 - 10 م		1.000 دينار	الأمة	ق-3 4 هـ / 9 - 10 م	1.000 د. وأكثر	50 دينار	الأمة
		-	العبد		-	-	العبد
ق 4 هـ / 10 م	15 ألف دينار	5.000 درهم	الأمة	ق 4 هـ / 10 م	13 دينار	10 دینارات	الأمة
	1.000 دينار	30 دينار	العبد		-	-	العبد

جدول رقم 18 : توزيع أسعار الرقيق حسب

جدول رقم 17 : أسعار الرقيق وتوزيعه حسب الجنس

والزمن في المشرق الإسلامي قبل ق 5هـ/11م

والزمن في المغرب والأندلس قبل ق 5هـ/11م

ويكشف هذا التصنيف عن ملاحظة في غاية الأهمية وهي ارتفاع أسعار الإماء مقارنة مع العبيد الذكور، ارتفاعاً مهولاً خلال القرنين 5 - 6هـ/11 - 12م، فكيف يمكن تفسير إقبال المغاربة والأندلسيين على الإماء أكثر من العبيد الذكور، كما انتهينا إلى ذلك من خلال الجدول رقم 05 الذي بلغت فيه نسبة 70%؟

يبدو أن محددات أسعار الرقيق التي أشرنا إليها في بداية موضوع أسعار الرقيق وتوزيعه، تفسر إلى حد كبير هذا التعارض. إذ لاشك أن آليات السوق من عرض وطلب مارست تأثيرها الواضح في تحديد أسعار الرقيق. ويرتبط ذلك بوفرة السبي وسيولة الحركة التجارية من جانب، ونضوب معين الجبهات الحربية وصعوبات التجارة من جانب آخر.

كما يرتبط الأمر بالظروف الأمنية. فمما لا شك فيه أن استقرار الأوضاع يحفز التجار على المتاجرة في الرقيق، إلى جانب السلع الأخرى، كما ينعكس ذلك على ارتفاع القدرة الشرائية، وتحقيق فائض مالي، يتم التفكير في "استثماره" في شراء أمة، تلبية الحاجة الجنسية للسيد وتدبير شؤون بيته.

غير أن كل ذلك لا يمكن أن يحجب عنا حقيقة جلية، وهي دور النخاسين عبر دسائسهم وحيلهم في ارتفاع أسعار الإماء وانهارها. فقد ورد على لسان أحد النخاسين قوله إن "ربع درهم حناء يزيد في ثمن الجارية مائة درهم فضة" 47. أي 12 دینار ونصف دینار.

أما في باب وفرة السبي أو شحه، وأثر ذلك في أسعار العبيد، فقد سجل ابن الخطيب 48 عن نشاط جيش مجاهد العامري في شرق الأندلس، خلال ق 5هـ/11م، أنه "غنم وسبي ما لا يأخذه الحصر، إلى أن كسد في زمانه السبي، وخست

(47) أبو الحسن المختار ابن بطلان البغدادي، رسالة في شري الرقيق وتقليب العبيد تحقيق عبد السلام هارون، سلسلة نواذر المخطوطات، ط. 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1954، ص 356، راجع أيضاً:

Yusuf RAGIB, Les marchés aux esclaves en terre d'Islam, Settimane di studio del centro italiano di studi sull'alto medioevo XL, Mercanti e mercati nell'alto medioevo, l'area europeatica e l'area Mediterranea, Spoleto, 1993, p. 728

(48) لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق إ. ليفي-بروفنسال، ط. 2، دار المكشوف، بيروت، 1956، القسم الثاني، ص 219.

فيه الأثمان ". وفي المغرب نشطت عملية بيع الأحرار، عقب اقتحام الموحدين العاصمة المرابطية مراکش عام 541هـ/1147م، حتى "بيعت الحرة الجميلة بدجاجة، حتى تعلم أن ليس لهم بها حاجة"49. وعقب النويري50 على دخول عبد المؤمن بن علي مدينة تلمسان بقوله "قتل أكثر أهل البلد... وبيع من لم يقتل بأبخس الأثمان".

وهكذا تقوم هذه الإشارات دليلاً على أن أسعار الرقيق في المغرب والأندلس، كانت عرضة لأحوال البلاد الأمنية، وحركية الاقتصاد من حيث توسعه أو انكماشه، وتأثير ذلك في القدرة الشرائية للفرد، وحاجته إلى الرقيق: ذكورا وإناثاً.

كما أن للبعد أو القرب من مراكز التزود من الرقيق، دوره في تحديد أسعارهم، وهو ما لا يلاحظ مثلاً بالنسبة لأسعار العبيد السود في أودغست (أمة بـ100 دينار) ومراكش (مملوكة جيدة بـ20 ديناراً) ودكالة (جارية بـدراهم يسيرة) والقيروان (خادم سوداء بـ60 ديناراً) في حين ارتفعت الأسعار إلى ألف دينار (الحالة رقم 19) وثلاثة آلاف دينار (الحالة رقم 51/6).

ويبدو أن الوقوف على حقيقة أسعار الرقيق في المغرب والأندلس، يظل رهينا بمقارنتها بأسعار سلع أخرى. وهو ما يمكن رصده من خلال إشارات متناثرة: ففي الوقت الذي يتحدث فيه البكري52 عن سعر أمة سودانية طبخة محسنة بمدينة أودغست الذي يصل "مائة مثقال وأكثر"، ترد لديه إشارة تهم أودغست نفسها تباع " عشرة أكباش وأكثر بمثقال"53.

ويمكن مقابلة ذلك بسعر ثياب صوفية بمدينة سجلماسة، حيث " يبلغ الثوب فيها أزيد من عشرين مثقالاً"54. وعند توحيد قيم السلع الثلاث، نتبين أن جارية أودغست تعادل 1.000 كبش بالمدينة ذاتها55، وخمس خرق صوفية بسجلماسة. وهو ما يكشف عن غلاء سعر الجارية، وتجاوز سعرها القدرة الشرائية للفرد، في مغرب القرن 5هـ/11م56.

الخلاصة ذاتها يمكن أن ننهي إليها من خلال معطيات مماثلة يقدمها ابن بطوطة، فقد عمد إلى شراء خادمة معلمة بمدينة تكدا بسعر 25 مثقالاً57. كما اشترى جملين في طريق عودته من رحلته السودانية بـ " سبعة وثلاثين مثقالاً وثلث"58. وهكذا فإن سعر الجمل الواحد هو 18,66 مثقالاً، أي أن ثمنه، على الرغم من أهميته القصوى في التجارة الصحراوية، لا يصل إلا إلى ثلاثة أرباع سعر خادمة معلمة (74,66%)، وبصيغة أخرى فإن سعر خمسة جمال يظل أقل من أربع جوارى، بمقدار 7 دینارات تقريباً. ولعل ما جعل ابن بطوطة يقبل على شراء جملين هو انخفاض سعرهما، مقارنة مع الخيول التي كانت " غالية الأثمان يساوي أحدها مائة مثقال " على حد تعبيره59. وإذا صحت إشارة أحد الدارسين60 إلى أن فرساً واحداً كان يبادل في المراكز المشرفة على الصحراء مثل تومبوكتو وجاو وكانو، مقابل 15 عبداً، واعتباره ذلك سعراً متوسطاً، فإن ثمن العبد الواحد - استناداً إلى رواية ابن بطوطة - كان يساوي حوالي سبع دینارات. مما يؤكد انخفاض سعر العبد مقارنة بالأمة، بشكل واضح.

(49) أبو الخطاب عمر ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1993، ص 27.

(50) أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 408.

(51) راجع الجدول رقم 03.

(52) المغرب... مصدر سابق، ص 158.

(53) نفس المصدر والصفحة.

(54) نفسه، 147.

(55) لا يخلو الأمر من مبالغة واضحة!

(56) ولعل هذا ما انتهى إليه أحد الباحثين بعد أن قارن سعر العبد الواحد بأسعار بسلع أخرى في فترات لاحقة، فقد نص على الارتفاع الموهول لأسعار العبيد، إلى درجة أنه أصبح ثمن العبد في فلورنسا في القرنين 14-15م، وفي إشبيلية في القرنين 15-16م، يمثل الراتب السنوي أو أكثر لعاملاً. وفي إشبيلية في نهاية القرن 15م كان ثمن العبد يساوي ثمن فرس أو أربع بقرات، وفي قرطبة في بداية القرن 17، كان يساوي ثمانية حمير أو 35 خنزيراً، انظر:

Alessandro STELLA, L'esclavage en Andalousie à l'époque moderne, Annales ESC, Jan.-Fév. 1992, n° 1, p. 47

(57) أبو عبد الله محمد ابن بطوطة اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة، دار التراث، بيروت، 1968، ص 678.

(58) نفسه، 680.

(59) نفسه، 673.

(60) DESCHAMPS, op. cit, p. 29

سجل معظم الدارسين 61 الذين راودتهم فكرة القيام بإحصاء أعداد رقيق بلاد المغرب، صعوبة هذا العمل، على الرغم من أهميته القصوى، في ظل غياب معطيات رقمية محددة، لا تهم الرقيق كقوة اجتماعية، بل تنسحب على أعداد ساكنة المغرب برمته في فترة تاريخية محددة⁶².

ومع ذلك تتوفر على أرقام انتهت إليها بعض الدراسات، مثل تلك القائلة بعدم بلوغ عدد سكان المغرب ستة ملايين نسمة قبل القرن 6هـ/12م⁶³. في حين قدرته دراسة جامعية، أحدث من سابقتها، بخمسة ملايين نسمة، فيما بين نهاية العصر المرابطي إلى نهاية العصر المريني⁶⁴. أما الباحث أحمد بدر فقد قدر، استنادا إلى أحد الدارسين الإسبان رامون مينديث بيدال PIDAL، عدد سكان شبه الجزيرة الإيبيرية بما بين ثمانية وتسعة ملايين نسمة، ستة منهم تحت حكم ملوك الطوائف⁶⁵.

واقترنا منا بالصعوبة التي تعترض سبيل إعطاء أرقام محددة حول أعداد رقيق المغرب والأندلس، وبانطواء محاولتنا على مجازفة، ربما حملت مغالطات تاريخية، سوف نكتفي بإثبات مؤشرات رقمية، تقدم مادة خصبة لبحوث تهم الجانب الديمغرافي لتاريخ المغرب والأندلس عامة، وتاريخ رقيقه خاصة.

يشير ابن بطوطة⁶⁶ اعتمادا على معاينته الشخصية - في أواسط القرن 8هـ/14م، إلى أن القافلة التي كان فيها، المتجهة من مدينة تكدا إلى توات، ضمت "نحو ستمائة خادم". واستنادا إلى هذا الرقم وتعزيزه بأرقام أخرى من فترات لاحقة، انتهى أحد الباحثين، إلى أن الحد الأدنى لعدد الرقيق الذي كان يصدر سنويا من بلاد السودان إلى الشمال هو 20.000 أسود⁶⁷. وهو رقم ينطوي على مبالغة واضحة⁶⁸.

ويظهر ذلك جليا من خلال دراسة حديثة حول التجارة الصحراوية بين بلاد المغرب والسودان الغربي، انتهى صاحبها إلى القول إن عدد العبيد الذي كان يحل ببلاد المغرب، على امتداد الفترة الفاصلة بين أواسط ق 5هـ/11م وأواسط ق 8هـ/14م، لم يكن يتجاوز بضع مئات سنويا⁶⁹. بعد الأخذ بعين الاعتبار صعوبات نقل الرقيق عبر الصحراء، إذ يتم خلالها فرارهم أو مرضهم أو موتهم، فضلا عن ارتفاع أسعارهم، مما لا يحفز على الاتجار فيهم، بالإضافة إلى عدم وجود حاجة اقتصادية ملحة إليهم، كيد عاملة مختصة⁷⁰.

غير أنه إلى جانب هذه الخلاصات لانعدام مؤشرات رقمية، لا يمكن إغفالها، على الرغم من شحها ومحدوديتها. فقد ورد لدى صاحب القرطاس أن عدد حرس الخليفة الموحد الناصر الذين لقوا حتفهم في معركة العقاب، سنة 609هـ/1212م، بلغ ما يزيد عن 10 آلاف أسود⁷¹. ويرتفع هذا الرقم لدى المؤلف نفسه إلى ثلاثين ألفا⁷².

(61) Abdelaziz El Alaoui, Le Maghrib et le commerce transsaharien (milieu du XIème -milieu du XIVème s.),Thèse de doctorat de 3ème cycle, Université de Bordeaux III, Institut (61) d'Etudes Arabes et Islamiques, Bordeaux, 1983, p. 98 ; Raymond MAUNY, op. cit, p. 379; Hubert DESCHAMPS, op. cit, p. 229

(62) إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط. 1، دار الطليعة، بيروت، 1998، ص 54.

(63) Jean BRIGNON et autres, Histoire du Maroc, Hatier, Paris, 1967, p. 76

(64) محمد الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، ص 61. رسالة جامعية مرقونة، كلية آداب الرباط، نقلا عن إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص 54، حاشية 2.

(65) أحمد بدر، المجتمع الأندلسي والمجتمع الإسباني في عصر ملوك الطوائف، مجلة دراسات تاريخية، العددان 15-16، دمشق، يناير-ماي 1984، ص 33.

(66) ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 680.

(67) R. MAUNY, op. cit, p. 379

(68) لم يكتف R. MAUNY بذلك بل قرر أن 20.000 أسود يصبح مليونين خلال القرن الواحد. وعلق عليه أنه أكيد أنه أقل من الواقع. loc.cit. فهل نجاري الباحث ونقول أن بلاد المغرب استقبلت على امتداد القرنين 5-6 هـ /11-12م، 4 ملايين عبد أسود؟!.

(69) A. EL ALAOU, op. cit, p. 99

(70) Ibid, pp. 99-100.

(71) علي ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1973، ص 239.

(72) نفسه، ص 240.

وعند استحضر الأرقام المتعلقة بعدد العبيد السود في البلاط المرابطي، نتبين التطور العددي الكبير. فمن ألفي سوداني اشتراهم يوسف بن تاشفين 73 إلى أربعة آلاف حضروا معركة الزلاقة 74، ثم إلى ما يقارب هذا العدد أو يتجاوزه أيام علي بن يوسف، الذي جعله أحد الدارسين، يفوق ثلاثة آلاف بكثير 75 بالاستناد إلى نصيب مدينة فاس من تقسيط الأمير المرابطي علي بن يوسف للسودان، للمشاركة في الجهاد، وهو "ثلاثمائة غلام من سودانهم" 76. وفي الفترة ذاتها تعرضت مدينة أغمات لهجوم موحدي سنة 524هـ/1131م، بقيادة عبد المومن بن علي، فقتل "في يوم واحد نحو ثلاثة آلاف أكثرهم سودان" 77.

إن استحضر هذه الأرقام يؤكد ما ذهبت إليه أدبيات الفترة، وهي تصف الأعداد الهائلة من السودان الوافدين على بلاد المغرب، إلى درجة أنه كان "يباع منهم في كل سنة أمم وأعداد لا تحصى" 78. وهي عبارات يجب أن تحمل على محمل التمحيص، وعدم الانصياع لإغراءاتها.

أما بالنسبة للرقيق الأبيض في بلاد المغرب، فإن أهم ما يمكن تسجيله في غياب إحصائيات شاملة، هو التطور العددي الذي عرفته أعدادهم. فقد انطلق العدد من 25079 أو 24080 علجا، اشتراهم يوسف بن تاشفين من الأندلس، إلى أربعة آلاف فارس في الأندلس في نهاية الحكم المرابطي بها 81، وإلى حوالي ثلاثة آلاف في مدينة مكناسة وحدها 82. قبيل دخول الموحدين إليها.

ويصبح هذا التطور أكثر جلاء عندما نستحضر أعداد العبيد الصقالبة الذين كانت تعج بهم بلاد الأندلس، خلال ق 4هـ/10م، حيث وصلوا إلى عشرين ألف أيام الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر 83. بلغ نصيب قصر الخليفة نفسه -بمدينة الزهراء- 3750 صقلبي 84.

وهكذا نصل إلى خلاصة مفادها أن أعداد رقيق المغرب والأندلس، عرفت تطورا ملموسا، تعكسه بوضوح أرقام تخص دور السلطة السياسية في جلبهم واستخدامهم، كما تعبر عنه أدبيات الفترة، كما سجلنا آنفا. ومع ذلك يظل البحث في التاريخ الديمغرافي لبلاد المغرب خلال العصر الوسيط، على الرغم من "هزالة الإحصائيات وشحة النصوص وانعدام الوثائق" كما سجل أحد الدارسين 85. وهي ملاحظة نأمل أن تخف وطأتها مع ظهور بحوث تؤسس لتوجه ديمغرافي تاريخي 86، فضلا عن دراسات 87 اقتحمت هذا المجال الشائك على الرغم مما تكتنفه من صعوبات.

(73) مؤلف مجهول، الحلل الموسوية في ذكر الأخبار المرابطية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط. 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص 25؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة إحسان عباس، ط. 3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج 4، ص 23.

(74) أبو العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، م 7، ص 118.

(75) إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص 57.

(76) أبو الحسن علي ابن القطان الفاسي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 152.

(77) ابن عذاري، مصدر سابق، 4 : 84؛ ابن القطان، مصدر سابق، ص 158.

(78) أبو عبد الله محمد الحمودي الحسني الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق مجموعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، م 1، ص 110.

(79) مؤلف مجهول، الحلل... م.س..، ص 25.

(80) ابن عذاري، مصدر سابق، 4 : 23.

(81) مؤلف مجهول، الحلل... م.س..، ص 131.

(82) ابن عذاري، مصدر سابق، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، قسم الموحدين، ص 24.

(83) أحمد المقرئ، نفح الطيب... 2 : 102-103، نقلا عن أحمد مختار العبادي، الصقالبة في إسبانيا، المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمديرد، 1953، ص 11.

(84) Charles VERLINDEN, La traite des esclaves, un grand commerce international au Xe siècle, Mélanges E. - R. Labande, Etudes de civilisation médiévale, Poitiers, 1974, p. 727

(85) إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص 64.

(86) راجع بحثين في موضوع الديمغرافيا التاريخية، ضمن مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، العدد 6، 1996، أحدهما لعبد الإله بنمليح بعنوان "قراءة في نصوص تاريخية مغربية من زاوية ديمغرافية"، صص 07 - 26، وثانيهما لمصطفى نشاط بعنوان: "من صعوبات البحث في الديمغرافيا التاريخية للمغرب الوسيط: الطاعون الأسود نموذجا"، صص 27 - 46.

(87) أنموذج مقال :

المصادر:

- أجانا (العربي)، مجموعة وثائق محتسب مكناس، [مخطوطة].
- وثيقة: عتق عبد مشترك. ملكية خاصة، [مخطوطة].
- الإدريسي (أبو عبد الله محمد الحمودي الحسني)، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق مجموعة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، م 1.
- الأزكوي (أبو جابر محمد بن جعفر)، الجامع لابن جعفر، تحقيق جبر محمود الفضيلات، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1994، ج 4.
- الإصطخري (إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، دار القلم، القاهرة، 1961.
- الأصفهاني (أبو الفرّج)، كتاب الأغاني، تحقيق لجنة من الأدباء، ط. 5، دار الثقافة، بيروت، 1981، المجلد 3.
- ابن بسام الشنتري (أبو الحسن علي)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979-1978، ج 5.
- ابن بطلان (أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون البغدادي)، رسالة في شري الرقيق وتقليب العبيد، تحقيق عبد السلام هارون، سلسلة نواذر المخطوطات، ط. 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1954.
- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد اللواتي الطنجي)، رحلة ابن بطوطة، دار التراث، بيروت، 1968.
- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز)، المسالك والممالك، تحقيق وتقديم A. FERRE و A.P. Van LEEUWEN، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج 2.
- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مطبعة الحكومة، الجزائر، 1857.
- الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.
- ابن الخطيب (لسان الدين)، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق إ. ليفي-بروفنسال، ط. 2، دار المكشوف، بيروت، 1956، القسم الثاني.
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، م 7.
- ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن حسن)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد

هذا فضلا عن مقال قيم تناول المظاهر الكمية للرق المتوسطي في نهاية العصر الوسيط، انظر:

Charles VERLINDEN, Aspects quantitatifs de l'esclavage méditerranéen au bas moyen âge, Annuario de estudios medievales, Consejo Superior de Investigaciones Científicas, 10, 789-Barcelona, 1980, pp. 769

الجدول رقم 1: أسعار رقيق المغرب والأندلس قبل القرن 5 هـ/11 م

رت	الجنس	مكان البيع	الزمان	السعر	المصدر	ملاحظات
1	أسرة عالج	الأندلس	ق1-2هـ/7-8م	50 درهما	ابن عذاري، 2: 22.	من سبي موسى بن نصير
2	خادم	إفريقية	ق3هـ/9م	28 ديناراً	عياض، المدارك، 4: 82.	-
3	صبي	إفريقية	ق3هـ/9م	10 دنانير	عياض، المدارك، 4: 314.	قصد رعي الغنم
4	جارية	إفريقية	ق3هـ/9م	نحو 80 ديناراً	عياض، المدارك، 4: 316.	-
5	جارية	إفريقية	ق3هـ/9م	40 ديناراً	عياض، المدارك، 4: 319.	-
6	وصيفة	إفريقية	ق3هـ/9م	بين 100 و110 دينار	عياض، المدارك، 4: 414.	-
7	جارية/خادم	المغرب	ق3-4هـ/9-10م	ألف دينار وأكثر	الإصطخري، 37.	-
8	خادم	قرطبة	ق3-4هـ/9-10م	50 ديناراً	الونشريسبي، 9: 236.	قصد العتق والزواج
9	جارية/خادم	الأندلس	-	1.000 دينار	الفزويني، آثار البلاد، 503.	-
10	جارية/خادم	القيروان	ق4هـ/10م	10 دینارات	الونشريسبي لدى H.R.IDRIS, Contribution, p. 76	العتق
11	مملوكة	فاس	ق4هـ/10م	13 ديناراً	الونشريسبي، 5: 176.	-

الجدول رقم 2: نماذج من أسعار الرقيق بالمشرق الإسلامي قبل القرن 5 هـ/11 م

رت	الجنس	الأصل	مكان البيع	الزمان	السعر	المصدر	ملاحظات
1	جارية	إفريقية	المشرق	ق1هـ/7م	600 دينار	ابن عبد الحكم، 48: البكري، 2: 686	سبي معاوية بن حديج في جلولاء
2	جارية	سوس	المشرق	ق1هـ/7م	1.000 دينار أو نحوها	الرقيق القيرواني، 15: الاستبصار، 212: ابن عذاري 1: 27، الحميري، 71 و330، الذي يحدد أصلها من إيجلي بسوس	سبي عقبة بن نافع
3	جارية	المغرب	المشرق	ق1هـ/7م	1.000 دينار	ابن عبد الحكم، 65.	سبي حسان بن النعمان
4*	جارية مولدة	الأندلس	بغداد	ق3هـ/9م	-	ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص 82.	اسمها اسحق الأندلسية حظية الخليفة العباسي المتوكل ت. 270هـ.
5	عبد	-	مسقط	ق3هـ/9م	300 درهم	الأزكوي، ج4، ص 54.	-
6	جارية	-	المشرق	ق3-4هـ/9-10م	1.000 دينار	فهمي، العامة، ص 317.	-
7**	عبد	-	بغداد	ق3هـ/9م	200 درهم	الأغاني، ج3، ص 212.	-
8**	عبد	-	بغداد	ق3هـ/9م	10 دنانير	الجاحظ، الحيوان، 6: 410.	-
9**	جارية	-	بغداد	ق3هـ/9م	800 درهم	ابن أبي أصيبعة، 245.	-
10**	جارية	-	بغداد	ق3هـ/9م	100 ألف دينار	الأغاني، 23: ص 91، 85.	-
11**	جارية	حبشية	بغداد	ق3هـ/9م	120 ألف دينار	رسائل الجاحظ، 2: 177.	-
12	جارية	اليمامة	بغداد	ق3هـ/9م	200 ألف درهم	ابن الساعي، ص 47.	اسمها عنان بنت عبد الله جارية الناطفي ت 226هـ.
13**	غلام	-	البصرة	ق3هـ/9م	30 ديناراً	المنتظم، 5: 159.	-
14	جارية	-	بغداد	ق3هـ/9م	100 ألف دينار	ابن الساعي، ص 64.	اسمها بدعة الكبيرة جارية عربي ومولدة المأمون والمعتضد ت 302هـ.
15**	غلام	-	بغداد	ق3هـ/9م	1.000 دينار	قطب السرور في أوصاف الخمر، ص 2	-
16	جارية	اليمامة	بغداد	ق3هـ/9م	10 آلاف درهم	ابن الساعي، 85.	اسمها فضل جارية الخليفة المتوكل ت. 257.
17**	عبد	إفريقي	بغداد	ق4هـ/10م	30 ديناراً	عجائب الهند، ص 111-112.	-
18	جارية	-	بغداد	-	30 ألف درهم	ابن الساعي، ص 102.	اسمها بنت جارية المعتمد.
19**	جارية	إفريقي	بغداد	ق4هـ/10م	20 ديناراً	عجائب الهند، ص 111-112.	-
20**	جارية أو غلام	صقلي	بغداد	ق4هـ/10م	1.000 دينار	الإصطخري، ص 45.	-
21**	جارية	-	بغداد	ق4هـ/10م	1.500 دينار	نشوار، ج 5، ص 280.	جارية مغنية
22**	جارية	-	بغداد	ق4هـ/10م	5.000 درهم	حكاية أبي القاسم، ص 75.	-
23**	جارية	-	بغداد	ق4هـ/10م	30 ألف درهم	حكاية أبي القاسم، ص 75.	جارية مغنية اسمها حباية

**	24	جارية	-	بغداد	ق 4هـ/10م	13 ألف دينار	نشوار، 1: 183.	جارية مغنية
**	25	جارية	-	بغداد	ق 4هـ/10م	13 ألف دينار	المنتظم، ج 6، ص 391.	جارية مغنية
**	26	جارية	-	بغداد	ق 4هـ/10م	15 ألف دينار	الصولي، أخبار الرازي، ص 101.	-
**	27	جارية	سمراء	بغداد	ق 4هـ/10م	13 ألف درهم	ابن الساعي، ص 129.	تدعي سريرة الرائقة، ت. 348هـ.

* من بين 28 جارية ترجم لهن ابن الساعي (ت. 674هـ) في كتابه "نساء الخلفاء" .. لم نعثر إلا على واحدة من أصل مغربي، هي إسحاق الأندلسية (ت. 270هـ)، حضية الخليفة العباسي المتوكل وأم الخليفة الموفق أبا أحمد¹. وهي الخلاصة التي انتهينا إليها من خلال قراءتنا لكتاب: "المستظرف" .. للسيوطي، حيث ترجم لـ 47 جارية منها السودانية والحبشية والتركية والعربية .. ولم نعثر سوى على واحدة أندلسية هي إسحاق السابقة الذكر التي جعل وفاتها سنة 272هـ².

** نقلا عن كتاب فهمي سعد "العامية في بغداد" ..³، ويعلق المؤلف أن هذه الأسعار مبالغ فيها، وتنبئ بحقيقة ارتفاع أسعار الجوارى والغلمان خلال القرنين 3-4هـ/9-10م⁴.

الجدول رقم 3: أسعار رقيق المغرب والأندلس خلال القرنين 5-6هـ/11-12م

رت	الجنس	الأصل	مكان البيع	الزمان	السعر	المصدر	ملاحظات
1	مملوكة	-	قرطبة	ق 4-5هـ/10-11م	60 - ديناراً من ثمنها	الونشريسي لدى H.R.IDRIS, Contribution, p. 76	بسبب وجود عيب بها
2	جارية	-	قرطبة	ق 4-5هـ/10-11م	300 دينار	ابن عميرة الضبي، 479	-
3	عبد	-	القيروان	ق 5هـ/11م	100 دينار	الونشريسي لدى H.R.IDRIS, Contribution, p. 76	-
4	خادم	ربما سوداء	القيروان	ق 5هـ/11م	60 ديناراً	الونشريسي، 9: 604.	-
5	أمة	-	وارجلان	ق 5هـ/11م	5- دنائير من ثمنها	الدرجيني، 1: 189	في إطار التبائع
6	جارية	-	الأندلس	ق 5هـ/11م	3.000 دينار	ابن بسام، 5: 112؛ ابن عذاري، 3: 308	أدبية ومغنية
7	جارية	نوبية	الأندلس	ق 5-6هـ/11-12م	250 ديناراً مرابطة	الإدريسي، 1: 31.	-
8	جارية	نوبية	-	ق 5-6هـ/11-12م	300 دينار	الإدريسي، 1: 31.	-
9	جارية	سودانية	أودغست	ق 5-6هـ/11-12م	100 دينار	البكري، 158: الاستبصار، 216.	طباعة
10	غلام	أسمر	سبته	ق 6هـ/12م	10 مثاقيل	عياض وولده، 260: الونشريسي، 9: 231.	قصد العتق
11	خادم	ربما سوداء	المهدية	ق 6هـ/12م	50 دينار	الونشريسي لدى H.R.IDRIS, Contribution, p. 76	-
12	عبد	-	بونة	ق 6هـ/12م	30 ديناراً	السلفي، 86.	-
13	مملوكة جيدة	-	درعة	ق 6هـ/12م	أقل من 20 دينار	ابن الزيات التادلي، ص 224.	-
14	جارية	-	دكالة	ق 6هـ/12م	دراهم يسيرة	النويري، 412	سبي موحد
15	عبد	-	غرناطة	ق 6هـ/12م	50 ديناراً	الونشريسي لدى H.R.IDRIS, Contribution, p. 77	شراء لحرته
16	خادم	ربما سوداء	غرناطة	ق 6هـ/12م	200 مثقال	الونشريسي لدى H.R.IDRIS, Contribution, p. 77	-
17	عبد	-	غرناطة	ق 6هـ/12م	20 درهما	ابن سعيد، المغرب، 2: 164.	-
18	أسير	-	الأندلس	ق 6هـ/12م	درهم واحد	الناصري، 2: 191.	من سبي الأرك
19	مملوك	-	الأندلس	ق 6هـ/12م	1.000 دينار	ابن الزبير، الصلة، 5: 311.	أدبية وشاعرة اسمها العلياء البلبسية
20	جارية	رومية	الأندلس	ق 6هـ/12م	34 مثقالاً	ابن رشد، فتاوى، 3: 1615.	-

(1) أبو طالب علي بن أنجب ابن الساعي البغدادي، نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة، د.ت، صص 82 - 84.

(2) جلال الدين السيوطي، المستظرف من أخبار الجوارى، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط. 2، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1976، ص. 10.

(3) فهمي سعد، العامية في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة، ط. 1، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993، ص. 290.

(4) نفسه، ص. 286.

الجدول رقم 4: نماذج من أسعار رقيق المغرب الأقصى والأندلس والسودان الغربي بعد ق 6هـ/12م

الرقم	الجنس	الأصل	مكان البيع	الزمان	السعر	المصدر
1	مملوكة	-	فاس	ق 8هـ/14م	30 دينار ذهبي	الونشريسبي لدى 76 H.R.IDRIS, Contribution, p.
2	خادم	ربما سوداء	غزناطة	ق 8هـ/14م	100 دينار فضي	الونشريسبي لدى 77 H.R.IDRIS, Contribution, p.
3	خادم	سودانية	تكدا	ق 8هـ/14م	25 مثقالا	ابن بطوطة، ص 678.
4	عبد	أسود	درعة (جبل تنزيتة)	ق 10هـ/16م	20 مثقالا	الوزان، 1: 174.
5	أمة	سوداء	درعة (جبل تنزيتة)	ق 10هـ/16م	15 مثقالا	الوزان، 1: 174.
6	خصي	أسود	درعة (جبل تنزيتة)	ق 10هـ/16م	40 مثقالا	الوزان، 1: 174.
7	عبد	أسود	شمال المغرب الأقصى	ق 13هـ/19م	بين 150 و500 فرنك	.MOULIERAS, 2 : 63
8	عبد صغير	أسود	شمال المغرب الأقصى	ق 13هـ/19م	بين 25 و250 فرنك	.moUlieras, 2 : 63
9	عبد	-	شرق المغرب الأقصى (تاويرت)	أواسط ق 13هـ/19م	50 مثقالا	وثيقة خاصة
10	عبد	أسود	مكناس	نهاية ق 13هـ/19م	390 مثقالا	وثيقة محتسب مكناس العربي أجانا.
11	أمة	-	مكناس	بداية ق 14هـ/20م	90 ريالاً	وثيقة محتسب مكناس العربي أجانا.
12	أمة	-	مكناس	1327هـ/ ق 20م	80 ريالاً	وثيقة محتسب مكناس العربي أجانا.

وأحمد أحمد بدوي، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1993.

- الدرجيني(أبو العباس أحمد بن سعيد)، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلي، مطبعة البعث، قسنطينة، (1974)، ج1.
- ابن رشد القرطبي (أبو الوليد محمد بن أحمد)، فتاوى ابن رشد، جمع وتحقيق المختار بن الطاهر التليلي، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، السفر 3.
- الرقيق القيرواني (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم)، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقي العاصمي الغرناطي)، كتاب صلة الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، مطبعة فضالة، المحمدية، القسم الخامس، 1995.
- ابن أبي زرع الفاسي (علي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1973.
- ابن الزيات التادلي(أبو يعقوب يوسف بن يحيى)، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1984.
- ابن الساعي البغدادي (أبو طالب علي بن أنجب)، نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ابن سعيد المغربي(أبو الحسن علي بن موسى)، وآخرون، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1953، ج2.
- السقطي المالقي الأندلسي (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد)، في آداب الحسبة، نشر كولان وليفي-بروفنسال، مكتبة إرنست لورو Ernest Leroux، باريس، 1931.
- السلفي (أحمد بن محمد)، معجم السفر، أخبار وتراجم أندلسية، تحقيق إحسان عباس، ط. 2، دار الثقافة، بيروت، 1979.
- جلال الدين السيوطي، المستظرف من أخبار الجوارى، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط. 2، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1976.
- ابن عبد الحكم (عبد الرحمان بن عبد الله)، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964.
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان وإليفي-بروفنسال، ط. 3، دار الثقافة، بيروت، 1983، الأجزاء 1-2-3: الجزء 4، تحقيق ومراجعة إحسان عباس، ط. 3، دار الثقافة، بيروت، 1983؛ قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.
- ابن عميرة الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، مطبع روخس، مدريد، 1884.
- ابن عياض (عياض بن موسى السبتي)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق عبد

القادر الصحراوي، مطبعة فضالة، المحمدية، 1983، ج4.

- ابن عياض (عياض بن موسى السبتي) وولده محمد، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تحقيق محمد بن شريفة، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- القزويني (زكرياء بن محمد بن محمود)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ابن القطان الفاسي (أبو الحسن علي بن محمد)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.
- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط. 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979.
- المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تقديم وفهرسة محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987.
- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج2.
- النويري (أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.
- الوزان الفاسي (الحسن بن محمد)، وصف إفريقية، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج1.
- الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، الأجزاء: 3 - 5 - 6 - 9 - 10.

الدراسات الحديثة:

- بنمليح (عبد الإله)، الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2004.
- العبادي (أحمد مختار)، الصقالبة في إسبانيا، المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، 1953.
- العروي (عبد الله)، مفهوم التاريخ: الألفاظ والمذاهب، ط. 2، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ج1.
- القادري بوتشيش (إبراهيم)، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط. 1، دار الطليعة، بيروت، 1998.
- سعد (فهمي)، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة، ط. 1، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993.
- BRIGNON (Jean) et autres, Histoire du Maroc, Hatier, Paris, 1967.

- DESCHAMPS (Hubert), Histoire de la traite des noirs de l'antiquité à nos jours, l'histoire sans frontières, Fayard, Paris, 1972.
- El Alaoui(Abdelaziz), Le Maghrib et le commerce transsaharien (milieu du XIè -milieu du XIVès.),Thèse de doctorat de 3ème cycle, Université de Bordeaux III, Institut d'Etudes Arabes et Islamiques, Bordeaux, 1983
- MOULIERAS (Auguste), Le Maroc inconnu, Imprimerie D. Heintz, Oran, 1899, T. 2
- LEMERCIER (Claire), ZALC(Claire), Méthodes quantitatives pour l'historien, coll. Repères, Editions la Découverte, Paris, 2008
- MAUNY(Raymond),Tableau géographique de l'ouest africain au moyen âge, d'après les sources écrites, la tradition et l'archéologie, I.F.A.N., Dakar, 1961

المقالات:

- بدر (أحمد)، المجتمع الأندلسي والمجتمع الإسباني في عصر ملوك الطوائف، مجلة دراسات تاريخية، العددان 15-16، دمشق، يناير- ماي 1984، صص 32 - 66.
- بنمليح (عبد الإله)، الحرب في تاريخ المغرب الوسيط: مقارنة ديمغرافية تاريخية، مساهمة في يوم دراسي بعنوان: "البحث العلمي والتاريخ العسكري"، تنظيم اللجنة المغربية للتاريخ العسكري بالرباط، فاس، يوم 27 أبريل 2006، [غير منشور].
- بنمليح(عبد الإله)، قراءة في نصوص مغربية من زاوية ديمغرافية: أنموذج الفترة الوسيطة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد السادس، 1996، صص-26 07.
- بنمليح (عبد الإله)، معطيات ديمغرافية تاريخية في مقدمة كتاب العبر.. قراءة في المقاربة الخلدونية، مجلة "عصور"، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2010، العدد 16، صص 147 - 158.
- عمر موسى (عز الدين)، وقفات منهجية مع المفاهيم والمنظور والأساليب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، صص 121 - 203.
- مبارك(بشير)، أثر المنهج الكمي في الدراسات التاريخية: قراءة في كتاب مفهوم التاريخ لعبد الله العروي، مجلة دفاتر البحوث العلمية، الصادرة عن المركز الجامعي عبد الله مرسل، تيبازة، الجزائر، م 9، ع 1، السنة 2021، صص 84 - 94.
- نشاط (مصطفى)، من صعوبات البحث في الديمغرافيا التاريخية للمغرب الوسيط : الطاعون الأسود نموذجا، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، العدد 6، 1996، صص 27 - 46.
- DUPAQUIER (Jacques), Démographie historique, Dictionnaire des sciences historiques, sous la direction de 190-André BOURGUIERE, Presses Universitaires de France (PUF), Paris, 1986, pp.185
- DUPAQUIER (Jacques), Histoire et démographie, Population, année 1977, volume 32, n°1, pp. 299 - 321
- FALL(Yoro K.) Modalités et formes de développement de l'esclavage en Afrique de l'ouest, pp.39 ضمن كتاب مسألة الرق في إفريقيا، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1989.

- FONTENAY (Michel), Le Maghreb barbaresque et l'esclavage méditerranéen aux XVI^e et XVII^e siècles, les Cahiers de Tunisie, T. XLIV, n° 157, 3^e-4^e trimestre, 1991, pp. 07, 158-159.
- IDRIS (Hady Roger), Contribution à l'étude de la vie économique en Occident musulman médiéval : Glanes de données chiffrées, Revue de l'Occident musulman et la Méditerranée, Aix-Provence, n° 15, 1973, pp. 75-87.
- RAGIB (Yusuf), Les marchés aux esclaves en terre d'Islam, Settimane di studio del centro italiano di studi sull'alto medioevo XL, Mercanti e mercati nell'alto medioevo, l'area europea e l'area Mediterranea, Spoleto, 1993, pp. 721-763.
- ROSENTAL (P. -A), La nouveauté d'un genre ancien : Louis HENRY et la fondation de la démographie historique, Population, année 2003, volume 58, n°1, pp. 103 - 136.
- STELLA(Alessandro), L'esclavage en Andalousie à l'époque moderne, Annales ESC, Jan.-Fév. 1992, n° 1, pp. 35-63.
- TALBI (Mohamed), Effondrement démographique au Maghreb du XI au XV^e siècle, Cahiers de Tunisie, 1^e et 2^e trimestre, Tome XXV, 1977, n° 97, pp. 51 - 60.
- VERLINDEN (Charles), Aspects quantitatifs de l'esclavage méditerranéen au bas moyen âge, Anuario de estudios medievales, Consejo Superior de Investigaciones Cientificas, 10, Barcelona, 1980, pp. 769-789.
- VERLINDEN (Charles), La traite des esclaves, un grand commerce international au Xe siècle, Mélanges E. - R. Labande, Etudes de civilisation médiévale, Poitiers, 1974, pp. 721-730.

توظيف المنهج الكمي لاكتشاف الامكانيات الشكلية لقضية الموقع في مرحلة البرمجة المعمارية لاعمار الموصل القديمة

الباحث: زيد اسامة رشيد

الباحثة: فردوس فارس عبد القادر الشالجي

Recruiting quantitative Approach To Discover Formal Potentialities For Reconstruction Of Old Mosul City In Architectural Programming

Abstract:

The quantitative approach is one of the scientific methodologies that enable to obtain statistically significant results after analyzing qualitative information resulting from qualitative measurement tools such as the questionnaire, which is analyzed using statistical analyzes that enable obtaining statistically significant results, so the architectural programming stage uses quantitative approaches, And because the stage before the reconstruction of the old Mosul process (the architectural programming stage) is a complex stage, dealing with vocabulary and qualitative variables (the locations of the embodiment of the client's goals for the site vocabulary), which were extracted from the work of an analytical study of realistic examples, and after the research assumed the locations of the embodiment of the client's goals for the site issue, It also assumed the discrepancy in the position of the embodiment of the objectives of the user and the expert, then in based on used The Delphi method, which is based on society intelligence, which requires the use of a questionnaire, was used. The data of the questionnaire were analyzed using descriptive and inferential analysis methods. The research was able to discover the formal potential of the user and the client, and the research was able to reach accurate quantitative results regarding the issue of user goals. And the client, who agreed on the issue of the site, but they differ in terms of the degree of importance of the formal capabilities of each.

المستخلص:

يعد المنهج الكمي من المنهجيات العلمية التي تمكن من الحصول على نتائج ذات دلالة احصائية بعد تحليل معلومات نوعية ناتجة من ادوات قياس نوعية مثل الاستبانة، والتي يتم تحليلها باستخدام تحليلات احصائية تمكن من الحصول على نتائج ذات دلالة احصائية، لذا فان مرحلة البرمجة المعمارية تستخدم المناهج الكمية، ولان مرحلة ما قبل عملية اعمار الموصل القديمة (مرحلة البرمجة المعمارية) هي مرحلة معقدة، تتعامل مع مفردات ومتغيرات نوعية (مواضع تجسيد اهداف العميل لمفردة الموقع) والتي تم استخلاصها من عمل دراسة تحليلية لامثلة واقعية، وبعد ان افترض البحث مواضع تجسيد اهداف العميل لقضية الموقع، كما افترض التباين في موضع التجسيد لاهداف المستخدم والخبير، تم الاستعانة بطريقة دلفي التي تستند الى الذكاء الجمعي، والتي تستلزم استخدام الاستبانة، وقد تم تحليل معطيات الاستبانة باستخدام وسائل التحليل الوصفية والاستدلالية، وقد تمكن البحث من اكتشاف الامكانيات الشكلية للمستخدم والعميل، وقد تمكن البحث من الوصول الى نتائج كمية دقيقة فيما يخص قضية اهداف المستخدم والعميل والذان اتفقا فيما يخص قضية الموقع لكنهما يتباينان من حيث درجة اهمية الامكانيات الشكلية لكل منهما.

الكلمات الدلالية: المنهج الكمي، البرمجة المعمارية، الامكانيات الشكلية، مواضع التجسيد، الاهداف، القيم، القضايا.

المقدمة:

ان عملية اعمار الموصل القديمة هي عملية معقدة ترتبط بعدة جهات منها المستخدم والدولة والاستشاريين، لما للمدينة من خصوصية تاريخية، ان البحوث الخاصة باعمار الموصل القديمة يجب ان تستند الى منهجية كمية تمكن من اكتشاف وتحديد اهداف جميع الجهات، وكون البرمجة المعمارية تستخدم اساليب علمية كمية ونوعية تمكن تحليل جميع انواع المعلومات الفيزيائية والاجتماعية والقيمية، حيث انها مهمة لانها تمكن من اكتشاف الامكانيات الشكلية للعميل لقضية الموقع مما يساعد في اشراكه في اعمار مدينته.

تعريف:

المنهج الكمي: يعرف البحث الكمي في التسويق على أنه منهج لجمع البيانات من العملاء الحاليين والمحتملين باستخدام طرق العينات وإرسال استقصاءات الكترونية، واستبيانات، إلخ، والتي يمكن تحليل نتائجها باستخدام الطرق الإحصائية. وعادة ما تكون النتائج التي ينتجها البحث الكمي عددية وبعد فهم دقيق لهذه الاعداد للتنبؤ بمستقبل منتج أو خدمة وإجراء التغييرات وفقا لذلك (قنديلجي، عامر، السامرائي، ايمان، البحث، 2008).

البرمجة المعمارية: يمكن تعريف البرمجة المعمارية (Architectural Programming) حسب بينا على انها ادارة للمعلومات بأسلوب بحثي نظامي بهدف تحديد المتطلبات لحل المشكلة الالهة ولها مراحل عامة للتطبيق (Pena (William, 1969, p. 291).

وحسب جيرري فان البرمجة هي طرق البحث وصنع القرار والتي تعرف المشكلة الالهة والمتطلبات اللازمة توفيرها بالاستناد الى المنهج الكمي لكي يتم حلها من قبل المصمم (Cherry, 2006, p. 3).

وتشير ديورك الى ان مصطلح الاستخلاص (briefing) (الذي اشتهر في بريطانيا يعبر عن طرق تحليل وتركيب المعلومات التي تحتاجها عملية البناء لغرض اتخاذ قرار التنفيذ، وهي في المرحلة الاولى تستخدم المنهج الكمي (Kelly (and Duerk 2006:3).

وقد عرفت البرمجة المعمارية بكونها طريقة نظامية للبحث عن المعلومات الكافية لتوضيح وفهم وتحديد المشكلة (الدباغ، 2013).

وعليه يمكن تعريف البرمجة على انها عملية تستخدم منهجيات البحوث العلمية وخصوصا الكمية منها في ادارة المعلومات بهدف زيادة كفاءة تصميم وتنفيذ وتشغيل المبنى، وتقليل نسبة المخاطرة، الناتجة عن ذاتية القرارات التصميمية للمصمم والمنفذ.

الادبيات:

- (Pena William, 1969; Peña and Steven, 2012) الموسومة بـ "Seeking Problem"

وهي من اولى الدراسات النظرية التي وضحت المنهج التوافقي المتبع من قبل مؤسسة (CRS) ، والتي تهدف الى تسهيل عملية التصميم من خلال التوفيق بين الزبون والمصمم وفريق العمل، وابعاد ذاتية المصمم بهدف تقليل الكلفة والزمن اللازمين لتنفيذ وتصميم المشروع، ويستخدم المنهج اساليب تفكير خطية، ضمن خطة عمل متضمنة لخمس مراحل، تبدأ بمرحلة، أ: تحديد الهدف (ماذا يريد العميل ان يحقق ولماذا) ، ب: جمع الحقائق : تحديد الافكار (كيف يمكن ان نحدد الهدف)، د: المتطلبات (المساحات والكلفة المطلوبة والجودة) ، كما تشير الدراسة الى ان العميل (المستخدم ، الخبير) يهتم بالموقع من الناحية الشكلية فقط ، لذى فعلى المبرمج ان يقوم بالتحليلات المستندة الى المنهج الكمي في المرحلة الاولى والثانية والثالثة ولانها تستند الى معلومات نوعية تحتاج الى نتائج ذات دلالات احصائية .

- (Cherry, 2006) الموسومة بـ "programming for design from theory to practice"

وهي من الدراسات التطبيقية والتحليلية، ظهرت في بداية القرن الواحد والعشرين من قبل المبرمج جيري وهي تطوير لمنهج بينا ، فمن خلال مراقبة مدى الجدوى من تطبيق منهجية المنهج التوافقي، تبين ان العميل (المستخدم ، الخبير) هو من يحدد المعيار الاهم ولكن ضمن نفس معايير المنهج التوافقي، الامر الذي يستلزم وجود مرحلة تحليل تستخدم التحليلات الاجتماعية تستند الى المنهج الكمي ، لانها تستلزم فهم المبرمج لاساليب التفكير للعميل الاستقرائية والاستنتاجية لكي يتمكن من تحديد الاستراتيجية الانسب للمشروع ، حيث اتبع جيري ستة مراحل محددة لبرمجة المعلومات، والتي تبدأ، أ: بالتحليلات الفيزيائية، ب: مرحلة جمع المعلومات، ج : مرحلة تحديد الاهداف (القضايا)، د: تحديد الاستراتيجية المثلى ، ه: تحديد الافكار، و: اعداد الملخص، والتي تستند الى المنهج الكمي، (Cherry, 2006, p. 13)، حيث ان اتخاذ القرار يستند الى تسلسل المعايير (التنظيمية ، الوظيفة ثم الشكل ثم الاقتصاد ثم الزمن)، تشير الدراسة الى ان اهداف العميل التي ترتبط بقضية الموقع هي قضايا شكلية ترتبط بتوقعات العميل، وعليه فانه على المبرمج ان يقوم بتحليلات تستند الى المنهج الكمي لاكتشاف توقعات العميل وتحديد اهدافه .

- (Cherry, Edith, AIA and Petronis, 2016) الموسومة بـ "Design disciplines"

دراسة تتبنى المنهج التشاركي، تحاول الدراسة الربط بين الممارسات المعمارية والبرمجة باعتبار ان البرمجة المعمارية خدمة للمصمم، حيث تحاول تقصي اسباب اهمال البرمجة المعمارية في الثمانينات وبداية التسعينات من القرن العشرين، من خلال توضيح اهمية البرمجة كونها تسهل اشراك اهداف العميل (المستخدم ، الخبير) ضمن العملية التصميمية، وتوضح ان المنهج التشاركي الذي يستند الى المنهج الكمي في تحليله للحقائق الاجتماعية يمكن ان يستخدم كمنهج برمجي للممارسات المعمارية ضمن العديد من الحركات المعمارية المعاصرة، حيث انه يستخدم اساليب تفكير خطية لتطبيق المراحل الستة انفة الذكر، وتشير الدراسة الى ان اهداف العميل التي ترتبط بقضية الموقع هي قضايا شكلية ترتبط بتوقعات العميل، وعليه فانه على المبرمج ان يقوم بالتحليلات المستندة للمنهج الكمي لاكتشاف توقعات العميل وتحديد اهدافه .

- (Kelly and Duerk, 2006) الموسومة بـ

"BEST value in Construction (Construction project briefing) architectural programming"

هي دراسة نظرية، تبنت المنهج القيمي، تستخدم المنهج الكمي تعنى باساليب استخلاص اهداف العميل(المستخدم ، الخبير) وترجمتها الى معايير ادائية (قضايا) تستخدم لتقييم مراحل البرمجة الممتدة الى مراحل المشروع (التصميم والتنفيذ وما بعد الاشغال (فهم كيفية تشغيل المشروع))، ويكون دور المبرمج كمسهل ومحقق حيث يستخدم المنهج اساليب تفكير حلزونية، حيث ان خطة العمل قابلة للتطور وتتقدم من العام الى الخاص باساليب تحليل شجرية وتبدأ بـ: أ- جمع المعلومات (وتشمل الحقائق الفيزيائية والاجتماعية والقيمية) ب- تحديد قيم العميل. ج- ترجمة القيم الى اهداف. د- ترجمة الاهداف الى قضايا (معايير ادائية). جمع المعلومات (وتشمل الحقائق الفيزيائية والاجتماعية والقيمية). ولذلك يتوجب على المبرمج ان يستخدم تحليلات تستند الى المنهج الكمي لغرض ادارة قيم العميل واكتشاف القيم الالهة فيما يخص قضية الموقع.

- (Hershberger, 2015) الموسومة بـ

"Architectural programming and predesign manager "

وهي دراسة تحليلية تتبع المنهج القيمي، وهي تطوير لدراسة ديورك 1993 (Hershberger, 2015, p. 4) ، حيث تعتبر البرمجة عملية تسهل عملية التصميم والتنفيذ والتشغيل وتمتد على طول هذه المراحل، (Hershberger, 2015, p. 13)، كما تهدف الى اشراك العميل (المستخدم ، الخبير) في تلك المراحل لكنها تحاول ايجاد طريقة لادارة القيم المستخلصة منه، بهدف تقليل الزمن والكلفة اللازمة للبرمجة، وباستخدام اساليب التفكير الحلزونية يقوم المبرمج باتباع عدة مراحل انفة الذكر، وقد تبني المنهج القيم المعاصرة المعروفة بال (HEACTAS)، حيث يتسلح المبرمج بها بهدف استخلاص قيم العميل والتي تصنف استنادا الى القيم الثمانية، وباستخدام استراتيجيات هندسة القيم المستندة الى المنهج الكمي يقوم المبرمج باستخلاص القيم الالهة للعميل والمرتبطة بالموقع، وهي الطوبوغرافية ، التصريف، الكثافة النسبية، توقعات العميل.

- (Kelly and Mal, 2006) الموسومة بـ "BEST value in contraction Male, Steven Building the business value case"

دراسة نظرية وهي تطوير لدراسة ديورك و هيرشبركر، تهدف الى ادارة عملية بناء قضايا القيم في مراحل التصميم والتنفيذ والتشغيل من خلال تبني استراتيجيات هندسة القيم المستندة الى المنهج الكمي، لذا يتحقق دور العميل كمسهل من خلال ادارة القيم التنفيذية والمستخلصة من العميل (المستخدم ، الخبير)، وباستخدام اساليب تفكير حلزونية يطبق خطوات المنهج القيمي الانفة الذكر، وباستخدام استراتيجيات هندسة القيم لادارة القيم يتمكن المبرمج من استخلاص القيم الالهة للعميل والمرتبطة بالموقع.

الاستنتاج:

بعد استعراض الادبيات الخاصة بالبرمجة المعمارية تبين ان منهجيات البرمجة المعمارية برغم تباينها تتفق على انها تستند الى المنهج الكمي في مرحلتها الاولى وذلك لانها تتعمل مع معلومات نوعية مثل اهداف العميل (المستخدم ، الخبير) تستلزم اساليب تحليل تمكن من الحصول على نتائج ذات دلالات احصائية فيما يخص قضية الموقع. كما ان الادبيات لم تتمكن من تحديد مواضع تجسيد اهداف العميل بشكل واضح ودقيق، لذا سيتم تحليل امثلة واقعية مستخلصة من ادبيات البرمجة المعمارية بهدف استخلاص مواضع التجسيد التي تخص قضية الموقع،

تحليل الامثلة التابعة حسب منهج بينا (Peña and Steven, 2012, pp. 125-150)

جدول (1) يوضح الامكانات الشكلية المستخلصة من الابنية العامة والتجارية فيما يخص قضية الموقع

المصدر	موضع التجسيد		نوع الاهداف	الاهداف	اسم المشروع
الخبير	نسبة التغطية	المجاورات/ الفيزيائية	كفاءة استخدام الاراضي	الحفاظ على تماسك موقع المبنى عندما يمر من خلاله شارع عام	منتزه مركز ابحاث للجامعة 1983
		توقعات العميل	توقعات العميل	خصوصية الموقع	
الخبير	عناصر انشائية التقنيات العالية	الكتل/الانشائية	توقعات العميل	عندما لا يملك الموقع هيئة واضحة يجب على المنتزه ان يوفر توقعات العميل له	الكلية التقنية قسم العلوم 2007ص130
		الكتل/الفتحات	استدامة بيئية	الحفاظ على الطاقة والماء	
		الفضاءات	الجودة/التفرد	التعبير عن الإبداع والابتكار	
الخبير	تقنيات عالية	الكتل/الهيكل الانشائي	مراعاة عناصر الموقع	التعبير عن البيئة الساحلية من شعاب مرجانية نقية البرية الأخرى	
		عناصر انشائية	الكتل/انشائية		

تحليل الامثلة حسب منهج بركر (Hershberger, 2015, pp. 117-300)

جدول (3) يوضح الامكانيات الشكلية المستخلصة من الابنية السكنية فيما يخص القضية الموقع:

المصدر	الحقائق الفيزيائية	موضع التجسيد		نوع الاهداف	الاهداف	اسم المشروع
الخبير	ترتيب الوحدات بشكل محوري مع مراعاة عدم التلاصق	المخطط	المخطط	الطوبوغرافية	الحصول على الاضاءة الملائمة وتجنب الرياح سقوف مائلة باتجاه الشرق وعمل مصدات للرياح من الجهة الغربية وخلق فضاءات معيشة بالجهة الغربية	منازل صحراء اريزونا
		التوجيه	الكتل			

المصدر	الحقائق الفيزيائية	موضع التجسيد	نوع الاهداف	الاهداف	اسم المشروع
الخبير	ارتفاع محدد عن الارض	الفيزيائية	الموقع	للتقليل من تأثير الرياح والفيضان والحماية من العواصف ومقاومة التطرف في المناخ	منازل غرب باكستان
	توجيه المبنى لتجنب الرياح	الاساسية\التوجيه	الكتل		
الخبير	الوحدات بحيث يتم الحصول على المناظر	التوجيه نمط تقليدي	الكتل	احترام الموقع والمناظر المحيطة الطبيعية او البناءات	منزل الاوريوفي اريزونا

التطبيق العملي:

سوف يستخدم البحث المنهج الكمي (اساليب تحليل لمعلومات نوعية) لغرض استخلاص اهداف العميل (المستخدم ، الخبير).

1 مستلزمات تطبيق الدراسة العملية :

وسائل قياس المتغيرات:

استخدمت الاستبانة لقياس المتغيرات كون مناهج البرمجة المعمارية تؤكد على ان اهداف العميل (اراء الناس) تتجسد في المعلومات النوعية والتي تستلزم استخدام وسائل القياس النوعية (Hershberger, 2015, p. 273). كما ان البحث اتبع طريقة دلفي (Delphi method) لتحديد القضايا الالهة، لانها طريقة تمكن من اشراك العميل من خلال تطبيق منهج صنع السياسات التشاركية (participatory policymaking approach) بالاستفادة من الذكاء الجماعي، و تستلزم استخدام الاستبانة بمقياس ليكرت [2]: الذي يمكن من ترجمة تفضيلات المستخدم والخبير الى فترات قابلة للقياس ، حيث توفر امكانية المقارنة بين راين (المستخدم والخبير). كما توفر امكانية استشراف المستقبل اي التنبؤ بالمنهج الامثل ، لهذا وضعت الصيغة الخبرية للسئلة وليس الاستفهامية ، ومن ثم يتم تحليل النتائج . طريقة (Delphi Technic) (BTS, 2020) : هي طريقة تستخدم لتقدير الاحتمالات المستقبلية للوصول الى اجماع حول قضية معينة، وهي مشابهة لعملية العصف الذهني (Brainstorming) لكنها تستبعد الذاتية الناتجة عنه. (سعود، 2019).

الحالة الدراسية:

ان عملية اعمار الموصل القديمة بمحافظة نينوى يجب ان تسبقها عملية تخطيط (برمجة معمارية) ، كون حجم وانواع الحقائق المتعلقة بها كبيرة ومتنوعة يصعب تحليلها جميعها، كما وان قدم المدينة اعطى خصوصية لسكانها (المستخدمين) والمؤسسات المسؤولة عنها (الخبراء) ، مما يمكن من اعتبارهم الحاملين لهوية المدينة، الامر الذي دعا الى توظيف المنهج الكمي المستخدم في مناهج البرمجة المعمارية بهدف تحديد القضايا الالهة التي تستلزم التحليل.

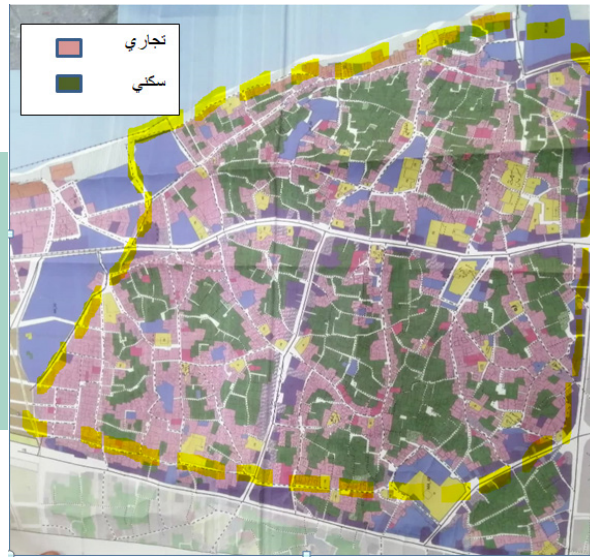
الاستبانة:

استخدمت الاستبانة كوسيلة للقياس لان الامكان الشكلي يرتبط بتوقعات العميل حول البيئة النفسية والفيزيائية

للمبنى ومحيطه والمفضلة لدى المستبان، كما تؤكد مصادر البرمجة المعمارية على ان المجتمعات المستبانية (مصادر المعلومات) تتنوع بين ، (المستخدم والخبير والمصمم) وبما ان المصمم للمدينة القديمة غير محدد لحد الان ، فضلا عن ان نتائج البرمجة لهذا البحث ستخدم المصمم فيما بعد، لذا فقد قام البحث باعداد نموذجين للاستبانة لغرض قياس المتغيرات ، نموذج رقم (1) المستخدم ، ونموذج رقم (2) الخبير، وقد روعي في توزيع وجمع المعلومات للنموذج رقم (1) الانتشار في معظم مناطق المدينة القديمة ، و قد تضمنت محور يعبر عن قضية الموقع، اما الاسئلة فهي تتناول مواضع التجسيد لاهداف العميل (الامكانات الشكلية) وحسب الفرضيات وحسب نوع المبنى وحسب استنتاجات الدراسة التحليلية وايضا حسب قوانين البلدية الخاصة بالمدينة القديمة(قوانين بلدية الموصل)، كما تمت الاستعانة بدراسات البرمجة المعمارية لتحديد المحاور التي تتمحور حولها الاسئلة (Peña and Steven, 2012, p. 259). وقد تم اجراء استطلاع راي لعينة مكونة من 6 اشخاص ثم تم تعديل اسئلة الاستبانة على اساسه.

العينات والمسح الميداني:

ان مجتمع العينة هو سكان المدينة القديمة بالموصل حيث ان التعداد السكاني للمنطقة القديمة بالموصل استنادا الى عدد النازحين منها هو 120 الف نسمة تقريبا (ديارنا، 2018) ، ولصعوبة اجراء الاستبانة لكل افراد المدينة بالنسبة لاستبانة المسح الميداني نموذج رقم (1)، فقد تم اختيار عينات عشوائية ثابتة [3] ، مع مراعاة انتشار العينة لجميع مناطق المدينة القديمة والتي عددها 24 منطقة حسب احصاءات اليونسيف ، وبالتالي تمكن البحث من جمع 104 عينة، اضافة الى ان الاجابات قد جمعت من قبل الباحث وتم ملؤها يدويا والكترونيا ، ولغرض التأكد من ثبات الاستبانة (اي احتمالية اجابة المستبان بنفس الاجابة عند سؤاله مرة اخرى بعد فترة زمنية) والذي تم قياسه وفق اختبار الفا كرونباخ ، اما بالنسبة لاستمارة المسح الميداني رقم (2) فقد تم اختيار العينة العشوائية البسيطة [4]: للموظفين في دوائر الدولة والذين يمتلكون الخبرة بقوانين البناء بالمدينة القديمة، مثل 2 المكتب الاستشاري للجامعة والبلدية والبلديات والمحافظه والكهرباء لتمثيل رأي الخبير، وقد اجري المسح الميداني بالاستعانة بالكوكل فورم لعمل نموذج الاستبانة وملئها يدويا والكترونيا وبالتعاون مع مهندسي قطاع المدينة القديمة/بلدية الموصل.3.



شكل رقم (1) يوضح حدود المسح الميداني (المخطط الايطالي) (قطاع المدينة القديمة/ بلدية الموصل)

جدول (1) استمارة المسح الميداني للمستخدم نموذج رقم (1)

(2) العينات العشوائية الثابتة: هي من أكثر أنواع العينات العشوائية في الإحصاء استخداماً عندما يتعلق الأمر بالرغبة في قياس اتجاهات أو آراء الأشخاص تجاه موضوع معين، ويتم اختيار مفردات هذه العينة بشكل عشوائي ومن ثم يتم استخدامها مرات عديدة أو بشكل منتظم في أوقات زمنية مختلفة.

(3) العينة العشوائية البسيطة Sample random sampling: تتصف العينة العشوائية البسيطة بأنها مجموعة جزئية من المجتمع الأصلي وبحجم معين لها نفس الفرصة (الاحتمال) لاختار كعينة من ذلك المجتمع، (للاستشارات، 2020) 5 الفاكرونباخ، هو مقياس ثبات الاختبار ومصداقيته، والقدرة على تعميم النتائج (ل)

القضية	محور السؤال	رمز السؤال	السؤال
قضية الموقع	السكنية تأثير الموقع توقعات العميل	X1	من الممكن ان يكون البيت متدرج بسبب ضيق المساحة
		X2	اجد صعوبة في تحديد ملكية البيت والفرز بسبب شكل البيوت غير المنتظم
		X3	ان توجيه الشبائيك نحو الحوش بسبب التلاصق بين البيوت
		X4	ان عدم امكانية زيادة عدد الطوابق (بسبب قوانين البلدية) يؤثر على سعة وحجم الدار
		X5	افضل ان تكون ارتفاعات البيوت متساوية
		X6	لا افضل وجود عمارات مرتفعة بالقرب من البيوت السكنية
		X7	اتجاه وحجم النوافذ
		X8	وجود الحوش يتفق مع طبيعة مباني المنطقة
		X9	ان ارتفاع المبنى عن الارض يجنب تسرب مياه التصريف للداخل

جدول رقم (2) استمارة المسح الميداني للخبير نموذج رقم (2)

القضية	محور السؤال	رمز السؤال	السؤال
قضية الموقع	ان قانون البلدية التخطيطي للمدينة القديمة في الجانب التالي يراعي الموقع 2	X1	من ناحية الكثافة النسبية للبناء (المساحة المبنية بالنسبة للارض)
		X2	من ناحية الفرز
		X3	من ناحية الارتداد
		X4	من ناحية ارتفاع المبنى
		X5	اتجاه وحجم النوافذ
		X6	تدرج الكتل
		X7	حجم واتجاه النوافذ
		X8	الانماط التقليدية
		X9	انسجامها مع المباني المحيطة
قضية الموقع	ان احاطة دوائر الدولة بالمناظر الطبيعية او المباني يؤثر على 1.2	X1	من ناحية الكثافة النسبية للبناء (المساحة المبنية بالنسبة للارض)
		X2	من ناحية الفرز
		X3	من ناحية الارتداد
		X4	من ناحية ارتفاع المبنى
		X5	اتجاه وحجم النوافذ
		X6	تدرج الكتل
		X7	حجم واتجاه النوافذ
		X8	الانماط التقليدية
		X9	انسجامها مع المباني المحيطة

معالجة البيانات :

تم تحويل النتائج الى برنامج الاكسل لغرض الترميز، ومن ثم تم تعريف النتائج الى برنامج SPSS نسخة 25، وبعدها تم ترميز وتعريف المتغيرات بالبرنامج، وللتأكد من صدق الاتساق الداخلي للاستبانة تم اخضاعها لاختبار الفا كرونباخ الذي اظهر نتيجة 86% ول 50 من المستبانين وهي قيمة مقبولة لانها اكبر من 70% وبعدها اكمل الاستبيان الى ان وصل العدد الى 104 وتم اعتماد نتائج الاستبانة لاجراء الاختبارات اللازمة لتحقيق اهداف البحث.

التحليلات الاحصائية:

النوع الاول: التحليلات الوصفية: النسب المئوية والتكرارات

النوع الثاني: التحليلات الاستدلالية:

اولا: تحليل المقارنة (One Sample-T-test, (one-sample-T-test)) لمعرفة الامكانات المفضلة:

T-test هو اختبار يستخدم لمقارنة المتوسطات للمتغيرات المستقلة: حساب نسبة انحراف فرق اي وسط عن وسط

اختبار T لعينة واحدة (one-sample-T-test)

استخدم التحليل بهدف تحديد مواضع تجسيد اهداف المستخدم والعميل والتي تمثل امكان شكلي ،

(تحليل المقارنة) (Independent-Samples-T-test):

اختبار لمقارنة متوسط عينتين مستقلتين افراد العينة الاولى ليسو افراد العينة الثانية.

يستخدم لبيان تباين الراي بين المستخدم والخبير حول مواضع تجسيد القضايا.

تحليل بيانات الدراسة العملية

بهدف تحليل نتائج مرحلة الدراسة العملية، تم تمثيل نتائج الاختبارات تمثيلا بيانيا

-تحليل النتائج المتعلقة بالامكانات الشكلية/ تمثيل نتائج الاختبار الاستدلالي (One Sample-T-test) من وجهة نظر الخبير والمستخدم:

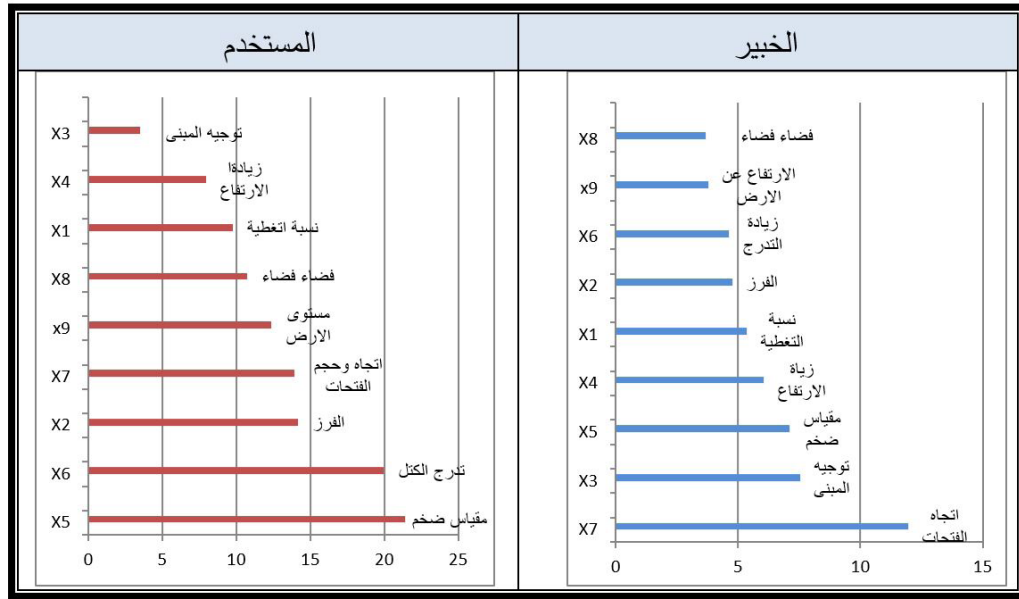
اولا-نتائج تحليل مواضع التجسيد(المتغيرات) لقضية الموقع:

أ - نتائج مواضع التجسيد حسب تفضيلات الخبير:

تظهر نتائج تحليل تفضيلات الخبير لمواضع تجسيد قضية الموقع، ان قيمة مستوى الدلالة للفقرات اصغر من (0.05) اذن جميع متوسطات الفقرات تتفق مع معدل المتوسطات وعليه يُرفض الفرض الصفري ويُقبل الفرض البديل وعليه فان (اتجاه وحجم الفتحات، توجيه المبنى، المقياس الضخم، زيادة الارتفاع، نسبة التغطية ، الفرز، زيادة تدرج الكتل، الارتفاع عن الارض، تجاورفضاء فضاء)، هي امكانات شكلية مرتبطة وتم تمثيل تسلسل افضلياتها حسب قيمة (T) .

ب - الامكانات الشكلية حسب تفضيلات المستخدم:

تظهر نتائج تحليل تفضيلات المستخدم لمواضع تجسيد قضية الموقع والتي تتمثل بمتوسطات الفقرات، ان متوسطات الفقرات تتفق مع معدل المتوسطات اذن يرفض الفرض الصفري ويقبل الفرض البديل وعليه فان (المقياس الضخم، تدرج الكتل، الفرز، اتجاه النوافذ، الارتفاع عن الارض، تجاورفضاء فضاء، زيادة نسبة التغطية، زيادة ارتفاع المبنى، الارتفاع عن الارض) ، هي الامكانات الشكلية المرتبطة بقضية الموقع، و قد تم تمثيل تسلسل افضليات الامكانات الشكلية حسب قيمة (T) وحسب ما موضح بالجدول (4)



مناقشة النتائج:

-مناقشة النتائج الخاصة باكتشاف الامكانات الشكلية:

ان اساليب التحليل النوعية المستندة الى المنهج الكمي مكنت من اكتشاف الامكانات الشكلية التي تجسد اهداف العميل لقضية الموقع، ومكنت من تحديد الاختلاف في تسلسل الاهمية لمواضع التجسيد للمستخدم والخبير.

مناقشة النتائج الخاصة باكتشاف الامكانات الشكلية التي تجسد قضية الموقع:

يلاحظ الاختلاف في تسلسل اهمية الامكانات الشكلية لقضية الموقع بين المستخدم والخبير، حيث ان اهداف الخبير الاكثر اهمية لقضية الموقع تتجسد في الكتل المتضمنة (اتجاه وحجم الفتحات، توجيه المبنى للنهر ترتبط بالمستوى الحضري الخارجي للمدينة و ترتبط بالطوبوغرافية، تليها في الاهمية علاقات الكتل المتضمنة (زيادة المقياس الضخم، زيادة الارتفاع، نسبة التغطية، الفرز، زيادة تدرج الكتل) وهي ترتبط بتوقعات العميل تليها في الاهمية المجاورات المتضمنة (نسبة التغطية، الفرز، الارتفاع عن الارض، تجاور فضاء فضاء)، لانها تؤثر بالكثافة النسبية، بينما اهداف المستخدم الاكثر اهمية لقضية الموقع تتجسد في علاقات الكتل (المقياس الضخم، تدرج الكتل) وهي ترتبط بتوقعات العميل تليها في الاهمية الكتل المتضمنة (اتجاه النوافذ للخارج، الارتفاع عن الارض) وهي ترتبط بالطوبوغرافية، تليها في الاهمية المجاورات (الفرز، زيادة نسبة التغطية) وهي ترتبط بالكثافة النسبية.

الخلاصة:

1. يعد المنهج الكمي من اهم الوسائل المنهجية و العلمية المستخدمة لادارة المعلومات في المرحلة الاولى من مراحل البرمجة المعمارية، فهي تؤدي الى اشراك العميل في العملية التصميمية، مما يضمن تجسيد اهدافه في مواضع تجسيد النتاج المعماري، كما انها تؤدي الى تقليل المخاطر الناتجة عن ذاتية القرارات التصميمية للمصمم، وتقلل من الكلفة والزمن اللازمين للتصميم والتنفيذ.

2. ابرزت نتائج التطبيق العملي مواضع التجسيد التي تمثل اهداف كل من المستخدم والخبير (الامكانات الشكلية) بشكل علمي دقيق، اذ تبين تركيزهما على امكانات شكلية دون اخرى، مما يؤكد اختلاف اهداف كل منهما

قضية الموقع:

لتحقيق اهداف الخبراء والمستخدمين ، تبين ان على مبرمج عملية اعمار الموصل القديمة التركيز على استخدام المنهج الكمي في تحليل مفردة الموقع للابنية السكنية والعامية والتي تتعلق بالطوبوغرافية على المستوى الحضري للمدينة والمبنى والمرتبطة بالمتغيرات (الامكانات الشكلية) للكتل (اتجاه وحجم الفتحات، توجيه المبنى للنهر)، وذلك يتفق مع (مفردات) معايير المنهج التوافقي ، وكذلك تحليلات المنهج الكمي التي تتعلق بمفردة توقعات العميل والمرتبطة بمتغيرات علاقات الكتل (زيادة المقياس الضخم، زيادة الارتفاع، زيادة نسبة التغطية، الفرز، زيادة التدرج) وذلك يتفق مع (المفردات) معايير ادبيات المنهج التشاركي ، اما في الابنية العامة فيجب التركيز على تحليلات المنهج الكمي التي تتعلق بمفردة الطوبوغرافية على المستوى الحضري للمدينة والمبنى والمرتبطة بمتغيرات الامكانات الشكلية للكتل (اتجاه وحجم الفتحات، توجيه المبنى للنهر) لتحقيق اهداف الخبير، حيث ان المستخدم لايهتم بالامكانات الشكلية المرتبطة بالموقع والمتعلقة بالابنية الادارية. ومن هذا يتبين ان الخبير اكثر اهتماما بقيم (الشكل) والمتعلقة بالموقع وهذا يتفق مع (مفردات) معايير المنهج التوافقي جدول، ويتبين ان المستخدم اكثر اهتماما بقيم (توقعات العميل) وهذا يتفق مع معايير (مفردات) المنهج التشاركي، وهذا يتفق جزئيا مع الدراسة التحليلية لارتباط المتغيرات بمصدرها ومفرداتها جدول (2)، وقد تبين ان المنهج البريطاني مناسب لتحليل الامكانات الشكلية المرتبطة بقضية الموقع كونه يستخدم المنهج الكمي في المرحلة الاولى لادارة المعلومات والتي تمكن من تحليل امكانات شكلية خاصة بالعميل.

المصادر باللغة العربية:

1. ابوصاع، اسراء، (2014) " التغيرات في الغطاءات الارضية/استعمالات الاراضي في محافظة طول كرم بين عامي 2005 و2011 باستخدام تقنيات " GIS. جامعة النجف الوطنية.
2. اكاديمية، (2018) (BTS) "مقياس كرونباخ ألفا لقياس الصدق والثبات في استبانات البحث العلمي" https://www.btsacademy.com/blog_det.php?page=298&title.
3. اكاديمية، (2020) (BTS) "طريقة دلفي" ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.
4. اكاديمية، بحث، (2019) "انواع العينات العشوائية في الاحصاء"، مجلة الشرق الاوسط للنشر (MEJSP) العلمي.
5. الامام، وليد، (2002) "تحولات الشكل المعماري -تجوال الشكل وتكامل الخصائص"، الجامعة التكنولوجية.
6. الحنبلي، شاهر بكر مسرة، العمدة، ايمان، الحميد، علي، ع. (2005) "التخطيط واستراتيجيات اعادة اعمار وتطوير الوسط التاريخي لمدينة نابلس" جامعة النجاح الوطنية.
7. الدباغ، اسماء والحيالي، محمد (2014) "تحديد اهداف البرمجة للعمارة المستدامة / حالة دراسية- مشاريع المعماري نورمان فوستر"، المؤتمر العلمي العالمي. اربيل، ص. 1-14.
8. الدباغ، اسماء، (2013) "تحديد الأهداف في البرمجة المعمارية ضمن السياق الأكاديمي العراقي"، المؤتمر الهندسي الثاني لليوبيل الذهبي لكلية الهندسة. الموصل، ص. 149-160.
9. الدخيل، رائد، (2006) "وسائل تطوير تعليم برمجة المشاريع المعمارية (حالة دراسية: برنامج في جامعة الملك سعود)، دراسات، العلوم الهندسية. الرياض.
10. الدين، سلام، (2016) "توظيف خصائص ومفردات العمارة التراثية في العمارة المعاصرة لمدينة شبام كوكام". جامعة العلوم والتكنولوجيا.

11. الديوجي، ممتاز، الكرجية، مقدم. (2007) "خصائص التنظيم الفضائي للتكوينات الحضرية التقليدية والحديثة دراسة مقارنة لمنطقتين حديثة وقديمة"، هندسة الرفادين، 15، ص. 81-95.
12. الطاهر، مسرة، (2011) "استراتيجيات إعادة الاعمار بعد الحروب والكوارث في فلسطين". جامعة النجاح.
13. العمري، نايف، (2005) "البرمجة المعمارية والدراسات القيمية"، الرياض. <https://www.alriyadh.com/63684>.
14. النعمان، سليم، (2003) "الخصائص التصميمية المؤثرة في مرونة الحركة في الفضاءات الداخلية للابنية الجامعية (جامعة الموصل نموذجاً)". جامعة الموصل.
15. امين، محمد، ساري، محمد (2017) "نموذج الانحدار اللوجستي مفهومه، خصائصه، تطبيقاته/مع مثال تطبيقي ثنائي الحدين"، مجلة المجتمع في التربية وقضايا المجتمع، ص. 124-133.
16. بسمة، عبد الله، (2011) "تكنولوجيا التصميم الرقمية وأثرها على المعمار الحديث". <https://uraiqat.com> ./.uraiqat,archiects
17. حيدر، مقداد، سامي، (2010) "العمارة الصحية، القواعد الصحية في اختيار مساحات الشبابتك في الابنية الادارية". 7. العراق 28.
18. ديارنا (2018) "إعادة بناء مدينة الموصل القديمة مهمة جسيمة". https://diyaruna.com/ar/articles/cnmi_di/ .feature-01/17/07/features/2018
19. السلومي، سعود، (2019) "طريقة دلفي". <http://fac.ksu.edu.sa/alsallom>.
20. شيرزاد، شيرين، احسان (1985) "مبادئ في الفن والعمارة". العربية، الدار. بغداد، مكتبة اليقظة العربية.
21. صالح، ابو حسان، وعلي، العزيز (2004) "المخططات التليمية تقع لاستعمالها للأضي في مدينة (محافظة الخليل)". جامعة النجاح.
22. كوسي، زهير، كريستين (2015) "إعادة اعمار المباني التاريخية في مدينة حلب القديمة، المباني العامة انموذجاً". جامعة حلب.
23. المنارة، للاستشارات، (2020) "الاستبيان والعينة البحثية". <https://www.manaraa.com/post/5766>.
24. يونس، لمى، والمهنا، زياد (2013) "تصميم فراغ العمل في المباني الإلكترونية من منظور المعارف مثالاً على سوايا". جامعة دمشق.
25. لنستون، هارولد، توروف، موراى (2016) "طريقة دلفي: تقنيات وتطبيقات". بوسطن، ماساشوتس.
26. محمد، حسنين و حمادة، عماد، (2015) "التحولات السياسية وتواثيرها على الطابع المعماري للمباني الادارية في مصر/حالة دراسية: المباني الادارية في مصر خلال القرن العشرين" هندسة علوم جامعة أسيوط كلية الهندسة، 43، ص. 593-615.
27. 'معمارية البرمجيات' (2020) الموسوعة الحرة. <https://ar.wikipedia.org/wiki>.
28. الديوجي، ممتاز، (2002) "انماط الوحدات السكنية الحضرية وعلاقتها بالخصائص الاقتصادية والاجتماعية لقاطنيها-

دراسة ميدانية عن مدينة الموصل"، المجلة العراقية. الموصل، ص. 261.

29. ناهض، امجد، الفراء، كامل، (2009) "دور المعماري العربي عبد الواحد عبد الوكيل في احياء العمارة الاسلامية (تكنولوجيا البناء في عمارة الوكيل)". غزة. <http://site.iugaza.edu.ps/mfarra/files/2014/04/>.

30. بلدية الموصل قطاع المدينة القديمة قسم الاجازات "قرار مجلس قيادة الثورة المرقم 850 والمؤرخ في 5/7/1979".

31. بلدية الموصل قطاع المدينة القديمة قسم الاجازات "اشعار الاعمار للمدينة القديمة و استثمارة طلب لرخصة البناء التجاري استثمارة رقم (2)".

32. بلدية الموصل قطاع المدينة القديمة قسم الاجازات "استثمارة طلب رخصة بناء دار سكن وفق القرار 117 لسنة 2000".

33. نموذج رقم (1) <https://forms.gle/hyAM3MyWiSqDc4KE9>

34. نموذج رقم (2) <https://docs.google.com/forms/d/1kHjZViRV7FN9Z16xxaZQG9dC-mweu0JM469aPH6x3Po/edit?usp=sharing>

35. قنديلجي، عامر، السامرائي، ايمان، "البحث العلمي الكمي والنوعي" الطبعة العربية دائرة المكتبة الوطنية (2008).

References:

1. Aldewachi, Momtaz, H. . and Bayaty, No, M. M. . (2018) 'Architecture and Interior Design Applications', in Dictionality of Traditional Urban Fabric-Mossul as acase study. Arbeel.
2. Cherry, Edith(AIA, A. and Petronis, J.(2016)Design disciplines, How. doi: 10.10029781119508618/.ch3.
3. Cherry, Edith/ FAIA, ASLA Petronis, John / AIA, A. (2016) 'Architectural Programming Whole Building Design Guide', pp. 1-5.
4. Cherry, E. (FAIA) (2006) programming for design from theory to practice. 10th edn. Edited by J. Wiley. United States of America.
5. Committee WBDG, P. M. (2020) 'Project Planning, Delivery, And Controls', (202), p. 20005.
6. Faatz, S. (2009) 'Architectural programming: providing essential knowledge of project participants needs in the pre-design phase', Organization, technology & management in construction : an international journal, 1(2), pp. 80-85.
7. Fares, F. and Al-Dabbagh, A. (2020) 'The role of variation in architectural programming approaches in Architectural designs', in 5th international virtual conference-work shop on sustainable architecture and urbin design ICWSAUD2020. Malizia , p. ID: 10A11A.
8. Fraser, M. (2014) 'Architects and research-based knowledge ', Architects, Royal Institute of British Architects, (February).

9. Fross, K., Qqd, D. W.- and Dulxv , X. (2015) 'Use of qualitative research in architectural design and evaluation of the built environment', in Applied Human Factors and Ergonomics. Silesian /Poland: ScienceDirect Procedia, pp. 1625-1632. doi: 10.1016/j.promfg.2015.07.453.
10. Hasnain, M. and Thaheem, M. J. (2016) 'Best Value Procurement in Construction and its Evolution in the 21 st Century : A Systematic Review', Journal for the Advancement of Performance Information and Value, 8(1):11-25, pp. 1-21.
11. Hershberger, R. (2015) Architectural programming and predesign manager, Architectural Programming and Predesign Manager. doi: 10.43249781315645728/.
12. Invernizzi (2019) Value Engineering. Available At: Value Engineering - Wikipedia.Html.
13. Julie, J. (2020) The Value Engineering (VE) Process and Job Plan, Federal Higway. Available at: [https:// www . fhwa .dot . gov/ve/veproc.cfm](https://www.fhwa.gov/ve/veproc.cfm).
14. Kelly, J. and Duerk, D. (2006) 'Best Value in Construction', in Best Value in Construction. british: Rics Foundation, pp. 37-44.
15. Kleinbaum, D. G. and Klein, M. (1994) Logistic Regression:A Self-Learning Teext. Second. Spring science&Business Media.
16. Payman, S. (2013) Architectural Programming. Available at: [http://prezi.com/318bfvm1fqww/architectural programming](http://prezi.com/318bfvm1fqww/architectural-programming).
17. Peña, William. and Steven, P. (2012) Problem Seeking An Architectural Programming Primer. 5th edn. New Jersey: John Wiley & Sons, Inc.
18. Pena William, A. (1969) seeking problem. 1St edn. Edited by R. Caudill. United States: Caudill Rowlett Scott.
19. Popov, L. (2004) 'The market for facility programming: A study of client preferences and decision-making', Forum Qualitative Sozialforschung, 5(2). doi: 10.17169/fqs-5.2.603.
20. Qonway, B. (2017) Administrative buildings, WBD Caprogram of the National Institute Of Building Sciences.
21. Saleh, R. (2017) ashajaya after war ,alavible neighborhood. najah,national uniwercity.
22. Salisbury, F. (2013) Beief your Architect. 2nd edn. london and new yourk. Available at: <https://www.amazon.com/Briefing-Architect-Second-Frank-Salisbury/dp/0750636424>.
23. Soltan, S. and Ghasr, A. K. (2016) 'Analysing Legibility of Space in Office Buildings: Case Studies in Kerman, Iran', Engineering Research and Application, 6(7), pp. 28-37.
24. Subcommittee, W. A. (2016) Aesthetic. Available at: <https://www.wbdg.org/>.
25. Thanoon, A.-W. (2007) 'ICANAS 38.At:Ankara,turkey', in PopularArchitecture in the old City of Mosul/The Architecture of The Traditional House. Ankara, p. 1341.

كتب التراجم وإشكاليات التحقيق مخطوط (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) لمؤلفه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي نموذجاً

إعداد د. سوسن الفاخري

ملخص البحث

تزرخ الكثير من المكتبات ومراكز الأرشيف والمتاحف في العالم برصيد معتبر من المخطوطات، التي أصبحت محل اهتمام عددٍ كبيرٍ من الدارسين والباحثين العرب والأجانب على حدٍ سواء؛ وذلك نظراً لقيمتها العلمية والفنية، إضافة إلى كونها جزءاً هاماً من التراث الوطني لأية أمة، والحفاظ عليها يعني الحفاظ على الهوية القومية بمختلف أبعادها في ظل ما يشهده العالم من تغيرات وظهور مفاهيم علمية ومناهج بحثية كثيرة، ومع ظهور وسائل التكنولوجيا الحديثة، أصبح لزاماً الحفاظ على المخطوطات ليس فقط من التلف والضياع، وإنما يجب استخدام مناهج حديثة للاستفادة من محتواها على الشكل الأمثل.

ولا شك أن هناك صعوبات وإشكاليات تواجه عملية تحقيق المخطوطات، سواء أكان ذلك متمثلاً بغياب الوعي التراثي في طلب النصوص المحققة تحقيقاً علمياً سليماً، أو بطموح بعض دور النشر إلى الكسب السريع، مما دفعهم إلى تصوير النسخ المطبوعة دون أي التزام بحقوق الناشر الأول، أو ما يقع به بعض الأساتذة من خلال الاستعانة بطلابهم في تحقيق المخطوطات، دون أن يتحملوا عبء النظر، فيما فعله الطلبة، أو باستهانة عدد من الناشرين غير المؤهلين بقواعد التحقيق بحيث تخرج هذه المخطوطات مشوهة في محتواها، وفيها تغيير لمقاصد المؤلف وللحقائق، ونشراً للمعرفة المغلوطة بين الباحثين والدارسين، وربما بنى الدارسون أحكامهم على تلك المعلومات المغلوطة.

ولعل ما دفع الباحثة إلى تحقيق جانب من الضوء اللامع هو احتوائه على دراسة للتراجم المقدسية الواردة فيه بموجب المنهج الكمي الإحصائي الذي من أولى قواعده التحقق من سلامة المصادر التي يستخدمها وصحتها، وعند استعراض الطبعة الخاصة بالضوء اللامع (غير محققة) وجد أن الطبعة الأولى والطبعات التي أخذت عنها ليست إلا طبعات تجارية لم تعتمد فيها قواعد البحث العلمي، وهذا استدعى الحصول على نسخ المخطوط وتحقيق جزئية التراجم المقدسية، بحيث تم مسح دقيق لفهارس المخطوطات المنتشرة في العالم، بحثاً عن النسخ الخطية المتوفرة من هذا المخطوط، واستطاعت الباحثة الحصول على عشر نسخ من مجموع أربع عشرة نسخة، وجد بها عدد من الإشكاليات التي تستوجب دراستها، وكيفية التعامل معها، وعرضها في هذه الورقة البحثية، كالإشكاليات في دراسة للنسخ ومقارنتها بالمطبوع طبعات تجارية، التي لا تنطبق عليها المعايير العلمية المعمول بها في تحقيق المخطوطات. كذلك إشكاليات النسخ لمخطوط تم استنساخه خلال فترات زمنية مختلفة، إضافة إلى إشكالية الفهرسة، ومن ثم عرض لمنهج التحقيق المتبع.

1-1 التعريف بالمخطوط وأهميته:

يعد مخطوط الضوء اللامع لأهل القرن التاسع من أضخم الآثار التي أنجزها شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (831 902 هـ/ 1327-1495م)، فهو عمل موسوعي ترجم فيه لأكثر من اثني عشر ألف من شخصيات هذا القرن " من سائر العلماء والقضاة والصلحاء والرواة والأدباء، والشعراء، والخلفاء والملوك والأمراء، والمباشرين والوزراء، مصرياً كان أم شامياً، حجازياً أم يمينياً، رومياً أو هندياً، مشرقياً أو مغربياً...1" كما نص السخاوي على ذلك في ديباجة كتابه هذا.

(1) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان (ت 902هـ)، نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة في المكتبة الناصرية في مدينة بلنكو بالهند، وهي تحت رقم 103، [ن/2]. وهي من النسخ المعتمدة في التحقيق، حيث إنها النسخة الوحيدة التي تشتمل على مقدمة كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.

وقد شملت التراجم- إضافة إلى من ولد وتوفي في القرن التاسع الهجري - أناسا ولدوا في القرن الذي سبقه وامتدت حياتهم فيه، كما شمل أناسا ولدوا في القرن التاسع وامتدت حياتهم حتى القرن العاشر، مما جعل منه مصدرا أساسيا للدراسات التي أعقبته فيما يخص القرون الثلاثة المشار إليها.

وتكمن أهمية المخطوط في أمرين، أولهما الكم الكبير من المصادر التي استخدمها المؤلف في جمع مادته التي لم تقتصر على ما هو مدون، بل شملت ما شاهده، وما حصل عليه من معلومات عن طريق الاتصال المباشر بمتروجميه (بفتح الجيم)، مستفيداً من رحلاته إلى عدد واسع من مدن مصر، ثم إلى كل من بلاد الشام والحجاز، وثانيهما أن هذا التنوع في مصادره جعل مادته تزخر بمعلومات ثرية واسعة عن مختلف أنشطة الشخصيات التي ترجم لها.

1-2 اختيار التراجم المقدسية لموضوع البحث

تم في هذه الدراسة، اختيار جانب من كتاب: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع وهو الجزء المتعلق بالتراجم المقدسية، أما الأسباب وراء اختيار التراجم المقدسية، دون غيرها فهي:

أن المادة التي تضمنتها التراجم المقدسية في كتاب: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، زخرت بمعلومات مهمة عن أنشطة المقدسة خلال القرون الهجرية الثلاثة: الثامن والتاسع والعاشر.

أن هذه التراجم لم يعتن أحد بتحقيقها ودراستها من قبل، لذا فإن ثمة حاجة ماسة للقيام بذلك، مما سيضع بين أيدي الباحثين نصا سليما لها كما أراد المؤلف، كما ستوفر هذه التراجم معلومات جديدة تسد فراغا كبيرا فيما يخص تاريخ بيت المقدس الذي يشغل مكانة خاصة في التاريخ العربي الإسلامي.

2 الإشكاليات التي واجهت الباحثة وكيفية التعامل معها:-

1-2 الإشكالية الأولى:- النسخ المطبوعة طبعة تجارية:

بناء على ما تقدم، كان لابدءء من الاطلاع بداية على النسخ المطبوعة من هذا الكتاب لمسح التراجم المقدسية فيه.

ظهرت أولى طبعات كتاب: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي في، مصر سنة 1353 هـ/ 1934م بإصدار مكتبة القدسي، وقد أعقب هذه الطبعة أربع طبعات أخرى هي:

1. طبعة مكتبة دار الحياة، وصدرت في لبنان سنة 1966م.

2. طبعة دار الكاتب الإسلامي، وصدرت في القاهرة سنة 1990م.

3. طبعة دار الجيل، وصدرت في لبنان سنة 1992م.

4. طبعة دار الكتب العلمية، وصدرت في لبنان سنة 2003.

وبمقارنة الطبعات الأربع السابقة بعضها ببعض، ظهر أنها مستنسخة عن طبعة مكتبة القدسي، وأن الناشرين أعادوا طباعتها دونما إشارة إلى صاحب الفضل الأول في إظهار كتاب الضوء اللامع للعيان، ودون مراجعة أو إضافة أو تعديل أو تصحيح أو غير ذلك، مما تقتضيه إعادة نشر كتاب سبق نشره، مما يعني أنها طبعات تجارية ليس أكثر من ذلك.

أما بخصوص طبعة مكتبة القدسي، فقد أشار الناشر في مقدمتها إلى أنه استند إلى تثبيت النص على ثلاث نسخ.

هي: نسخة دار الكتب المصرية، ونسخة المكتبة الظاهرية في سوريا، ونسخة المكتبة الآصفية في الهند².

وقد استدعى هذا مقارنة النص المطبوع، بما أمكن الحصول عليه من النسخ المشار إليها، ونعني بذلك نسختي دار الكتب المصرية، ونسخة المكتبة الظاهرية، أما نسخة المكتبة الآصفية فلم تنجح الجهود في معرفة مكان وجودها، وقد جاءت النتائج كما يأتي:

1. لم يحدد الناشر (القدسي) النسخة الأم من بين النسخ الخطية الثلاث السابقة، التي اعتمد عليها في ضبطه للنص.

2. لم يشر الناشر إلى الصفحات التي اعتمد عليها في تثبيت النص، مما يحول دون قدرة الباحثين على الرجوع إلى المواطن التي اعتمد عليها.

3. إن النسخ الخطية التي اعتمدها الناشر، ليست مكتملة الأجزاء، كما هو ملاحظ في نسخة المكتبة الظاهرية، التي تتكون من عدد من الأجزاء، ينتمي كل واحد منها إلى نسخة قائمة بذاتها، وبخط ناسخ مختلف، وتاريخ نسخ مختلف أيضاً، ولم يلتفت الناشر إلى كل هذا، ولم يعره أي اهتمام.

4. لم يتنبه الناشر إلى أن عدداً من التعليقات التي وردت في هوامش النسخ الخطية التي اعتمد عليها، هي بخط من تملك المخطوط، وليس بخط الناسخ، فقام بإضافتها إلى المتن المطبوع، دون التحقق من دقة المعلومات في الهوامش مع المادة التي كتبت في حياة المؤلف وعليها شهادة بخطه.

فقد وجد في نسخة الظاهرية فقط الهامش التالي (أبو عبد الله السلاوي) ومن غيرهم من علماء مذهبه القاضي ناصر الدين بن عرفة³ حيث أضافه الناشر إلى المتن.

5. بدراسة المتن في النسخ الخطية التي اعتمد عليها الناشر، ومقارنته مع هذه النسخة المطبوعة، وجد أن الناشر قد أغفل ذكر بعض التراجم، كترجمة محمد بن عبد الرحمن أبو منصور المارديني المقدسي⁴، وكذلك ترجمة علي بن محمد بن إبراهيم الأبودري المالكي⁵، وترجمة محمد بن إبراهيم التتائي⁶.

6. أن الملاحظات التي أوردها الناشر في الهامش انتقائية، ولا تتعدى كونها إشارات بسيطة، مثل: "غير منقوطة في الأصل" ⁷، "كذا في الأصل" ⁸، "ساقطة من الأصل"، والتصويب من الضوء حيث ذكرهما في غير مكان⁹، "ورد كذا في الهندية، وكذا في المصرية والشامية وغير موجود في الهندية"¹⁰.

7. بعض التراجم التي أوردها الناشر في النسخة المطبوعة فيها تصحيف في نسبة المترجم له، مثال (المقدسي) في النسخ الخطية: إذ جاءت: مقدسي، في المطبوع¹¹.

(2) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن شمس الدين (ت902هـ)، (د. ط.)، مكتبة القدسي، القاهرة، 1354هـ، ج3، ص1، سيشار له تالياً: الضوء اللامع، السخاوي، (طبعة القدسي).

(3) الضوء اللامع، السخاوي، [14/44]: انظر كذلك: الترجمة [14/35] في: التراجم المقدسية في كتاب: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي (831-902هـ/1327-1495م) "تحقيق وتحليل الفاخري، سوسن عادل، 2008، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: أ. د. أحمد عبد الله الحسو، جامعة مؤتة، سيشار له تالياً: التراجم المقدسية، الفاخري: الضوء اللامع، السخاوي، (طبعة القدسي)، ج1، ص45.

(4) في المخطوط [1252/ت] مفقودة في النسخة المطبوعة.

(5) في المخطوط [700/ت] مفقودة في النسخة المطبوعة.

(6) في المخطوط [954/ت] مفقودة في النسخة المطبوعة.

(7) دون تحديد ما هو الأصل، للمزيد انظر: الضوء اللامع، السخاوي، (طبعة القدسي)، ج1، ص318.

(8) الضوء اللامع، السخاوي، (طبعة القدسي)، ج1، ص21.

(9) الضوء اللامع، السخاوي، (طبعة القدسي)، ج1، ص23.

(10) الضوء اللامع، السخاوي، (طبعة القدسي)، ج4، ص226.

(11) الضوء اللامع، السخاوي، [104/ن]: الضوء اللامع، السخاوي، (طبعة القدسي)، ج1، ص104.

يتضح مما سبق أن طبعة مكتبة القدسي لا تعكس عملاً علمياً سليماً، وأن النص فيها نص انتقائي لا يمثل صورة حقيقية لكتاب الضوء اللامع كما كتبه مؤلفه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، مما يستدعي بالضرورة أن يصار إلى تحقيقه، وهو أمر يقتضي تضافر جهود محققين عديدين لغرض إنجازه، لذا فقد تحرت هذه الدراسة تحقيق جانب منه، ونعني به التراجم المقدسية، ومن ثم دراستها وتحليلها وتحديد دلالاتها، وفقاً لمنهج البحث التاريخي، ووفقاً للأسس المعتمدة في تحقيق النصوص.

وكانت أولى هذه الخطوات هي الحصول على مخطوطات كتاب: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.

أ:- المخطوطات التي أمكن توفرها

بعد مسح دقيق لفهارس المخطوطات المنتشرة في العالم بحثاً عن النسخ الخطية المتوفرة من كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمؤلفه شمس الدين السخاوي (ت902هـ/1496م) استطاعت الباحثة الحصول على عشر نسخ من مجموع أربع عشرة نسخة، وفيما يلي أماكن وجودها مرتبة أبجدياً وفق أسماء الدول التي تحتوي مخطوطاتها عليها:

- نسخة ألمانيا (مكتبة ليبزج) رقم 12.679
- نسخة أمريكا (مكتبة جامعة ييل) رقم 13.204
- نسخة إيرلندا/دبلن (مكتبة تشستر بيتي) رقم 14.5236
- نسخة تركيا (مكتبة بايزيد المعروفة بالعمومية سابقاً) رقم 15.5210
- نسخة تونس (دار الكتب الوطنية) رقم 16.108
- نسخة سوريا (مكتبة الظاهرية) رقم 17(3401)
- نسخة مصر (مكتبة عبد الحميد البكري) بالأزهر رقم 18.6/5
- نسخة مصر (دار الكتب المصرية) رقم 19.5/244/5
- نسخة الهند (المكتبة الناصرية/بلنكو) رقم 20.103
- نسخة هولندا (مكتبة ليدن) رقم 21.369

ب:- المخطوطات التي تعذر الحصول عليها

(12) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، كارل، ترجمة محمود فهمي حجازي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1995م، ق6(11-10)، ص127، سيشار له تالياً: تاريخ الأدب، بروكلمان.

(13) Katalog Der Handschriften Universitats-Biblioverlag K. Vollers; J.Lepoldt, Osnabruck, Lipzig, 1975, vol.II, pp.218

(14) تاريخ الأدب، بروكلمان، ق6، ص127.

(15) Arabic Manuscripts in the Yale University Library, Leon, Nemoj, The Connecticut Academy Of Arts And Sciences,USA, 1956, pp.130

(16) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستر بيتي (دبلن، إيرلندا)، آرثر ج. أبري، ترجمة محمود شاكر سعيد، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان، 1992م، ص5، 1187. سيشار له تالياً: فهرس تشتر بيتي، آرثر.

(17) تاريخ الأدب، بروكلمان، ق6، ص127: فهرس مكتبة بايزيد الحكومية الوطنية، محمود بك، مطبعة سي، إستانبول، (د.ت)، ص252، سيشار له تالياً: فهرس مكتبة بايزيد، محمود بك.

(18) فهرس المخطوطات دار الكتب التونسية، تونس، 1978، مج3، ص40. سيشار له تالياً: فهرس دار الكتب التونسية.

(19) آداب اللغة العربية، زيدان، جرجي، ط2، مطبعة الهلال، القاهرة، 1937م، ج3، ص169. سيشار له تالياً: تاريخ اللغة العربية، زيدان: تاريخ الأدب، بروكلمان، ق6، ص127.

(20) تاريخ الأدب، بروكلمان، ق6، ص127.

(21) فهرس دار الكتب المصرية، سيد، فؤاد، القاهرة، 1961-1963م، ص50، سيشار له تالياً: الكتب المصرية، سيد، فؤاد.

لقد تعذر الحصول على أربع نسخ خطية من كتاب الضوء اللامع من مجموع أربع عشرة نسخة وهي:

1. نسخة العراق، المكتبة العباسية/البصرة (باش أعيان) 22، يتوفر من هذه النسخة ثلاثة مجلدات، وتقع تحت رقم (ج4-) و(ج5-) و(ج6-)، أما المجلد الأول والثاني، فتاريخ نسخهما هو 1057هـ. وأما ناسخ هذين المجلدين فغير معروف، وهي بخط رديء.
2. أما المجلد الثالث، فهو بخط الناسخ منصور بن محمد الطنبولي، وأما تاريخ النسخ فيعود إلى سنة 1101هـ. 23.
3. نسخة العراق، المكتبة المرجانية. 24 لم تتوفر عنها معلومات كافية.
4. نسخة مصر (الوفائية/القاهرة) 25 على الرغم مما بذل من جهد لم يتم التوصل إلى عنوان معروف لهذه المكتبة.
5. نسخة الهند (الأصفية/حيدر أباد) رقم 782 (5/48). 26.

من خلال الزيارة التي قام بها عصام محمد الشنطي إلى الهند للكشف عن واقع المخطوطات العربية فيها، عندما أوفده معهد المخطوطات العربية في الكويت، وجد أن هذه المكتبة أصبح اسمها: مكتبة حكومة الولاية للمخطوطات الشرقية.

وصدر عن هذه المكتبة سنة 1357هـ/1938م، مجلدان فيهما وصف باللغة الأردية للنفيس من المخطوطات العربية، وغيرها من المخطوطات بلغات أخرى، وجميع هذه الفهارس نافذة، ويضيف أن لدى المكتبة سجلا بالمخطوطات وبطاقات قديمة معلوماتها غير وافية، وكذلك جهاز مايكرو فيلم، لا يعمل لعدم توفر الأفلام المناسبة بصورة دائمة، 27. ولهذه الأسباب لم تتمكن من العثور على المخطوط، أو الاطلاع على الفهرس الخاص بالمكتبة؛ لعدم توفره.

2-2 الإشكالية الثانية: - الفهرسة

مما لا ريب فيه أن الفهرسة تعد عنصراً أساسياً في التعريف بالمخطوط أينما كان وفي أي زمان كتب، وقد تبدو حديثة في نظر بعض الدارسين، مع أن لها جذوراً تضرّب في التاريخ الإسلامي، لأكثر من ألف سنة مضت، فن الفهرسة فنّ قائم بذاته له قواعده وأسسها العلمية، يحترمها كل من يلج باب هذا التخصص المتميز في عالم دراسة التراث المخطوط. وهي من الإشكاليات الكبيرة التي تواجه المحققين إذا ما تحققت الأسس العلمية المتبعة فيها، فقد يوضع عنوان مخطوط بخلاف الواقع، وقد يكون بغير قصد، وفي بعض الأحيان يكون عنوان الكتاب مقصوداً؛ كأن يوضع عنوان كتاب مشهور أو مؤلف مشهور على كتاب مغمور ليسهل رواجه، وهذا ما وقع فيه بعض المفهرسين في بعض المكتبات لمخطوط الضوء اللامع، ومنها:

وردت في نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة بايزيد في تركيا العمومية سابقاً رقم (5210)

(22) تاريخ التراث العربي، سزكين، فؤاد ترجمة محمود فهمي حجازي وعرفة مصطفى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، 1991، ص 233. سيشار له تالياً: تاريخ التراث، سزكين.

(23) تاريخ اللغة العربية، زيدان، ج 3، ص 169.

(24) Catalogus Conicum Arabicorum, M. J. DeGoeje; Th. W. Juynboll, Lugdunxi- Batavornm, 1907, pp. 345 (24)

(25) اعتبرها سزكين مكتبتين منفصلتين. للمزيد انظر: تاريخ التراث، سزكين، ص 159. بينما ذكر أحمد برهان آل باش أعيان أنها العباسية نفسها. للمزيد انظر: "مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة وأسرلة آل باش أعيان العباسي"، عالم المخطوطات والنوادر العباسي، أحمد برهان الدين آل باش أعيان، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، مج 5، ع 2، 2000، ص 477-507 سيشار له تالياً: مخطوطات المكتبة العباسية، العباسي.

(26) مجلة المجمع العلمي العراقي، الخاقاني، علي، "مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة"، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، 1961، مج 8، ص 218-270 سيشار له تالياً: مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة، الخاقاني.

(27) نوادر المخطوطات العربية وأماكن وجودها، تيمور باشا، أحمد، نشرها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، (د. ت)، ص 55. سيشار له تالياً: نوادر تيمور باشا.

تاريخ اللغة العربية، زيدان، ج 3، ص 169: تاريخ الأدب، بروكلمان، ق 6، ص 127: المخطوطات العربية في الهند، الشنطي، عصام، ط 1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، 1985، ص 18. سيشار له تالياً: المخطوطات في الهند، الشنطي.

في هذه النسخة لم يتم التعرف على اسم ناسخها، أو تاريخ نسخها، وصفحاتها من القطع المتوسط، وهي بخط نسخ معتاد، ولكنها غير واضحة، كما ورد في صفحة التعريف بالنسخة المخطوطة، حيث أشار مفهرس مكتبة بايزيد إلى أن اسم المخطوطة هي: الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، للمؤلف شمس الدين السخاوي (ت902هـ)، وهي مكتوبة بخط المؤلف. وبعد دراسة المخطوطة تبين ما يلي:

1. لم يكن المفهرس دقيقاً في نسبة الخط إلى السخاوي، فقد تم مقارنة خط هذه النسخة مع نماذج مختلفة من خط السخاوي، من خلال الاطلاع على مخطوطات للمؤلف، فتبين أن الخط ليس خطه.28

2. تثير عبارة المفهرس العديد من التساؤلات والشكوك، مما دعا إلى دراسة النسخة، وعلى إثر ذلك قد اتضح ما يأتي:

أ- وردت عبارة بخط ناسخ غير معروف، تشير إلى أن اسم المخطوط هو: " السيف القاطع من الضوء اللامع لكتابه الفقير القانع المحدث للنبي الخاشع الراجي من الحافظ الرافع أن يعفو عنه.... محمد بن أبي بكر السخاوي الشافعي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه في الدنيا والآخرة".

ب- ورد في هذه النسخة وفي الصفحة الأولى ذكر لوفيات شخصيات توفيت بعد عام 902هـ، أي بعد وفاة السخاوي.

ت- جاءت مقدمة هذه النسخة مختصرة لمقدمة كتاب السخاوي: الضوء اللامع.

ث- عند مقارنة التراجم الواردة في هذه النسخة مع النسخ المتوفرة من الضوء اللامع من حيث ترتيبها ومحتواها، وجد أن هذه التراجم اقتبست من الضوء اللامع.

يلاحظ على أسلوب النسخ، أن السطور غير منتظمة، والخط غير واضح، وقد ترك الناسخ مسافة بين الترجمة والأخرى لإضافة معلومات فيما بعد.

ج- ورد تدخل في الكتابة، وهذا التدخل اقتصر على إضافة سنة الوفاة. والملاحظ أن سنوات الوفاة المضافة هي من (899-935هـ/1493-1528م)، كذلك كانت تكتب حروفاً وليس أرقاماً، كما يعلو كل مداخلة إشارة (حس) لتدل على أنها مضافة. وعند مقارنة هذه التراجم مع النسخ الأخرى وجد أن السخاوي لم يذكر سنة وفاتهم ، بدليل أنهم كانوا أحياء عندما ترجم لهم.

وهنا يصح التساؤل: هل هناك كتاب للسخاوي باسم السيف القاطع في الضوء اللامع؟ وإذا كان هذا صحيحاً فلماذا لم يذكره بين مصنفاته؟ وهل يمكن أن يكون مختصراً للضوء اللامع؟

للتأكد من أن ثمة عنواناً بهذه الصيغة وأنه للسخاوي؛ تم الرجوع إلى معاجم المؤلفين وفهارس المخطوطات، فظهر أن حاجي خليفة أشار في كتابه: كشف الظنون، إلى كتاب باسم "السيف القاطع من كتب الوفيات ومرتب حسب الأسماء لشمس الدين السخاوي"29، أما البغدادي صاحب هدية العارفين فقد أشار إلى أن كتاباً بهذا العنوان هو للسخاوي، ولكنه أضاف: وقيل لعز الدين علي بن محمد بن شداد الحلبي (ت684هـ)30، وهذا لا يصح؛ لأن التراجم الواردة فيه تخص القرن التاسع.

ومن خلال ما تقدم، وعلى الرغم من عدم التمكن من معرفة اسم الناسخ، إلا أنه من المؤكد أن هذه التراجم قد اختصرت من الضوء اللامع، وأن هذا المصنف قد يكون مسودة لأحد مختصرات هذا الكتاب، إما أن تكون للسخاوي أو لشخص آخر أراد أن يختصره.

(28) انظر أدناه الملحق (11-)

(29) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (د.ط)، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحلبي (ت1067هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج2، ص1017. سيشار له تالياً: كشف الظنون، حاجي خليفة.

(30) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، البغدادي، محمد الباياني (ت1339هـ)، (د.ت)، مكتبة المثنى عن وكالة المعارف بإستانبول، 1951، ج2، ص229. سيشار له تالياً: هدية العارفين، البغدادي.

3-2 الإشكالية الثالثة: - نسخ المخطوط في فترات مختلفة

نظرا لكبر حجم المخطوط والذي يقع في خمسة مجلدات، أضف إلى ذلك أهميته التي ذكرت مسبقا، فقد نسخ المخطوط أكثر من ناسخ، وبأماكن وفترات مختلفة، وهذا بالطبع خلق إشكالية في تحقيق المخطوط، وذلك من خلال تعليق بعض النسخ على الهامش، أو إضافة بعض التراجم، وعند نسخ المخطوط مرة أخرى يدخل الناسخ التعليق بالهامش في المتن. وهذا ما وجد في نسخة من المخطوط مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة عبد الحميد البكري بالأزهر، تحت رقم (6/5). كما وجد أن الناسخ محمد شلبي محمد في نهاية المجلد الخامس في هذه النسخة، يذكر نفس العبارة التي أنهى بها ابن فهد هذا المجلد في نسخة الظاهرية، ويشير ناسخ الأزهرية إلى أنه نقلها عن النسخة المسودة في ربيع الآخر سنة ست وتسعين وثمانمائة، وقد لوحظ أنه قد أضاف في المتن ما كتبه ابن فهد في الهامش، ويبدأ هذا المجلد من ترجمة ابن المحب محمد بن محمد بن علي الأنصاري وحتى نهاية ترجمة المطرية: داية مكة 31.

وتظهر هذه الإشكالية أيضا في نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة في المكتبة الناصرية في مدينة بلنكو بالهند وهي تحت رقم 103.

حيث يتوفر من هذه النسخة أربعة مجلدات، أما المجلد الخامس فهو مفقود، وهي مكتوبة بخط الناسخ عبد العزيز ابن فهد، أما تاريخ نسخها فهو 896-898 هـ/1490-1492 م، وهي بخط نسخ معتاد جيد، أما قياس حجم ورقها فهو 17، 5×5 سم، وعدد سطورها 27 سطراً، كما أن عناوين المجلدات، كانت بخط المؤلف. وتخلل هذه النسخة تعليقات المؤلف، بالإضافة إلى خطوط أخرى غير خط ابن فهد، بالإضافة إلى أن هناك صفحات بيضاء، وهذه النسخة خلافاً لبقية النسخ الأخرى لم تقدم على شكل مجلدات؛ وإنما أتبع المؤلف نظاماً آخر أطلق عليه خمس، حيث قسمها إلى خمسة أخماس، مما يفهم منه أن الخمس الأول هو المجلد الأول في النسخ الأخرى وهكذا 32.

وفي المجلد الثالث من نفس النسخة يبدأ هذا المجلد بترجمة عتيق بن عتيق بن قاسم أبو بكر الكلاعي، وينتهي بترجمة: محمد بن الجنيد بن علي الشمس بن المحب الأنشواني. ويلاحظ في هذا المجلد أن بعض صفحاته قد أعيد نسخها بخط مختلف عن خط ابن فهد ناسخ المخطوط، فمن الممكن أن تكون بعض صفحات هذا المجلد قد تلفت في مرحلة ما، وخوفاً من مالك المخطوط من ضياع مادته أعاد نسخها، وعند مقارنة ما ورد في هذه الصفحات المنسوخة بغير خط ابن فهد، بالمادة التي نسخها ابن فهد في النسخ الأخرى، وجد أنها تطابق المعلومات فيها.

3. منهج التحقيق والتحليل المتبع:

لقد تمثل منهج التحقيق والتحليل للنراجم المقدسية في مخطوط (الضوء اللامع) بمقابلة النسخ على النسخة الأم مقابلة دقيقة متأنية لتدارك السقط والتحريف، وإخراج النص في أقرب صورة كان عليها في حياة المؤلف.

كما التزمت الباحثة بإبقاء النص كما هو ليكون شاهداً على لغة العصر وأسلوبه، ولم يضاف إليه سوى بعض النقاط أو الحروف الناقصة، أو الهمزات ليسهل على القارئ متابعة النص مع الإشارة إليها في الهامش.

في تحقيق الأبيات الشعرية أبقّت الباحثة أبيات الشعر التي أوردها المؤلف كما هي، بما فيها من اختلال في الوزن، مع الإشارة إلى هذا الاختلال في الهامش؛ لأن المؤلف لم يكن غائبا عن هذه الاختلالات، ولو أراد تصويبها لصوبها، وإنما تركها لتدل على مكانة صاحبها وثقافته.

وقد أُشيرَ في الهوامش إلى الاختلاف بين النسخة الأم والنسخ الأخرى، واستُخدم القوسان المعقوفان [] للإضافات الضرورية. كما استخدم قوسان آخران على الشاكلة التالية { } دلالة على موضع اللفظ في النسخ الأخرى.

(31) انظر أدناه الملحق (12-)

(32) انظر أدناه الملحق (3-1)

وقد حرصت الدراسة - بقدر الإمكان- على تفسير بعض الألفاظ الاصطلاحية والغريب منها، دون محاولة التوسع في الشرح أو التخريج وعدم تكرار هذه التفسيرات.

وفيما يخص التراجم فقد قُورنت التراجم بالمصادر التي استقى السخاوي معلوماته منها ، مع الإشارة إليها في الهامش، وهي: مصنفات كل من: الفاسي(ت832هـ)، ابن خطيب الناصرية (ت 843هـ) المقرئزي(ت 845هـ)، ابن قاضي شهبه (ت 851هـ)، ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، البدر العيني(ت 855هـ)، ابن أبي عذبية (ت 856هـ)، البقاعي (ت 885هـ)، ابن فهد (ت 885هـ) ابن اللبودي (ت 896هـ) .

وأُعتمد في ضبط الأعلام الواردة في التحقيق، والأماكن والمصنفات، على كل من مصنفات السخاوي الأخرى، كذلك مصنفات ابن حجر كالمعجم المفهرس ، حيث ضبط العديد من الأسماء والمصنفات ومن لم نعثر له على ضبط ترك كما هو. أضف إلى ذلك ضبط النص المحقق بما يفيد إظهار معانيه بوضع النقاط، والفواصل، أو الأقواس والهمزات، وغير ذلك من العلامات الضرورية.

وفيما يخص الملاحق ، فقد أُلحقت بهذه الدراسة نماذج من صور المخطوطات المعتمدة في التحقيق. كما أُلحق بها عدد من الفهارس تسهيلاً للرجوع إليها، وهي: فهرس التراجم المقدسية، فهرس خاص بالألقاب والكنى، فهرس خاص بالأنساب الواردة في التراجم المقدسية، كما عرّفها السخاوي، فهرس البلدان والأماكن، فهرس أسماء الكتب الواردة في النص المحقق.

توصلت الباحثة من خلال هذه الورقة للعديد من النتائج يمكن اجمالها فيما يلي:

1. ضرورة تفعيل إحدى أهم قواعد المنهج الكميّ ومنهج البحث التاريخي، التي تقضي بعدم الاعتماد على أي نص خطي منشور في طبقات تجارية، أو لم يحقق تحقيقاً علمياً سليماً.
2. ضرورة الرجوع إلى الأصول الخطية بجميع نسخها - ما أمكن الحصول عليه- لدراستها واختيار أقرب نسخة كما أرادها المؤلف، ودراستها دراسة نقدية مستفيضة، ظاهرياً وباطنيّاً.
3. أظهرت الدراسة ضرورة تحقيق جميع المخطوطات التي طبعت طبقات تجارية، اعتماداً على جميع أصولها، وفي مقدمة ذلك الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لمحمد ابن عبد الرحمن السخاوي.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المخطوطة

- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان (ت 902) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مخطوطة رقم 5236، مصورة عن نسخة إيرلندا/دبلن (مكتبة تشستر بيتي)
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان (ت 902) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مخطوطة رقم (5/244/5) مصورة عن نسخة مصر (دار الكتب المصرية).
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان (ت 902) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مخطوطة رقم 103، مصورة عن نسخة الهند (المكتبة الناصرية/بلنكو).

ثانياً: المصادر المطبوعة:

- البغدادي، إسماعيل بن محمد الباباني (ت1339هـ)، 1951م، هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (د.ط.)، مكتبة المثنى، عن وكالة المعارف باستانبول. ط1، دار الفكر، دمشق.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن شمس الدين (ت902هـ)، 1354هـ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، د.ط، مكتبة القدسي، القاهرة.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن شمس الدين (ت902هـ)، 2003م، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (د.ط.)، دار الكتب العلمية، بيروت.

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة الحديثة.

- آرثر، ج، أبري، 1992م، فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستريتبي (دبلن، إيرلندا)، ترجمة محمود شاكر سعيد، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان.
- بروكلمان، كارل، 1995م، تاريخ الأدب العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
- زيدان، جرجي، 1937م، تاريخ آداب اللغة العربية، ط2، مطبعة الهلال، القاهرة.
- سزكين، فؤاد، 1991م، تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي وعرفة مصطفى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة.
- الشطني، عصام محمد، 1985م، المخطوطات العربية في الهند، ط1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الكويت. فهرس المخطوطات دار الكتب التونسية، 1978م، تونس.
- قاسم عبده قاسم، 1979م، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، (د.ط.)، دار المعارف القاهرة.
- محمود بك، (د.ت.)، فهرس مكتبة بايزيد الحكومية الوطنية، مطبعة سي، إستانبول.

رابعاً: المقالات العربية الحديثة

علي الخاقاني، 1961م، "مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة"، مجلة المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.

خامساً: الرسائل الجامعية

الفاخري، سوسن عادل، 2008، التراجم المقدسية في كتاب: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي (831-902هـ/1327-1495م) "تحقيق وتحليل"، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: أ. د. أحمد عبد الله الحسو، جامعة مؤتة.

سادساً: المراجع الأجنبية الحديثة

Degoeye, M. J.; W. Junbo, W., 1907, Catalogus Conicum-

.Arabicorum. Lugdunxi-Batavor

Leon. Nemoy, 1956, Arabic Manuscripts in the Yale university Library, The Connecticut Academy Of Arts And - Sciences, USA

.Vollers, K. j. Lepoldt. 1975, Katalog Der Handschriften Universitats- Biblioverlag Osnabruck, Lipzig -

ملحق رقم 1



ملحق (1-1) آخر كتاب البلدانيات : بخط ابن الحيشي، ويلاه اجازة بخط السخاوي، البلدانيات لمقارنة خط السخاوي

بترية لعبد الغوي من المعلقة مستحوتة
 ام ولده مائة سنة بموالها
 هي بمباير
 هي زينب المطرية واية مكة هي
 ابنة احمد بن محمد آخر مايسر الله جمعه
 من اهل القرن التاسع وانتهى نقله من السورة
 الي هنا في ربيع الآخر سنة ست وتسعين
 ومائة مائة احسن الله عاقبتها وختم لنا بخير قاله
 وكتبه محمد بن السخاوي آخر الجزء
 من الضوء الادمي لاهل القرن التاسع للشيخ الامام
 العلامة شيخ الاسلام حجة الانام ابي الخير محمد
 بن الحسن الدين بن المرجوم زين الدين عبد الرحمن
 ابن محمد بن ابي بكر السخاوي القاهري
 السخاوي متعنا الله . . . وافاض علينا
 من بركاته بركاته

سنة ست وتسعين
 من اهل القرن التاسع
 اشرفي وسبعين
 مائة سنة صفر سنة ست ومائة
 من قريش الكري من المعلقة
 مائة هي واية في سنة ثلاث وتسعين
 القاسمي المصارع تزوجها بعده ومائة تحت
 يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر سنة اربع
 وخمسين ودفنت بترية تزوجها التي تجد
 دار الضيافة في سنة اربعين من شهر
 الزاهد الماضي مائة بعدة بسيرة سنة احدى
 وسبعين ووجهة محمد الطائي ويقيم جامع القري
 وهي فتاة للشرفي يحيى المزني تزوجها بعده
 وخلفت له ولدا مائة سنة ثمان وتسعين
 كشمسة لصاحب الحجاز ابي محمد
 ابن تائب ام ولدا مائة سنة ثمان وتسعين

ملحق (2-1) صورة عن نسخة عبد الحميد البكري (الازهرية) وهي اخر الكتاب (نقلا عن نسخة الظاهرية)



ملحق (3-1) صورة عن نسخة الهند (ن) على يمينها قصيدة مهداة للدمشقي وفي الجانب الاخر العنوان بخط السخاوي مستخدما الخمس بدل المجلد ويلها كتابة جار الله ابن فهد

أدبيات مترجمة

المنهج الكمي وكتب التراجم الاسلامية في العصور الوسطى

تأليف: ريتشارد بوليت

ترجمة وتعليق: أ.د. ناصر جاسم

مقدمة المترجم

يعد هذا النص من المحاولات الرائدة لتوظيف المنهج الكمي في دراسة التاريخ الاسلامي، وهو من نتاج المستشرق والمؤرخ الامريكى ريتشارد بوليت. فهو نص تأسيسي لم يعمل تقادم الزمن وانقضاء اكثر من خمسة عقود على نشره على فقدانه لجِدَّتِهِ، على الأقل في بلادنا العربية، فالمرء يشعر بالغصة أن لم يتح لهكذا نصوص أن تدخل في معترك البحث التاريخي العربي المعاصر، ولولا الجهود التي تصدى لها الأستاذ الدكتور احمد الحَسُو منذ أوائل سبعينات القرن الماضي، ومواصلة ذلك من قبل فريق العمل معه في مركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية.¹

لبقى الكثير من الغموض يكتنف مناهج أقل ما تقدمه أنها تفتح نوافذ جديدة في الدراسات التاريخية العربية، تلك الدراسات التي وصلت الان الى عنق الزجاجة، وبات كثير من الباحثين (من اساتذة وطلبة دراسات العليا) يقلبون أكفهم بحثاً عن موضوعات جديدة دون جدوى.

ويوضح هذا البحث جملة حقائق مرتبطة بالمنهج الكمي لعل أهمها ان تحويل المعلومات التاريخية الى أرقام لن يكون له كبير قيمة ما لم يتسلح صاحب العمل بتمكن وهيمنة على المرحلة الزمنية التي يدرسها وعلى مصادرها التاريخية التقليدية، فالأرقام التي يقدمها المنهج الكمي لا تفسر نفسها وانما تفسرها الدراية الوافية بالجوانب الدقيقة لما تشتمل عليه المضان التاريخية من معلومات. اما المسألة الثانية التي ينبه اليها هذا البحث فهي الامكانيات التي توفرها كتب التراجم والطبقات في الدراسة الكمية، وذلك عن طريق توظيف التكرار في بعض عناصر الترجمة.

ويتمحور جهد المستشرق بوليت حول النسبة الجغرافية(أي: المكانية) التي ترافق اسم المترجم لهم، ويدهشنا المثال والطريقة التي يقدمها هذا المستشرق في توظيف التكرار في النسبة الجغرافية لمعرفة حركة المرور والتنقل بين مدن اقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر، فهو يحاول فهم نمو وازمحلل مدن هذين الإقليمين على ضوء رصد النسب المؤية للتكرار في الإشارات الجغرافية المتضمنة في اسماء المترجم لهم في كتابين من كتب التراجم الخاصة بمدينة نيسابور، وهما كتاب الحاكم محمد بن عبد الله البيعي النيسابوري (تاريخ نيسابور) وكتاب عبد الغافر بن اسماعيل النيسابوري الموسوم (السياق في تاريخ نيسابور). ومما لا شك فيه ان المستشرق بوليت لم يكن له ان يقدم هذه الاضاءات في توظيف المنهج الكمي لولا درايته العميقة بتاريخ نيسابور، فقد كان قد حصل على الدكتوراه عام 1967 من جامعة هارفارد بأطروحة عن التاريخ الاجتماعي لنيسابور بإشراف المستشرق البارز والمختص بتاريخ إيران ريتشارد فراي.

ولم يكن هذا إسهام بوليت الوحيد في التاريخ الكمي، فقد قدم عام 1979 كتاباً لافتاً عن (اعتناق الاسلام في الأزمنة الوسيطة)، يمثل إضافة اخرى في ميدان دراسة التاريخ الاسلامي والتاريخ الكمي على السواء عندما حاول من خلال تحليله لأسماء الاشخاص والمتضمنة في كتب التراجم أن يبين مراحل اعتناق سكان الوطن العربي والمناطق الاسلامية المحيطة به، للإسلام. وذلك بالربط زمنياً بين محطات تحول السكان صوب الاسلام وتبنيهم اسماء عربية واسلامية.

وختاماً، فاني اخترت أن أقدم في هذا فاتحة اعداد هذه المجلة المباركة بحثاً مترجماً، اعترافاً بفضل استاذي الدكتور احمد

(1) يعتبر(مركز الحَسُو للدراسات الكمية والتراثية) الذي تأسس في انكلترا سنة 2011م، والذي يرأسه أ.د. احمد الحَسُو وتتولى إدارته د. سوسن الفاخري، أول مؤسسة أكاديمية معنية بإشاعة ثقافة المنهج الكمي في الدراسات الإنسانية المدونة باللغة العربية، وقد اتسعت نشاطاته خلال أكثر من عقد من تاريخه (2011-2022)، وأصبح له ممثلات في كل من الأردن وليبيا والجزائر والمغرب

الحَسُو، الذي كان هو من رعى قبل أكثر من 35 عاما محاولات المبكرة في ميدان الترجمة، وتعهدا بمحبته وعلمه الذي نسأل الله ان يبقى ظلّه وارفا علينا وعلى طلبة العلم.

مقدمة المؤلف

يهدف هذا البحث الى استكشاف منهج للتعامل مع كتب التراجم الإسلامية في العصور الوسطى، والذي أعتقد أنه يُعد بالكثير للمؤرخ الاجتماعي والاقتصادي. وأساس هذا المنهج هو دراسة هيكل وطريقة تكوين هذه الكتب. بالطبع، تختلف هذه الأعمال اختلافاً بيناً بعضها عن البعض الآخر. فهي تختلف في موضوعاتها الأساسية؛ فبعضها تعنى بصحابة النبي، والبعض الآخر تختص بالعلماء المقيمين في مدينة معينة أو اتباع مذهب معين؛ والبعض منها يورد كل الأشخاص ذوي النباهة ممن توفوا في قرن معين، وهكذا دواليك. وهي ايضا تختلف في طريقة تنظيمها؛ إذ يلتزم بعضها بدقة بالترتيب الالفبائي؛ ويتبنى الآخر تقسيم موضوعه الى مدد زمنية؛ بينما يجمع غيرهم بين التقسيمين الزمني والموضوعي. حيث يتبع التسلسل الزمني، ولكنه وفق التقسيم الموضوعي من قبيل ما يعرف ب(الطبقة او الطبقات). وتختلف هذه الكتب أكثر في المحتويات القياسية للتراجم التي تقدمها. والميزة الوحيدة التي تشترك فيها على الأغلب هي أنها نادراً ما تقدم تفاصيل عن سيرة المترجم لها بعد تاريخي بحت.

ومع ذلك، فثمة صفات مشتركة في هذا النمط من التأليف، بما يجعله بالغ القيمة لدى المؤرخ؛ وأهم سمتين لهذا النوع هما: اولاً الحجم الهائل لما احتوته هذه الكتب من تراجم، اتخذت لها قوالب موحدة، وإن بصورة نسبية، وثانياً درجة العشوائية في اختيار الأشخاص المشمولين بالترجمة. ولا اظن ان ثمة حاجة لبذل أي جهد لإثبات النقطة الاولى، فالقاء نظرة سريعة على كتاب بروكلمان (تاريخ الادب العربي) يكفي لإقناع أي شخص بأن عدد التراجم التي تضمنتها هذه الكتب يصل إلى مئات الآلاف، ان لم نقل الملايين. اما نقطة العشوائية فأقل وضوحاً؛ وكبداية، نحتاج فقط إلى القول انه مع الاعتراف بأن اختيار المؤلفين للتراجم في كثير من النواحي لم يكن عشوائياً، كما هو الحال في تبني التقسيم وفق الطبقة، فإنه يكاد يكون عشوائياً في حالات أخرى، كما هو الحال في الترتيب القائم على الاسم الاول. من الطبيعي أن تختلف كتب التراجم كثيراً في الطرق التي تتجلى فيها عملية الاختيار العشوائي. واستنادا الى ما سبق فان تلك السمات، بالطبع، تيسر السبيل لنوع من المعالجة الكمية أو الإحصائية. وغاية هذا البحث هو سبر اغوار هذا الخط من المعالجة.

حتى الآن، لم ينشر الا القليل نسبياً على هذا المنوال. لقد استخدم الباحثون عادةً كتب التراجم وفقاً لما اراد لها مؤلفوها؛ أي بوصفها كتباً مرجعية. والسبب في ذلك واضح؛ فاذا كان القليل من التراجم، وفي حالات استثنائية ونادرة، يتضمن معلومات تاريخية مهمة، عندها لا يبدو ان هناك الكثير لتقدمه في تطبيق المعالجة الكمية على كتلة ضخمة من التراجم العادية. عندها تصبح المشكلة المطروحة هي كيفية الافادة من هذا النوع من الأدب الذي يُعد بالكثير. في المرحلة الحالية من استكشاف هذا المنهج الكمي، قد تنوع أي جهود بالافتراضات، وبالتالي تصبح نتائجها تخمينية إلى حد ما. ومن جانب آخر فإن الانماط الأخرى من المصادر الاسلامية لا تقدم الا القليل من المعلومات الداعمة مجالات التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، بما يتيح التحقق بشكل مستقل من النتائج التي يتم التوصل إليها بالوسائل الكمية، وبالتالي يجب أن تظل هذه النتائج آنية حتى يتم تطوير التقنيات بشكل كامل. ومع ذلك، يجب البدء باستخدام ما هو، في رأيي، أكبر مصدر غير مستغل للمعلومات عن الشرق الأوسط في العصور الوسطى، الا وهو كتب التراجم.

-|-

ولإعداد هذا البحث تم الرجوع الى كتابين من كتب التراجم؛ الاول (تاريخ نيسابور) لمحمد بن عبد الله البيهقي النيسابوري (ت 405) المعروف بالحاكم النيسابوري، والكتاب الثاني (تاريخ نيسابور) لعبد الغافر بن إسماعيل الفارسي (ت 529). لقد نُشرت مخطوطات النسختين الفريديتين لهذين العمليين بالفاكسميل في مجلد عن تاريخ نيسابور حرره ريتشارد فراي 2. وثمة مخطوطة اخرى للكتاب الاول لكنها لا تزيد قليلاً عن فهرس النسخة الأصلية متعددة المجلدات. ولا تشتمل غالبية التراجم على أية معلومات خلا الاسماء. اما فيما يخص الكتاب الثاني فقد وصلنا في مخطوطتين تحتوي

(2) لقد سبقنا الإشارة الى أن فراي هو مشرف بوليت، وان اطروحة الاخير للدكتوراه هي عن التاريخ الاجتماعي لنيسابور (المترجم)

كل منها على تراجم لا ترد في الأخرى. ومع ذلك، يبدو أن هاتين المخطوطتين تحتويان معا على جميع التراجم الموجودة في النص الأصلي، مع استثناءات محدودة. لقد ألف الكتاب الثاني (كتاب الفارسي) بوصفه تذيلا على الكتاب الأول (أي كتاب الحاكم النيسابوري)، وبالتالي، فثمة مبدآن أساسيان من مبادئ المنهج الكمي يشتركان بشكل مباشر في أي تفحص لهذين العمليين: أولاً يوفر الشكل الهيكلي لمخطوطة الحاكم النيسابوري اختباراً لفكرة أنها تحوز معلومات مفيدة يمكن اشتقاقها من قوائم الأسماء. وثانياً، يأتي استخدام عمليين حول نفس الموضوع، يغطيان آمادا زمنية مختلفة بمثابة اختبار لدرجة المقارنة بين كتب تراجم مختلفة. لكن ذلك لا يعني أن هناك سببا للاعتقاد بان من الثابت عقد مقارنات بين كتب التراجم الاسلامية في المعالجة الكمية.

وقبل الانتقال إلى استكشاف الطريقة الكمية التي تشكل جوهر هذه المقالة، يجب إنشاء أساس للمقارنة داخل الكتابين وبينهما؛ المعايير الأساسية لاختيار المؤلفين لتراجمهم هي أن المترجم له يجب أن يكون قد عاش او زار مدينة نيسابور الواقعة في اقليم خراسان في الشمال الشرقي من ايران، وأنه يجب أن يكون قد حظي ببعض التميز ضمن "الطبقة الدينية"، أي شريحة السكان المعنية في المقام الأول بالدين الإسلامي والحفاظ عليه ونشره، وتوضيحه. ومن الواضح أن هذه المعايير تتضمن قدراً كبيراً من المعلومات حول الوضع الاجتماعي والاقتصادي العام للمترجم له، وأنه يمكن القيام بالكثير من الناحية الكمية لرسم حدود أكثر دقة لهذا الوضع أو لنطاق الإحصائيات. والافتراض يظهر هنا بأن هؤلاء الناس، بشكل عام، ينتمون إلى طبقة موسرة ومرموقة نسبياً وهذا هو كل ما يجب القيام به.

وبعد هذا العرض العام للحدود الجغرافية والاجتماعية للكتابيين، فإن المهمة المتبقية هي تحديد الترتيب الزمني للموضوع؛ لقد رتب الكتابان تراجمهما الفبائياً وفق الاسم الأول، لكنهما مُرتبان أيضاً حسب المدد الزمنية أو الطبقات. ففي مخطوطة الحاكم النيسابوري، تظهر كل طبقة بوصفها وحدة زمنية، يتم ترتيب تراجمها ألفبائياً. ومن ناحية أخرى، وفي كتاب عبد الغافر الفارسي، تنقسم كل مجموعة من الأسماء المتشابهة داخلياً إلى مدد زمنية. وأحياناً يلف الغموض تحديد مجال الطبقة الزمنية التي يؤطر فيها المترجم لهم. وإجمالاً، لدينا أحد عشر طبقة، ثمانية في كتاب الحاكم النيسابوري، وثلاثة لدى عبد الغافر الفارسي. ولسوء الحظ، يظل المبدأ المتبع في تحديد التواريخ النهائية لكل طبقة لغزاً. ولا يمكن تطبيق المبدأ النظري القائم على التقسيم حسب الأجيال التي جاءت بعد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) إلا على أول طبقتين عند الحاكم النيسابوري. وبعد ذلك، تتباين الطبقات بشكل كبير في مددها الزمنية. فيظهر بأن التقسيم لا علاقة له بالأجيال. والطبقة الوحيدة الذي يبدو أن هناك شيئاً محددًا يربطها افرادها ببعضهم زمنيًا هي الطبقة الثامنة، وهي أقصر الطبقات زمنيًا، لأنها تألفت من المعاصرين والأصدقاء الشخصيين للمؤلف أي الحاكم النيسابوري. وتتمتع هذه الطبقة بالكثير من الخصوصية بسبب الطبيعة الشخصية للغاية التي اتسمت بها لدى المؤلف. بما يختلف بدرجة كبيرة عن طريقة تأليفه الطبقات الأخرى، لذا يجب ان عزلها عن اغلب التراجم في الدراسة الكمية.

ومع ما يكتنف المبدأ الذي يحكم التقسيمات الزمنية الى طبقات من الغموض، إلا أنه لا يمكن أن يكون هناك شك في اتباع هذه التقسيمات للترتيب الزمني؛ فعن طريق تجميع تواريخ وفاة المترجم لهم، يمكن بسهولة معرفة أن أقدم تاريخ وفاة ضمن طبقة معينة هو نفسه أو يأتي مباشرة بعد اخر تاريخ وفاة في الطبقة الاسبق. وهذا يؤكد بأن الطبقات قد قسمت حسب الترتيب الزمني لتاريخ الوفاة، وتقسيم كهذا يوضح تقريبا الحد النهائي لكل طبقة من الطبقات. ويوضح الجدول الاتي نتائج هذا التحديد للطبقات الإحدى عشرة الواردة في الكتابين. كما يوضح عدد التراجم في كل طبقة (وهذا ينطبق الى حد ما على طبقات عبد الغافر الفارسي بسبب الغموض الذي يكتنف كل طبقة. وتقسم ايضا المساحة الزمنية المتضمنة في كل طبقة الى عدد من التراجم.

الجدول رقم 1

الطبقة	التواريخ الفاصلة	عدد السنوات	عدد التراجم في الطبقة	عدد التراجم في السنة
الاولى	مجهولة	مجهول	27	مجهول
الثانية	تقريباً 75-110هـ	35	73	2
الثالثة	تقريباً 110هـ الى 200هـ	90	88	1

9	632	70	تقريباً 200-270هـ	الرابعة
12	121	44	تقريباً 270هـ-314هـ	الخامسة
15	311	21	تقريباً 314-335هـ	السادسة
18	948	53	تقريباً 335-388هـ	السابعة
6	98	17	تقريباً 388-405هـ	الثامنة

السياق لتاريخ نيسابور لعبد الغافر بن اسماعيل الفاسي				
11	تقريباً 213	20	425-405هـ	أ
15	تقريباً 533	35	425-تقريباً 460هـ	ب
15	تقريباً 953	65	تقريباً 460-525هـ	ج

من المؤكد أن السمة الأبرز في الجدول أعلاه هو العمود الذي يعرض عدد التراجم في السنة الواحدة. وإذا استبعدنا الطبقات الثلاث الأولى التي ضاعت في عتمة التاريخ المبكر لنيسابور والذي سبق التوسع الكامل في آليات ومفصلات العملية التعليمية، وايضا اذا أغفلنا الطبقة الثامنة، يتبقى امامنا ثلاثة قرون كان المتوسط السنوي للتراجم فيها هو نفسه. فطوال هذه المرحلة كان عدد التراجم في السنة الواحدة هو ثلاث عشرة ترجمة، ومما لا شك فيه ان هناك انتظاما مذهلا في ترتيب التراجم. وثمة حجة قوية للتأكيد بأن هذا الانتظام أكبر بكثير مما يتضح من المخطط، فالتقلبات في معدلات التراجم تتبع المنحنى الافتراضي لزيادة او انحسار اعداد سكان نيسابور، والذي يمكن تأكيده بالرجوع الى مصادر مستقلة مثل كتابات الجغرافيين. وهذا يعني أن سكان المدينة، وبالتالي اعداد العلماء، كان أكبر خلال العصر الساماني ضمن الطبقة السابعة، إذ يرتفع عدد التراجم في السنة الواحدة الى 18 ترجمة بما هو أكبر مما هو عليه في مرحلة بداية نمو مدينة نيسابور، عندما اخذت بالبروز في طور التحول الى مدينة كبيرة في العصر الطاهري، او بعد ذلك عندما هجرت خراسان، نتيجة تدفق الاتراك وتأسيس الامبراطورية السلجوقية. ومن ثم، فقد اكتسب عدد التراجم لكل سنة ضمن الطبقة ثباتاً حتى أكثر مما يوحيه الجدول.

وهكذا، وعلى مدى زمني أطول بكثير من حياة المؤلفين، ومن المدة التي تفصل بين الكتابين، تتمثل لنا ادلة مذهلة على الانتظام والتكرار. والسبب في ذلك بالتأكيد يتمثل بطبيعة المؤسسة التعليمية الاسلامية، وباختصار، عندما يصنف العالم كتاباً يتضمن تراجم كل اولئك الذين درس على ايديهم او سماع عنهم علماً دينياً، يسمى العمل بالمشايخ ومفردتها مشيخة. وقد وجدت سلسلة المشيخات طريقها الى المكتبات المرتبطة عادة بالعلوم الدينية، او المؤسسات التعليمية في المدن الاسلامية في العصور الوسطى. لذا فعندما يتصدى رجل مثل الحاكم النيسابوري او عبد الغافر الفارسي لكتابة كتاب عن التراجم يذهب الى سلسلة المشيخات وغيرها من كتب التراجم، فيختار التراجم التي يرغب في الاحتفاظ بها حسب معايير العمل الذي يود كتابته، فيجمع ما يختار من كم التراجم ويزيل المتكررات. وتلك هي طريقة تصنيف كتب التراجم. وبالنتيجة فان الاختيار الأولي للتراجم نادرا ما يقوم به مؤلف الصيغة النهائية للكتاب. فكل كتاب تراجم هو في الواقع جهد عدد كبير جدا من الاشخاص؛ وهذا هو ما يفسر التكرار المشار اليه أعلاه، وفي ذلك ضمانة بأن النزعة الذاتية لمؤلف الكتاب لا تؤثر بدرجة كبيرة في محتويات عمله. وهذا ما يعزز فكرة اننا نتعامل- بصور متعددة- مع عينة عشوائية موثوقة من الطبقة الدينية تمتد لامداد طويلة من الزمن.

مع توضيح طبيعة وهيكل كتب التراجم المقصودة، أصبح من الممكن الآن المضي للامام لاستعراض المنهج الكمي

(2)

تتألف معظم الأسماء في الشرق الأوسط في العصور الوسطى بشكل عام من عدة اقسام. وأي شخص يمكن ان يُعرف عن طريق جزء واحد فقط من اسمه. ولكن بصورة عامة فان كتب التراجم حريصة على تضمين أكبر قدر معروف من الأسماء. وبجانب هذه السلسلة من الاسماء التي يملكها الشخص، والتي تتمثل بالاسم والكنية، يأتي النوع الأكثر شهرة الا هو النسبة. والنسبة تعرف من خلال إضافة الياء في نهايتها، التي تتحول الى صفة للعلاقة. فيمكن للنسبة أن تدل على اي شي كان، فقد تكون دالة على اسم قبيلة، مثل كلب، والشخص الذي ينتمي لها، او هو من نسلها او حليف لها يسمى كلبى. وبالمثل، يمكن أن تكون دالة على مكان. فالبغدادي هو انسان مرتبط بطريقة ما

بغداد، والنيسابوري هو رجل يرتبط بنيسابور. وبالمثل، يمكن أن تشير النسبة إلى مهنة، أو عوق جسدي، أو انتماء ديني، أو سلف شهير، أو فضيلة معينة، وسوى ذلك.

والنوع المعين من النسبة الذي نعى به هنا هو النسبة لمدينة محددة. والحجة التي يتعين تقديمها هي أن التكرار في النسبة الجغرافية في فترات زمنية مختلفة يعكس بشكل مباشر خط سير معين خلال هذه الأزمنة، ويعني بصورة غير مباشرة مستوى نسبي من التجارة والازدهار.³

وتقفز إلى الذهن اعتراضات متنوعة على هذه النتيجة. ويمكن أن تقسم هذه الاعتراضات إلى مجموعتين: اعتراضات تشكك في الربط بين نسبة الشخص إلى نيسابور مثلاً وانتقاله إليها من مكان معين. والاعتراضات الأخرى تشكك في العلاقة بين تكرار نسبة معينة وحجم وكثافة حركة التوافد إلى تلك المنطقة، وما يرتبط بذلك على سبيل المثال بالازدهار التجاري

والاعتراض الأساسي فيما يخص المسألة الأولى هو أن النسبة الجغرافية قد تكون نسبة عائلية متوارثة، أي أنها تمثل ارتباطاً مادياً بمدينة معينة يعود إلى زمن بعيد استمدته صاحبه من أسلافه، ممن هاجروا إليها يوماً ما. ومما لا شك فيه إن هذا احتمال وارد؛ لكن الحكم المستند إلى 200 مخطط للأنساب تم إعدادها بالاستناد إلى التراجم التي قدمها عبد الغافر الفاسي نجد أن نسبة النيسابوري لم تستخدم إلا نادراً للدلالة على عوائل نيسابورية طويلة المقام بالمدينة. صحيح أن هناك الكثير من الألقاب التي تستخدم للدلالة على اسم عائلة معينة، ويتوارثها أفرادها على مدى أجيال إلا أن أغلب هذا النوع من النسبة له صفة قبلية أو مرتبط بمنصب أو سلف بارز. أما النسب الجغرافية فتسقط بعد بضعة أجيال، إذا استثنيت تلك المرتبطة بالقرى والأحياء المحلية، التي تبقى العائلة مقيمة فيها للأمد من الزمن. وحتى في الحالات التي يحمل فيها الأب والابن النسبة نفسها، فإن من المرجح أن ينحدر الرجلان من المدينة نفسها وأنهما هاجرا أو ارتحلا معا إلى المدينة الجديدة.

وينشأ الاعتراض الآخر فيما يخص الحالات النادرة التي يحمل فيها فرد واحد نسبتيين أو حتى ثلاث، مما يجعل مكانه الأصلي غامضاً. وللإجابة عن ذلك، يمكن القول إن من السهل كشف النسب الجغرافية المتعددة. إذ تشير نسبة معينة في الغالب إلى مدينة، وتشير الأخرى إلى قرية على مقربة من تلك المدينة أو إلى حي من أحيائها. ولكن ثمة حالات أخرى يتضح فيها أن الفرد قد أقام فعلاً في عدة أماكن، وانعكس ذلك في النسب الجغرافية التي تلحق باسمه، وأنه اعتمد نسبة جديدة كلما قام بتغيير مكان إقامته. ولكن بشكل عام، فإن من المفترض عند الحديث عن النسب الجغرافية أن تكون في نسبة شخص إلى مكان معين أنه كان في وقت ما من حياته في ذلك المكان.

وهناك اعتراضان رئيسيان ضمن المجموعة الثانية من الاعتراضات المرتبطة بخطوط الارتحال: الأول أن يحمل أشخاص نسبة جغرافية في نيسابور في وقت معين، لا يعني أكثر من رحلة العلماء إليها بحثاً عن العلم؛ ولا علاقة لذلك بأنماط أخرى من حركة السفر على الطرق. ولورد على ذلك يمكن القول أن هناك العديد من المؤشرات التي تنقي هذا الاعتراض: ففي المقام الأول، وكما أشار جويتين،⁴ وكما هو مؤكد في عدد كبير من التراجم الواردة في الكتب المعنية، نادراً ما يسافر الأشخاص بمفردهم. لقد كانت الطرق الخارجية غير آمنة. فالإجراء العادي هو أن ينضم الفرد إلى قافلة من القوافل في تنقله من مكان إلى آخر. وتتعرز احتمالية قيامه بذلك من خلال حقيقة أن العديد من العلماء، إن لم يكن معظمهم، خلطوا بين الدراسة والعمل. فبصفتهم تجاراً، كانوا يسافرون في رحلة عمل ويشغلون أنفسهم بالمتابعات العلمية خلال فترات إقامتهم المطولة تقريباً في مدن مختلفة. أخيراً، من الواضح أن مدينة بحجم وأهمية نيسابور كانت نقطة جذب لكل من الباحث والتاجر على السواء؛ والعوامل التي تؤثر على سفر نوع واحد من الأشخاص، مثل انعدام الأمن على الطريق أو التوترات السياسية ستؤثر على أنواع أخرى من المسافرين في نفس الوضع. ولا يمكن تطبيق هذه التعميمات بالطبع على جميع المدن لأن بعض المدن، مثل مراكز الحج، لن تجتذب بالضرورة التجار على غرار مدينة مثل نيسابور.

(3) يقصد الباحث بذلك بأن النسبة لمدن معينة يوحى بوجود علاقة معينة بين هذه المدن، كأن تكون خط سير للعلماء أو للقوافل. (المترجم)

ومع ذلك، لا يزال الأمر يثير التساؤل عما إذا كان اسم الرجل، حتى لو كان في معظم الحالات يشير إلى المكان الذي جاء منه، يمكن أن يكون إشارة إلى الطريق الذي سلكه. فرجل يحمل نسبة البغدادي، على سبيل المثال، يمكن أن يسافر من بغداد إلى البصرة، ويبحر من البصرة إلى الهند، ومن ثم يمضي إلى نيسابور من الهند بطريق العودة إلى بغداد. لكن المنهج الذي تبيناه هنا على أي حال، والمتمثل بجمع النسب الجغرافية للمدن التي تقع على الطرق الرئيسية المؤدية إلى نيسابور يخفف كثيرا من هذا التعقيد: فرجل من اصفهان إذا قصد نيسابور من بغداد أو قصد بغداد من نيسابور فلا بد له أن يسلك طريق خراسان الشهير أو الطرق المغذية له، ولا يعقل أن يسلك طريقا يدخل فيه نيسابور من جهة الشرق إلا في حالات نادرة كتلك التي أشرنا إليها فيما يخص الرجل الذي وصل من الهند. أما بالنسبة للطرق الأخرى، فقد تم اختيارها وفقاً لطبيعة وضوح الطريق الرئيسي الذي يتم عبره الوصول إلى نيسابور. وهكذا، إن القصد من اختيار النسب الجغرافية المستخدمة وفي تحديد كيفية جمع هذه النسب هو أمر يعزز بدرجة كبيرة من قبولية فكرة أن الأفراد المعنيين قد تنقلوا بالفعل في مرحلة معينة من حياتهم عبر الطريق المحدد من المدينة التي حملوا نسبتها إلى نيسابور.

أخيراً، هناك نقطة أخرى يجب توضيحها قبل الدخول في مناقشة نتائج هذا المنهج. فكما ذكرنا سابقاً، يتم تحديد التقسيم الزمني للطبقات حسب تواريخ الوفاة. وبما أن ما يتم تفحصه هنا هو هجرة الأشخاص، فإن استخدام التقسيمات الزمنية سيكون حسب متوسط العمر وقت الهجرة، لا حسب الوفاة. ولسوء الحظ، من الصعب للغاية تحديد عمر الشخص بدقة عند قيامه بالارتحال إلى نيسابور. فالبعض يهاجر وهم أطفال صغار برفقة آبائهم بينما لم يغادر آخرون أوطانهم حتى منتصف العمر. وفي أحسن الأحوال، يمكن إجراء تخمين مقبول، وهذا التخمين مفاده أن متوسط عمر الإنسان عندما يرحل هو 30 سنة. السؤال الآن هو ما عدد السنوات التي يجب خصمها من حدود الطبقة الزمنية التي ينتمي إليها الشخص حسب تاريخ الوفاة، وذلك من أجل التقريب للطبقة التي يمثلها متوسط عمر الشخص عندما يقوم بالرحلة. الجواب عن هذا السؤال يعتمد على متوسط عمر العالم في القرون الوسطى. لقد قدم لنا عبد الغافر الفارسي معلومات كافية لتحديد هذا الرقم. واستناداً إلى مئة وخمسين ترجمة وردت فيها تواريخ الميلاد والوفاة، يمكننا التأكيد على أن متوسط عمر الأفراد في هذين الكتابين كان 78 عاماً. وبما أن هذه سنوات قمرية، لذا يجب التصحيح وفق التقويم الميلادي فيصبح متوسط العمر هو 75 سنة. وهذا في الحقيقة، يمكن توقعه بالنسبة لمجموعة من الرجال الذين عبروا جميعاً مرحلة الطفولة، ولم يضطروا إلى التعامل مع تدخين السجائر وتلوث الهواء والخدمة العسكرية والتوتر العصبي الناشئ عن الحياة المعاصرة. وبالتالي، لتحديد الطبقات حسب متوسط عمر الهجرة، من الضروري خصم 45 عاماً من جميع التواريخ الواردة في الجدول الأول، ولتحديد الطبقات حسب تاريخ الميلاد من الضروري خصم 75 عاماً. وهذا ما ينتج عنه الأرقام التالية في الجدول رقم 2

الجدول رقم 2

الحاكم النيسابوري

الطبقة	الحدود الزمنية الفاصلة وفقاً للوفيات	الحدود الزمنية الفاصلة وفقاً للرحلة	الحدود الزمنية الفاصلة وفقاً للميلاد
1	مجهول - تقريباً 75هـ	مجهول - 30هـ	مجهول، 0هـ
2	تقريباً 75 - تقريباً 110هـ	تقريباً 30 - تقريباً 65هـ	تقريباً 0 - 35هـ
3	تقريباً 110 - 200هـ	تقريباً 65 - تقريباً 155هـ	تقريباً 35 - تقريباً 125هـ
4	تقريباً 200 - 270هـ	تقريباً 155 - تقريباً 225هـ	تقريباً 125 - تقريباً 195هـ
5	تقريباً 270 - 314هـ	تقريباً 229 - تقريباً 269هـ	تقريباً 195 - 239هـ
6	تقريباً 324 - 335هـ	290 - 269هـ	تقريباً 239 - 260هـ
7	تقريباً 335 - 388هـ	343 - 290هـ	313 - 260هـ
8	تقريباً 388 - 405هـ	360 - 343هـ	330 - 313هـ

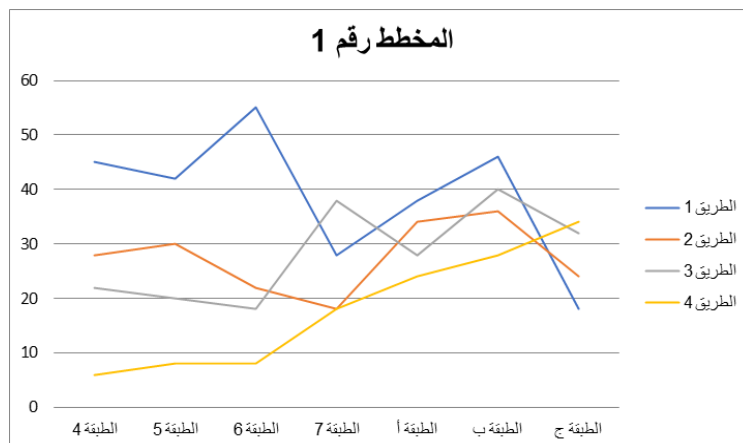
الطبقة	الحدود الزمنية وفق الوفيات	الحدود الزمنية وفق الرحلة	الحدود الزمنية وفق الميلاد
أ	435-405هـ	380-360هـ	350-330هـ
ب	460-425هـ تقريبا	415-380هـ تقريبا	385-350هـ تقريبا
ج	525-460هـ تقريبا	480-415هـ تقريبا	450-385هـ تقريبا

ويستوعب كل هذا النقاش المطول نوعا ما الافتراضات، ويصل الى نتيجة تتعامل مع الاعتراضات المسبقة لإتاحة المجال لتقديم عرض المباشر وتفسير النتائج المرتبطة بالموضوع: اولا تستخرج كل نسبة متضمنة في ترجمة شخص ما وتوزع حسب الطبقات (باستثناء الطبقات الاولى والثانية والثالثة والثامنة)، ثم وايضا كان ذلك ممكنا، يتم التيقن من المعنى الذي تتضمنه كل نسبة، وفصل النسبة الجغرافية عن البقية. وثانيا تحذف كل النسب التي تشير الى نيسابور نفسها او الى احيائها داخل المدينة، والمتبقي من النسب الجغرافية يتم تقسيمها الى مجموعتين نسبة ترتبط بمنطقة تقع في دائرة لا يتجاوز قطرها 100 ميل عن نيسابور. والمجموعة الثانية هي المناطق الابعد نطاقا عن ذلك، وأطلقنا على المجموعة الأولى بـ"حركة المرور المحلي" والمجموعة الثانية (حركة المرور البعيد).

ومن ثم يجري تجميع النسب الخاصة بمدن الحركة البعيدة وفقاً لأربعة طرق رئيسية كلها تؤدي إلى نيسابور وهي:

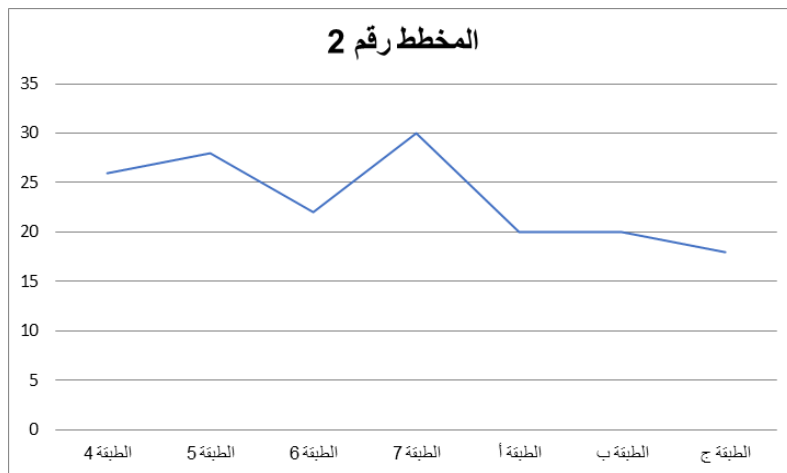
- طريق شمالي شرقي يؤدي إلى نيسابور من الصين عن طريق سمرقند، وبخارى، ومرو وسرخس.
- طريق جنوب شرقي عبر الأراضي المنخفضة في شمال وجنوب جبال هندوكوش، ويغطي مدناً مثل هراة، ومرو الروذ، وبلخ.
- طريق خراسان القادم من بغداد عبر همدان، والري، ودامغان إلى نيسابور وطرقه الفرعية الغربية المؤدية إلى قزوين، وأصفهان والبصرة.
- طريق على طول الأراضي المنخفضة لبحر قزوين، ويصل إلى نيسابور عبر سهل جرجان. وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أن المسارين 1 و4 وأيضاً 2 و3 يتوازي كل منها مع الطريق الذي يقابله، إلا أنهما منفصلان عن بعضهما بواسطة سلاسل جبلية لها أهميتها، مما يجعلها في الواقع طرقاً مختلفة كلياً.

ومن أجل إظهار الحصص النسبية لمسار حركة المرور التي تدخل نيسابور من كل من هذه الطرق في كل طبقة زمنية، تم رصد التكرار للمدن الواقعة على طول كل طريق، واحتسابها كنسبة مئوية من إجمالي عدد تكرار النسب الجغرافية للمدن التي تقع في جميع الطرق الأربعة. ويظهر هذا في المخطط البياني رقم 1. اذ يشير هذا المخطط البياني فقط إلى الحصص النسبية لحركة المرور على طول المسارات الأربعة. ومع ذلك، فمن الصعب جداً الخروج بتفسير لذلك بحد ذاته، لأن الحجم الإجمالي للرحلات خلال كل طبقة زمنية لا يزال غير معروف. فلعل نسبة 20% من التنقلات في وقت ما تماثل او تكون أكبر من التنقلات الفعلية بحصة 60% في وقت آخر إذا كان هناك تغيير جوهري في العدد الإجمالي.



ويهدف المخطط البياني رقم 2 إلى إعطاء فكرة عن تقلبات حركة التنقل. فيشير مجموع النسب الجغرافية في جميع المسارات الأربعة إلى إجمالي عدد النسب من جميع الأنواع في كل طبقة زمنية. (النسبة الوحيدة المستبعدة في هذا الحساب هي النيسابوري نظراً لأن الشخص الذي يعيش بالفعل في نيسابور لن يختص بحمل تسمية النيسابوري أكثر من سواه من النيسابوريين) لذا جاء استخدام المؤلفين لنسبة النيسابوري للإشارة إلى الإقامة في نيسابور أكثر مما هو فعلاً جزء حقيقي من اسم الشخص. ويتضح ذلك من حقيقة أن قلة قليلة ممن ترجم لهم الخطيب كانوا غفلاً من النسبة. وأن نسبة كبيرة جداً هم أولئك الذين حملوا نسبة النيسابوري، أما بالنسبة لكتاب عبد الغافر الفارسي، فإن عدداً كبيراً من الذين ذكروهم كانوا بغير نسبة وقلة قليلة جداً منهم حمل نسبة النيسابوري. من الواضح أن أسلوب المصنف متنوع وأن ظهور هذه النسبة (أي النيسابوري) يجب أن يتم تجاهله في عمل كمي.

لا يمكن إنكار أن هذا إجراء محفوف بالمخاطر. ونظراً لأن أعمدة المخطط البياني لا يكون مجموعها 100%، فإن التقلبات في المنحنى قد تكون نتاجاً لتقلبات أخرى تحدث بين النسب المتبقية غير الجغرافية. وهذا يعني أن ازدياد النسب الجغرافية بشكل كبير قد لا يكون ناتجاً عن اتساع حركة التنقل إلى نيسابور خلال تلك الفترة الزمنية المحددة، ولكن من خلال الانخفاض المذهل، على سبيل المثال، في عدد الأشخاص الذين يحملون نسبة ذات سمة قبلية عربية، وقد يكون ذلك نتاجاً للتغيير العرقي في تكوين الطبقة الدينية.



يمثل هذا المخطط النسب الجغرافية المأخوذة من حركة مرور المسافات البعيدة بوصفها النسبة العددية للمجموع الكلي للنسب (مع استبعاد نسبة النيسابوري) في كل طبقة، وهذا ليس بالضرورة ما هو المطلوب؛ لأن الوضع الحالي ليس لعبة محصلتها صفر. إذ لا يوجد عدد مطلق من النسب المعنية؛ فقد لا يكون لدى البعض نسبة جغرافية أو قد يكون لهم عدة نسب. ومن ثم، فإن انخفاض عدد نسبة في فئة واحدة لا يستدعي زيادة مقابلة في عدد نسبة من فئة أخرى من أجل الحفاظ على المجموع.

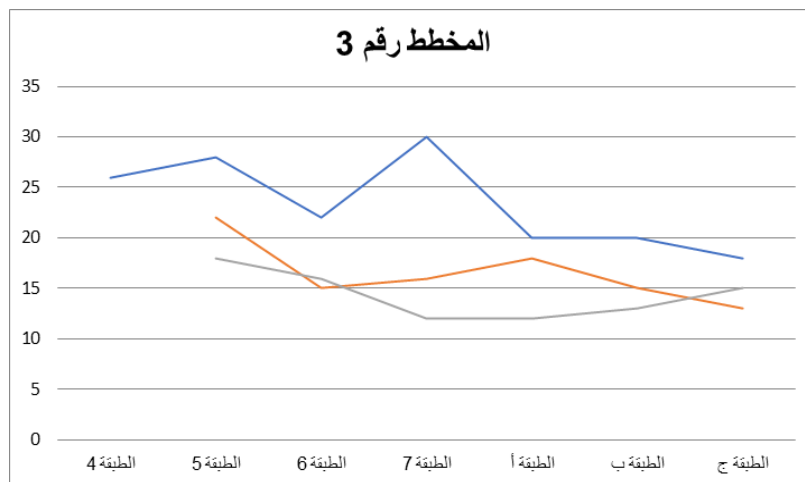
في هذه الحالة، الشيء الوحيد الذي يجب فعله هو مقارنة منحنى حركة مرور المسافات البعيدة المتمثل بالمخطط البياني رقم 2 مع منحنيات مجموعات أخرى يمكن تحديدها تحمل الدلالات النسبية. في المخطط البياني رقم 3 يمثل المنحنى A التكرار الذي في كل فئة لحوالي 30 نسبة جغرافية مستمدة من داخل دائرة قطرها 100 ميل بوصفها نسبة مئوية من إجمالي عدد النسب الجغرافية في الطبقة الواحدة.

المنحنى مستوي إلى حد ما وله أقصى اختلاف قدره ست نقاط مئوية. ويُظهر المنحنى ب النسبة المئوية للنسب القبلية أو من أسماء الأجداد المشهورين. هذا أيضاً منحنى مستوي إلى حد ما، وإن كان لا يقاس على الطبقة الخامسة التي تتناول المرحلة المبكرة من تاريخ المنطقة عندما كانت أعداد العرب في الجماعة الدينية مرتفعاً نسبياً، حيث الحد الأقصى للتباين ثلاث نقاط مئوية فقط. والتباين بين هذين المنحنيين ومنحنى حركة المرور ذي المسافات البعيدة (المنحنى C على المخطط البياني رقم 3 كبير جداً. مع حد أقصى للتباين يبلغ اثنتي عشرة نقطة مئوية وذروة واضحة في

الطبقة السابعة. ومن الصعب تجنب الاستنتاج بأن شيئاً خاصاً يفصل المدة الزمنية للطبقة السابعة عن الطبقات التي قبلها والتي بعدها مباشرة. فضلاً عن ذلك، فإن التكافؤ النسبي لمنحنى حركة المرور المحلي مقارنة بمنحنى حركة المرور ذي المسافات البعيدة يختبر صلاحية الفرضية الكامنة وراء هذا الفحص بأكمله. أي أن تواتر نسب حركة المسافات البعيدة يعكس تغيرات مهمة في مستوى التجارة. وبغض النظر عن الظروف الاقتصادية أو السياسية، من المرجح أن تظل حركة المرور المحلية مستقرة إلى حد ما. إذ يجب دائماً جلب المواد الغذائية إلى المدينة، وبالمقابل ستقوم المدينة دائماً بجذب مغناطيسي للمناطق المحيطة بها، لاسيما في الأمور الدينية والتعليمية. ومن ناحية أخرى، يمكن أن تؤثر الظروف الاقتصادية والسياسية بشكل كبير على حركة المرور ذات المسافات البعيدة لطالما ان المنتجات الفاخرة التي تتاجر بها نيسابور التي تأتي معظمها من اماكن البعيدة، وهي ليست سلعا ضرورية، ولأن هناك مدن أخرى يمكن أن تجذب العلماء.

وهكذا فإن الحجة قائمة على أساس عدد من الافتراضات التي يمكن المجادلة لصالحها وخلافها. من الناحية المثالية، ينبغي تقديم حسابات متوازية من إحصائيات مستقلة لإثبات صحتها أو الطعن بها. مثل هذه الإحصاءات، للأسف، غير متوفرة. وهناك طريقتان أخريان للاختبار، واحدة مباشرة والأخرى، كما نأمل، تترك في وقت ما في المستقبل. فالطريقة الأخيرة تتحقق عن طريق تكوين اقيسة قابلة للمقارنة تخص مدنا أخرى كتبت بشأنها كتب تراجم كذلك. فالمنهج الذي يدعي أنه يقدم نتائج ذات مغزى في موقف ما يجب أن يصح في مواقف أخرى أيضاً. اما بالنسبة للطريقة الأولى فتمثل بمنهج المؤرخ القياسي، وتخص درجة توافق هذه النظرية مع الحقائق التاريخية المعروفة؟ بعبارة أخرى، كيف يتم تفسير المنحنيات؟

وغني عن القول إن التفسير ليس واضحاً على الإطلاق أو محدداً. ولكن في الحالة الحالية، يبدو أن تطابق السمات الرئيسية لمنحنيات المسارات العامة في المخطط البياني الاول ومنحنى حركة مرور المسافات البعيدة في المخطط البياني الثاني مع الأحداث التاريخية غير متكافئ.



المخطط الأزرق يمثل حركة المرور ذات المسافات البعيدة .

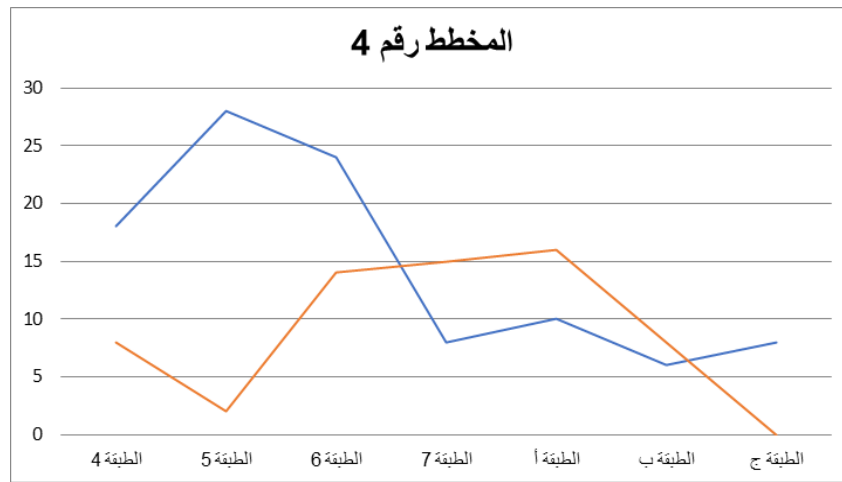
المخطط القهوائي يمثل النسبة القبلية او الانحدار من جد اعلى .

المنحنى الرمادي يمثل النسب المأخوذة من المسارات التي ضمن 100 ميل من مدينة نيسابور.

الطبقة الرابعة (حدود 155هـ-225هـ)

اهم المظاهر في هذه المدة الزمنية هي المستوى العالي للحركة في طريق المسافات البعيدة مع اختصاص نسبة كبيرة منه بالحركة عبر الشمال الشرقي، وهي تلك التي يمثلها الطريق رقم 1، ويليه في الترتيب الطريق المار من

كانت تلك هي فترة عظمة العباسيين. اذ يبدأ هذا العصر مع حكم الخليفة المنصور ويمتد إلى بداية عهد سامراء. أصبحت بلخ عاصمة خراسان بدلا من مرو، منذ عام 118 هـ، والتي كانت لا تزال خلال هذه الفترة المدينة الرئيسية في آسيا الوسطى العربية. اما بغداد فهي حاضرة الإمبراطورية الإسلامية بلا منازع. وكانت نيسابور. حتى وقت متأخر جدًا من هذه الفترة. مدينة صغيرة على الطريق المؤدي إلى ما وراء النهر وإلى الشرق. وبالتالي، يمكن فهم اسباب واتجاهات القسم الكبير من حركة المرور. فهذه الحركة عبر نيسابور هي حركة ترانزيت لتدفق الرجال والبضائع من آسيا الوسطى وخراسان إلى العاصمة بغداد. والاشخاص الذين توقفوا في خراسان لفترات أطول أو أقصر كانوا شرييين يتجهون الى العاصمة العباسية او قادمين منها. وهم على وجه الخصوص من أهل مرو وبلخ، ويمثلون 42 ٪ من إجمالي حركة مرور طرق المسافات البعيدة. (تظهر مؤشرات محدودة جدا تفيد بأن النسبة الخاصة بمدينتي مرو وبلخ في الفترة السابقة، والتي تمثلت بالطبقة الثالثة، (65هـ-حوالي 155هـ)، هي نفسها (42%).



المخطط رقم 4 العدد في كل طبقة كما هو الحال مع المخطط رقم 1

نسبة مجموع حركة المسافات البعيدة على المسارات الاربعة، كما انعكست في مدينتي

اللون الازرق مدينة بخارى

اللون القهوائي مدينة مرو

الطبقة الخامسة (تقريبا 225-269هـ)

اختلفت خراسان بدرجة كبيرة جدًا خلال هذه الفترة. كان صعود الطاهريين في بداية القرن الثالث بمثابة بداية فترة طويلة من الانبعاث السياسي الفارسي الذي شهد استقلال إيران الشرقية وما وراء النهر بشكل متزايد عن بغداد سياسياً وثقافياً. لقد جعل الطاهريون نيسابور عاصمة لهم وبدأوا في التأسيس لتصبح مدينة عظيمة، لكنهم طردوا من عاصمتهم في سنة 226 هـ على ايدي الصفاريين، وهي اسرة فارسية أخرى أصلها من جنوب إيران؛ لكن هذا التغيير في الحكم ربما لم يؤثر كثيرا على المدينة. وفي هذه الأثناء، نشأت اسرة حاكمة ثالثة هي الاسرة السامانية في بخارى في بلاد ما وراء النهر؛ وكانت الحكومة المركزية العباسية تعيش اوضاعا حالكة من التسلط العسكري التركي في سامراء، ولم تسفر العودة الى بغداد عن اوضاع أفضل اذ جوبهت بتمرد الزنج وما نتج عنه من خوض معارك عسكرية أخرى. ولا تنعكس هذه الحوادث بوضوح على المخططات. ومع الافتراض بان نيسابور قد بقيت بالدرجة الاساس مدينة ترانزيت، فان اتجاه حركة السير ما يزال غالبا من الشرق الى الغرب مع بقاء مرو وبلخ تستحوذان على نحو 40% منها.

الطبقة السادسة (269-290هـ)

هناك حدث أساسي يرمز إلى التغييرات التي وقعت خلال هذه الفترة. ففي عام 287 هـ دحر اسماعيل بن احمد بن نصر الساماني عمر بن الليث الصفار، وهكذا أصبح أمير خراسان وعاصمته بخارى. واستقبلت نيسابور الحاكم الساماني. وتظهر تداعيات صعود السامانيين والتغيير في هيكل القوة بوضوح في الرسوم البيانية. فقد حدثت زيادة كبيرة في حركة المرور من الشمال الشرقي، التي هي مزدحمة بالفعل بسبب أهمية مرو، الا انها ازدادت الآن أكثر بسبب البروز الجديد لبخارى، التي توجهت صوبها نيسابور كتابع. ويوضح المخطط البياني الرابع النسبة المئوية للنسب الجغرافية المستمدة من حركة المسارات البعيدة، المتضمنة في مرو وبخارى بما يوضح امكانية إدراك الظواهر التدريجية بوضوح عن طريق هذا المنهج، من قبيل تدهور مرو كمدينة رئيسية في خراسان وصعود بخارى. وتراجعت بلخ أيضا لمصلحة بخارى. وقد بلغت النسبة الإجمالية لمرو وبلخ خلال هذه الفترة 33%. فضلا عن ذلك، تنعكس المحاذاة الجديدة في انخفاض ملحوظ في حجم حركة المرور بشكل عام. أصبح الشرق الآن كياناً منفصلاً عن الإمبراطورية العباسية المتمركزة في بغداد. ولم تعد بغداد هي نقطة الجذب الوحيدة. وانخفضت كذلك تجارة الترانزيت عبر نيسابور حيث أصبحت خراسان تتوجه بشكل متزايد نحو بخارى.

الطبقة السابعة (290-343)

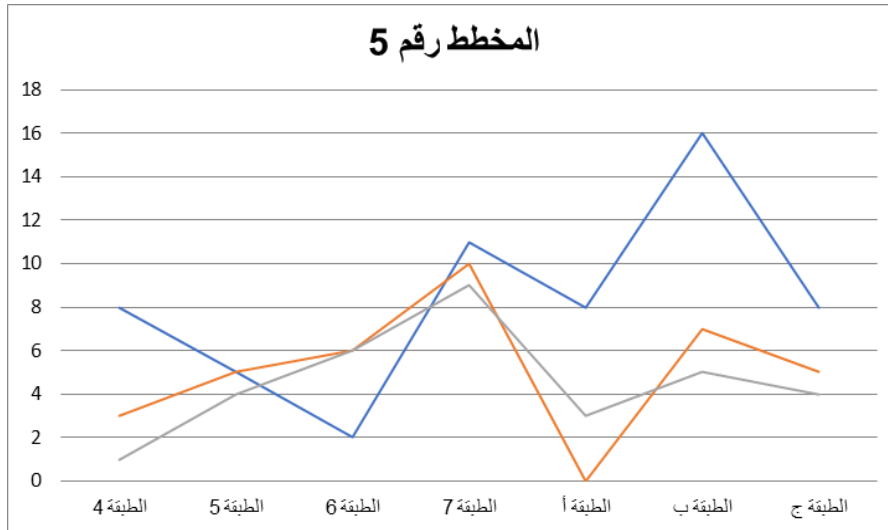
من الناحية السياسية، حدث القليل من التطورات الرئيسية خلال هذه الفترة: لكن الرسوم البيانية تظهر أن تأثيرات التطورات السابقة قد تحققت بالكامل في هذا الوقت.

لقد استمرت الخلافة في بغداد في تدهورها بينما ازدهرت الدولة السامانية. وازدهرت نيسابور أيضاً تحت رعاية السمجوريين، وهي اسرة حاكمة عينها الحاكم الساماني، ولكن جذورها سابقة في المنطقة. وتأسيسا على الارتفاع الهائل في حجم حركة المرور الخاصة بالمسافات البعيدة، يجب أن تكون هذه المرحلة هي الأكثر ازدهاراً في تاريخ نيسابور؛ فقد شهدت أيضاً التطور المبكر في المذهب الفقهي الاشعري، الذي كان وراء ظهور أعظم مفكري نيسابور، وهم كل من إمام الحرمين الجويني، وأبي القاسم القشيري، والغزالي. وشهدت أول داعية نيسابوري عظيم لهذه العقيدة، وهو ابو سهل السلوكي المتوفى عام 369 هـ.

إن تحليل فترة الازدهار هذه من خلال دراسة حركة الطرق العامة يعد أمراً مضيئاً. لقد انخفضت نسبة حركة المرور من الشمال الشرقي؛ ولكن كما هو موضح في المخطط البياني رقم 4، كان سبب الانخفاض بشكل رئيسي هو التدهور المتزايد لمدينة مرو، بينما ارتفعت حصة بخارى من حركة المرور بشكل كبير. وبالمثل تضاعفت حركة المرور من جهة الجنوب الشرقي. ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى تراجع مكانة بلخ على حساب ازدهار بخارى ونيسابور.

إن الحصة المجمعة لحركة المرور الصادرة من مرو وبلخ هي الآن 13% فقط مقارنة بـ 16% لبخارى وحدها. لكن الأمر الأكثر لفتاً للنظر هو انعكاس التوازن بين الشرق والغرب. لأول مرة تكون نسبة حركة المرور القادمة من الغرب أكبر من نسبة حركة المرور القادمة من الشرق (54% مقابل 46%). وتظهر نيسابور وبخارى كمراكز لإحياء سياسي وثقافي فارسي قوي مما أكسبها قوة جذب بقدر قوة بغداد. وزادت حركة المرور من منطقة بحر قزوين، لكن هذه الزيادة تم غطيها الزيادة الهائلة في حركة المرور المتدفقة باتجاه الشرق على طول طريق خراسان العام.

فضلا عن ذلك، لا يمكن لمدينة بمفردها أن تفسر هذا الارتفاع في حركة المرور؛ وكما يشير المخطط البياني رقم 5، فإن الري وبغداد وأصفهان تظهر ذروات متشابهة في الطبقة السابعة عندما يتم احتساب عدد النسب الجغرافية لتلك المدن كنسبة مئوية من إجمالي النسب الخاصة بالمسافات البعيدة. باختصار، يبدو أن ذروة الاسرة السامانية كانت فترة ازدهار هائلة في الشرق حيث ازدهرت نيسابور اقتصاديا بشكل كبير ووضعت أيضا الأسس لازدهارها الثقافي في وقت لاحق.



نسبة حركة طريق المرور على المسارات البعيدة الاربعة وفق:

- اللون الازرق بغداد
- اللون القهوائي الري
- اللون الرمادي اصفهان

الطبقة أ (360-380)

عندما ننظر إلى الرسوم البيانية بعد فجوة مدتها عشرين عامًا ناتجة عن حذف الطبقة الثامنة الشاذة في كتاب الحاكم، يبدو الامر كما لو تم اختزال مقاطع من شريط سينمائي. فيظهر كما لو أن مستوى حركة المرور الخاص بالمسافات البعيدة قد اعتراه فجأة انخفاض جديد، استغرق الوقت الفاصل بين كتابي التراجم هذين: ان التوازن الشرقي- غربي قد تحول ثانية، حيث اصبحت حركة السير القادمة من الغرب في حدود 42%؛ وان مستوى الحركة عبر طريق خراسان العام قد انحدر من قمته العالية بفعل الانهيار الذي تعرضت له المدن الرئيسية الثلاث كما يظهر في المخطط الخامس. ووحدها منطقة قزوين كما يبدو لم تتأثر. ولكن ما الذي حدث لذلك الازدهار الساماني، هل المخططات تعكس حقا اهمية التغيرات الاقتصادية والسياسية؟

في الواقع، يمكن دعم ما تقدمه منحنيات المخطط البياني بالكامل عن طريق التمعن في الأحداث التاريخية. وهذه الأحداث تتعلق بثلاث أسر حاكمة: أولاً، وصلت سلالة البويهيين المنقسمة بين غرب إيران والعراق إلى ذروتها من الازدهار والنفوذ تحت حكم عضد الدولة، الذي تمتع بأقصى قوته منذ أوائل عام 360 حتى وفاته عام 372هـ. ثانيًا، بدأت السلالة السامانية خلال هذه الفترة بالغرق في مستنقع مكائد البلاط والهيمنة العسكرية التركية. فضلاً عن ذلك، كان هناك عداً كبير بين الاسرتين بسبب الاختلافات المذهبية التي تسببت، بالإضافة إلى جاذبية البلاط البويهي، في الانخفاض الملحوظ في حركة المرور على طريق خراسان العام. إن انحدار حركة المرور على هذا الطريق الكبير ساهم بدوره، بالتأكيد، إلى جانب الاضطراب في قلب الدولة السامانية، في التدهور الاقتصادي العام، الذي يشار إليه من خلال الانخفاض في الحجم الإجمالي لحركة مرور المسافات البعيدة. ثالثًا، كانت منطقة بحر قزوين خلال هذه الفترة متماسكة إلى حد ما تحت حكم الاسرة الزيارية، التي أصبحت ولايتها محصورة في هذه المنطقة. ولم تكن هذه السلالة الصغيرة آمنة بشكل كبير في السلطة، لكن إنشاء جرجان كعاصمة وحقيقة أن الزياريين كانوا حلفاء للسامانيين ضد البويهيين يفسر بسهولة الزيادة المشار إليها في حركة المرور على هذا الطريق. وهكذا، ومع أن نيسابور كان لها حصة

(5) هذه الطبقة هي الطبقة الاولى في كتاب عبد الغافر العباسي، وقد اتخذت ترقيماً جديداً لتمييزها عن الطبقات التي قدمها الحاكم في الكتاب الاول (المتروجم).

بالتأكيد في التدهور الاقتصادي للدولة السامانية، إلا أن الأمر ارتبط بسياسة إمبراطورية عامة أكثر منه تختص المدينة، وهذا ما يشرح قالب الحركة لذلك العصر.

الطبقة ب (380حدود-411هـ)

كانت هذه المدة الزمنية هي تلك التي حكم فيها محمود الغزنوي الشهير. لقد أصبح حاكماً لنيسابور عام 384هـ، ونجح في تولي قيادة الاسرة الغزنوية بعد وقت قصير من وفاة والده سبكتكين عام 387هـ، واستمر بالحكم حتى وفاته عام 421. وكانت هذه أيضاً مرحلة نمو ثقافي كبير في نيسابور. وعلى الرغم من أن الازدهار كان ما يزال اقتصادياً، فقد ازدهرت المدينة فكرياً أيضاً. حيث برزت مدرسة الأشاعرة العظيمة برئاسة كل من أبي الطيب السولوكي (توفي 398هـ) ، وابن فوراك (توفي 406هـ) ، والحاكم النيسابوري (توفي 405) ، وأبو اسحاق الأسفرائيني (توفي 418).

وبالمثل، ازدهرت الجماعة الحنفية- الاعتزالية تحت رعاية الغزنويين، فقد أسس شقيق محمود الغزنوي مدرسة صاعدي في نيسابور من أجلهم. وربما كانت هذه المدرسة هي النمط الذي تأسست على غرارها النظامية لاحقاً. 6 وتفسر هاتان الظاهرتان المنحنيات الماثلة على الرسوم البيانية لهذه الفترة.

إن الميزة الأكثر لفتاً للنظر هي بالتأكيد الذروة العالية في مستوى حركة المرور القادمة إلى نيسابور على طول طريق خراسان العام. يشير الانفصال في المخطط البياني الخامس بين الذروة التي وصلتها المنحنيات الخاصة بأصفهان والري، والتي هي الزيادة في حركة المرور على طول الطريق العام بأكمله، وبين الركود المستمر في منحنى بغداد نتيجة الاضطرابات التي أصابت تلك المدينة تدريجياً خلال المرحلة اللاحقة من حكم البويهيين. وقد تنجم هذه الزيادة جزئياً عن دخول اسرة حاكمة قوية الى الاحداث، لكن ذلك غير مرجح كما سيظهر لاحقاً. لذا يجب أن تُعزى الزيادة بشكل أساس إلى انبثاق نيسابور وظهورها كمركز فكري جذاب كغيرها من المراكز الأخرى.

أما بالنسبة للطرق العامة الأخرى، فمن المحتمل أن يعكس الانخفاض في حصة حركة المرور من منطقة بحر قزوين اضمحلال الاسرة الزيارية، والسياسات غير الحكيمة التي انتهجها قابوس بن وشمكير بعد عودته الى جرجان عام 388هـ). 7

ويمكن تفسير الركود الكبير في حركة المرور القادمة من الشمال الشرقي بشكل أوضح. فعندما ضعفت الاسرة السامانية وسقطت أخيراً، تمت إزالة السد الذي كان يعيق زحف القبائل التركية في آسيا الوسطى، فلأن الغزنويين لم يتمتعوا في بسطة كبيرة في بلاد ما وراء النهر، عادت المنطقة الى اسلوب حياة أكثر رعية. ويوضح المخطط البياني رقم 4 على وجه التحديد ما حدث لحركة المرور بين مرو وبخارى.

وأخيراً، يُعزى الارتفاع الملحوظ في نسبة حركة المرور المنبثقة من الجنوب الشرقي تجاه العاصمة الغزنوية إلى ظهور اسرة حاكمة جديدة. وعلى وجه الخصوص، اصبحت مدينة هرات التي هي أهم مدينة بين نيسابور وغزنة، النقطة الرئيسية في الحركة الى نيسابور مع حصة 18% من المجموع.

ومع ذلك، فإن السؤال الرئيسي الذي يتبادر إلى الذهن هو لماذا لم تنتج مثل هذه الاسرة الحاكمة الجديدة النشطة زيادة في الحجم الإجمالي لحركة المرور، والتي تعكس المستوى العام للتجارة والازدهار. الجواب على هذا السؤال هو بعد المسافة، إذ يفصل بين غزنة، مقر الدولة، ونيسابور حوالي 850 ميلاً من الصحراء بينما هناك في الاتجاه المعاكس وعلى مبعده 475 ميلاً تقع منطقة أكثر ملائمة هي لاهور بما تتضمنه ثروات الهند غير المحتلة. وبالتالي، فليس من المستغرب أن يختار محمود أن يوجه انتباهه شرقاً ويطلق حملة بعد حملة باتجاه الهند. وفي هذه الحالة، أصبحت نيسابور مجرد بؤرة استيطانية تقع الى الغرب، بعيدة كل البعد عن القوافل التجارية وقطارات الغنائم التي كانت تنتقل من الهند إلى غزنة. وتفسر هذه العزلة ما حدث لاحقاً من استسلام نيسابور السهل للأتراك السلاجقة.

.R. W. Bulliet, 'The Social History of Nishapur in the Eleventh Century', unpublished doctoral dissertation, 1967, ch. IV (6)

Encyclopaedia of Islam, first edition, vol. II, p. 596 (7)

ولعل السهمي هو أفضل من قدم الامثلة على سوء حكمه في كتابه تاريخ جرجان، الذي صدر في حيدر اباد عام 1950، ص 107-108

في عام 428 هـ، احتل الأتراك السلاجقة نيسابور لأول مرة: 8 وبعد طردهم لفترة وجيزة، عادوا في عام 431 هـ ليفرضوا سيطرتهم عليها بصورة دائمة. واقتزنت عظمة السلاجقة بعهود السلاطين الثلاثة الأوائل: طغرل بيك، ألب أرسلان، وملكشاه. وقد توفي آخر هؤلاء الثلاثة عام 485م، مما يجعل الفترة الزمنية قيد النظر هنا تكاد تتزامن مع فترة السلاجقة العظام. ولا يبدو تأثير هذا التغيير في الأنظمة السياسية على اقتصاد نيسابور محموداً. فقد كان قبضة القبائل التركية تشتد بشكل متزايد على منطقة الشمال الشرقي، بينما يقود الطريق العام الجنوبي-الشرقي إلى بلاد الغزنويين، الذين كانوا أعداء السلاجقة، لذا انخفضت حركة المرور على طول الطريقين الشرقيين. أما مدن مرو، وبخارى، هرات، وبلخ، فأصابها الاضمحلال. وانخفضت حصة الحركة من هذا الاتجاه إلى 37%، وهي الأدنى في كل العهود. وتداعت حركة المرور من جهة الغرب أيضاً، كما هو موضح في المخطط البياني رقم 5. ووحدها حركة المرور القادمة من منطقة بحر قزوين التي تظهر زيادة ملحوظة. وهي بالتأكيد مجرد زيادة مبعثها تراجع أهمية الطرق الأخرى. وبشكل فردي، ظلت جرجان واستراباد، المكونتان الرئيسيتان للمنحنى من هذه المنطقة، كما كانتا في الفترة السابقة. وبصورة عامة، انخفض حجم حركة المرور إلى أدنى نقطة له على مدى 325 عامًا غطتها الرسوم البيانية.

وبالطبع لا يعني ذلك ان نيسابور نفسها قد اصبحت مدينة غير ذات قيمة. فقد باتت بالتأكيد أكبر وأكثر ثراء مما كانت عليه خلال الفترات الثلاث الأولى المذكورة أعلاه. لكن المنحنيات التي تشير إلى تدفق حركة المرور لا تتعلق ببساطة بمدينة واحدة فقط. أنها تعكس كلا من حركة المرور التي كانت نيسابور محطة لها وايضا حركة المرور التي كان نيسابور مجرد نقطة على طريقها. وطوال الوقت، وبينما كانت نيسابور آخذة بالنمو، كانت الاحداث السياسية تدفع إلى تقلص الحركة فيما يخص بقية المدن الشرقية الكبيرة. واخيرا، وخلال هذا العصر وصلت نيسابور اوج مكانتها الفكرية. واصبحت على الأرجح أكثر مدينة مبدعة من الناحية الثقافية في العالم الاسلامي، وبلغت التطورات التي رافقت اضمحلال العباسيين غايتها. لقد انفصل الشرق عن الغرب وتوقفت خراسان عن ان تكون معبرا بينهما. وتحولت بالمقابل إلى منطقة حدودية باتجاه الشرق. لقد انهار راس الجسر الذي اقامه العرب والفرس في بلاد ما وراء النهر. ويممت افغانستان وجهها شطر الهند. وبقي هذا التوجه الجديد على حاله منذ ذلك الوقت. وهكذا، وعلى الرغم من المناخ الفكري المزدهر الذي تمتعت به نيسابور فان حركة المسير المارة بها قد اصابها الجذب. وبذرت بالنتيجة بذور الدمار الاقتصادي للمدينة.

(8) حددت المصادر الابدئية أول استسلام لنيسابور إلى السلاجقة ب429هـ إلا ان جمعية النميات الامريكية تحوز في مجموعتها دينار سكه طغرل بيك في نيسابور يعود الى عام 428هـ.

نص البحث باللغة
الانجليزية كما هو
مصور من مجلة
Jstor



BRILL

A Quantitative Approach to Medieval Muslim Biographical Dictionaries

Author(s): Richard W. Bulliet

Source: *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, Apr., 1970, Vol. 13, No. 2 (Apr., 1970), pp. 195-211

Published by: Brill

Stable URL: <https://www.jstor.org/stable/3596086>

JSTOR is a not-for-profit service that helps scholars, researchers, and students discover, use, and build upon a wide range of content in a trusted digital archive. We use information technology and tools to increase productivity and facilitate new forms of scholarship. For more information about JSTOR, please contact support@jstor.org.

Your use of the JSTOR archive indicates your acceptance of the Terms & Conditions of Use, available at <https://about.jstor.org/terms>



JSTOR

Brill is collaborating with JSTOR to digitize, preserve and extend access to *Journal of the Economic and Social History of the Orient*

This content downloaded from
91.205.42.68 on Mon, 10 Jan 2022 19:08:58 UTC
All use subject to <https://about.jstor.org/terms>

A QUANTITATIVE APPROACH TO MEDIEVAL MUSLIM BIOGRAPHICAL DICTIONARIES

Introduction

The purpose of this article is to explore a method of working with medieval Islamic biographical dictionaries which I believe holds great promise for the social and economic historian. The basis of this method is the structure and manner of composition of the dictionaries. Of course, these works differ tremendously one from the other. They differ in their basic subjects. Some list companions of the Prophet; some list scholars resident in a given city or belonging to a particular religious group; some list all important people who die in a given century, and so forth. They differ in organization. Some are strictly alphabetical; some are divided into chronological periods; some are divided into chronologically based but essentially subjective classes called *ṭabaqa* (pl. *ṭabaqāt*). And they differ still more in the standard contents of individual biographies. The only quality that almost all of them share in this last respect is that they very rarely include biographical information of what is generally considered to be "historical" interest.

Nevertheless, there are certain qualities common to the genre as a whole that make it potentially of great value to the historian. The two important qualities of this sort are sheer volume of relatively standardized biographical information and a degree of randomness in the selection of individuals included. No effort is required to substantiate the former point. A brief look at Brockelmann's *Geschichte der Arabischen Litteratur* is sufficient to convince anyone that the number of individual biographies extant must run into the hundreds of thousands and most likely into the millions. The latter point is less obvious, however. For the time being, it need only be said that whereas in many respects the selection of biographies is by no means random, such as in social stratum, in others it is almost certainly random, such as in the incidence of first names. Various dictionaries, naturally, would differ a great deal in the ways in which they exhibit random selection. What all of these qualities point to, of course, is some kind of quantitative or statistical handling; and it is to the exploration of this line of approach that this article is directed.

Hitherto, relatively little has been published along these lines. Scholars have customarily used biographical dictionaries as they were intended to be used by the author, as reference books. And the reason for this is not far to seek. If it appears that only the exceptional and rare biography contains information of historical interest, then it is equally apparent that there is little to be learned from a quantitative treatment of the whole mass of unexceptional biographies. Thus, the problem is posed of how to make meaningful use of this genre of literature which is potentially so useful. At the present stage of exploration of this quantitative approach, any efforts are liable to be heavily laden with assumptions and therefore somewhat speculative. In the realms of social and economic history corroborative information appears so rarely in medieval Islamic sources that it is very difficult to verify independently the results arrived at by quantitative means, hence these results must remain tentative until techniques have been more fully developed. Still, a start must be made in the utilization of what is, to my mind, the greatest untapped source of information on the medieval Middle East.

I

Two biographical dictionaries have been used in preparing this article. They are the *Ta'rikh Naisābūr* by Muḥammad b. 'Abd Allāh al-Bayyī an-Naisābūrī (d. 405), known as al-Ḥākim an-Naisābūrī, and the *as-Siyāq li Ta'rikh Naisābūr* by 'Abd al-Ghāfir b. Ismā'īl al-Fārisī (d. 529). The manuscripts of the extant versions of these two works have been published in facsimile in the volume *The Histories of Nishapur* edited by R. N. Frye. There is one manuscript of the former work which amounts to little more than an index to the original multi-volume dictionary. In the overwhelming majority of biographies no information is included except the name. The latter work exists in two manuscripts each of which includes biographies not included in the other. It appears, however, that these two manuscripts contain between them all but a few of the biographies contained in the original. The latter work was written as a continuation of the former. Thus, two principles essential to the quantitative method are directly involved in any examination of these two works. First, the skeletal format of the manuscript of al-Ḥākim an-Naisābūrī provides an acid test for the notion that there is useful information to be derived from mere lists of names. And second, the use of two works on the same subject but covering different time periods tests the degree of comparability between different dictionaries. This is not to say that there is any reason to believe that in any general sense medieval biographical dictionaries may be considered comparable for quantitative treatment; the implication is simply that selected dictionaries may well be usefully compared in limited ways.

Before moving on to the exploration of quantitative method which constitutes the core of this article, the underlying basis of comparability within and between these two dictionaries must be established. The overriding criteria for inclusion in these works are that the individual must have lived in or visited the city of Nishapur in the north-eastern Iranian province of Khurasan and that he must have enjoyed some prominence within the "religious class", that is, that segment of the population primarily concerned with administering, preserving, expanding, and elucidating the Islamic religion. It is obvious that these criteria imply a great deal about the general social and economic status of the individual, and much can be done quantitatively to make a more precise delineation of this status or range of status. Here, however, the presumption that these people, generally speaking, belong to a relatively wealthy and prestigious class is all that need be made.

Having roughed in the geographical and social limits of the dictionaries, the most important remaining task is to determine the chronological scheme. Both works are arranged alphabetically by first names (*ism*), but they are also arranged by chronological classes or *ṭabaqāt*. In the manuscript of al-Ḥākim an-Naisābūrī, each class appears as a unit and is alphabetized internally. In that of 'Abd al-Ghāfir al-Fārisī, on the other hand, each group of like names is divided internally into classes; and it is occasionally ambiguous which class an individual belongs in. Altogether there are eleven classes, eight in al-Ḥākim an-Naisābūrī and three in 'Abd al-Ghāfir al-Fārisī. Unfortunately, the principle at work in determining the terminal dates of each class remains a mystery. The theoretical principle of generations after the Prophet Muḥammad can be applied only to the first two classes of al-Ḥākim an-Naisābūrī. After that the classes vary widely in duration and seem to bear no relation to generations. The only class that seems to be related to something specific is the

shortest one, class eight of al-Hākīm an-Naisābūrī. This class seems to be composed of the contemporaries and personal friends of the author; and it displays so many idiosyncrasies because of the very subjective way in which it was compiled, which differed markedly from the manner of compilation of the other classes, that it must be excluded from most quantitative work.

Even though the principle governing the chronological division into classes is obscure, however, there can be no doubt that the divisions are in fact chronological. By accumulating all of the death dates provided in the individual biographies, it can easily be determined that the earliest death date of each class is the same as or subsequent to the latest death date of the previous class. This confirms that the classes are chronological by death date, and it also establishes at least the approximate terminal dates for each class. The following table gives the results of this determination for the eleven classes contained in the two dictionaries. It also shows the number of biographies in each class (approximately for the classes of ‘Abd al-Ghāfir al-Fārisī because of the occasional ambiguity as to the class of individual biographies) and, dividing the time span of the class into the number of biographies, the average number of biographies per year.

Table I

Class	Terminal Dates	Period of years	Number in Class	Average per year
<i>(Ta’riḫ Naisābūr of al-Hākīm an-Naisābūrī)</i>				
I	?-ca. 75 A.H.	?	27	?
II	ca. 75-ca. 110	35	73	2
III	ca. 110-ca. 200	90	88	1
IV	ca. 200-ca. 270	70	632	9
V	ca. 270-ca. 314	44	521	12
VI	ca. 314-335	21	311	15
VII	335-388	53	948	18
VIII	388-405	17	98	6
<i>(as-Siyāq li Ta’riḫ Naisābūr of ‘Abd al-Ghāfir al-Fārisī)</i>				
A	405-425	20	213 approx.	11
B	425-ca. 460	35	533 approx.	15
C	ca. 460-525	65	953 approx.	15

Certainly the most striking feature of this table is the column of average number of biographies per year. Disregarding the first three classes, lost in the dim reaches of Nishapur’s early history and prior to the full elaboration of Muslim scholarly technique and educational apparatus, and the eighth class discussed above, there is a period of some three centuries during which the average number of biographies per year remains of the same order of magnitude. Over this entire period the average number of biographies per year is thirteen. Surely, what this testifies to is a tremendous regularity in the accumulation of individual biographies. And there is a strong argument to be made that this regularity is even greater than is immediately apparent, for the fluctuations in the averages follow the hypothetical curve of the growth and

decline of Nishapur's population which can be deduced from independent sources, such as geographers. That is to say, the population of the city, and therefore the size of the religious class, was greater during the Sāmānid period of class seven when the average number of biographies per year was eighteen than it was either before, when Nishapur was first rising as a great city under Ṭāhirid aegis, or after, when Khurasan was unsettled by the influx of the Turks and the establishment of the Saljūq empire. Hence, the number of biographies per year per equivalent religious class may well be even steadier than the table indicates.

Thus, over a period much longer than the lifetimes of the two authors and over two separate biographical dictionaries there is evidence of surprising regularity. The reason for this certainly lies in the nature of the Muslim scholarly and educational establishment. Briefly, a scholar would compile a book containing biographical notices of everyone under whom he had studied or from whom he had heard something of religious import. These compilations, called *mashāyikh* (sing. *masbyakha*), eventually found their way into the libraries commonly associated with religious and educational establishments in medieval Muslim cities. Then, someday, a man like al-Ḥākim an-Naisābūrī or ‘Abd al-Ghāfir al-Fārisī would read through these *mashāyikh* and other earlier biographical dictionaries, select the biographies he wished to retain according to the criteria of the work he was writing, collate the resulting mass of notices to remove duplicates, and compile a biographical dictionary. As a result, the work of initial selection was only rarely done by the author of the final dictionary. Each dictionary is actually the product of a very large number of individual efforts; and it is this that accounts for the regularity noted above and that guarantees that the subjectivity of the final compiler does not determine to any great extent the contents of his work. It is this that reinforces the notion that in many ways what is being dealt with is a genuinely random sample of the religious class reliable over a long period of time.

With the nature and structure of the biographical dictionaries in question thus somewhat clarified, it is now possible to go on with a demonstration of the quantitative approach.

II

Most names in the medieval Middle East consisted of several parts. Any individual might be generally known by only one part of his name; but on the whole, the biographical dictionaries include as much of the man's name as was known. Aside from those kinds of name that virtually everyone had, the *ism* and the *kunya*, the most universal type of name is the *nisba*. A *nisba* is basically a noun with the suffix /ī/ which transforms it into an adjective of relationship. The noun can designate almost anything. It can be the name of a tribe, such as Kalb; a person with the name Kalbī would be a member of, descendant of, client of, or in some other way related to that tribe. Likewise, it can be a placename. A Baghdādī is a man in some way connected with Baghdad, a Naisābūrī a man in some way connected with Nishapur, and so forth. Similarly, a *nisba* can refer to occupation, physical defect, religious affiliation, a famous ancestor, a particular virtue, etc.

The particular type of *nisba* concerned here is the *nisba* related to a specific city. The argument to be made is that the relative frequency of geographical *nisbas* in different chronological periods directly reflects road traffic during those periods and indirectly reflects the relative level of trade and prosperity. Numerous objections

to this argument come to mind at once and can be divided into two categories: objections to the implication that a *nisba* signifies that a person moved from the place referred to by the *nisba* to Nishapur, and objections to the inference that volume of *nisbas* is in any way related to volume of traffic, not to mention trade.

The primary objection in the first category is that a *nisba* might well be a family name reflecting a physical connection with the city referred to by the *nisba* which occurred long before when some ancestor migrated from one place to another. Undoubtedly, this is a possibility; but judging from some two hundred genealogical charts reconstructed from the biographies given by 'Abd al-Ghāfir al-Fārisī, such *nisbas* were used only rarely as family names in Nishapur. Many *nisbas* do appear as family names, being borne by every member of a family over several generations. Most *nisbas* of this sort, however, refer to Arab tribes, occupations, or prominent ancestors. Geographical *nisbas*, except for those relating to local villages or quarters where the family continues to reside, tend to drop after a couple of generations. Even in cases where both a father and a son bear the same *nisba*, it is quite probable that both men originated in the city of the *nisba* and migrated or travelled to Nishapur together.

The other objection of this type arises in the infrequent case where a single individual bears two or even three *nisbas*, thus making his place of origin ambiguous. Cases of multiple geographical *nisbas* are usually easy to unravel, however. Most often one *nisba* refers to a city and the other one refers to a village near the city or to a quarter in the city. But in other cases it is clear that the individual actually resided in the several places referred to in his *nisbas* and adopted a new *nisba* whenever he changed his place of residence. Thus, in general, speaking of the entire body of geographical *nisbas*, the evidence strongly suggests that if a man bears a name referring to a particular place, the probability is very great that at some time in his life he was in that place.

There are two major objections in the second category. The first is that what is represented by the number of geographical *nisbas* in Nishapur at a given time is nothing more than the relative number of scholars travelling in search of learning; it bears no relation to other forms of road traffic. There are numerous indications, however, that this is not the case. In the first place, as S. D. Goitein has pointed out¹⁾ and as is corroborated in a large number of biographies contained in the dictionaries in question, men rarely travelled alone. The highways were too insecure. The normal procedure would be for an individual to join some sort of caravan in going from place to place. The likelihood of his doing this is further enhanced by the fact that many if not most scholars mixed study with business. As merchants they would travel about on business and occupy themselves with scholarly pursuits during their more or less protracted stays in various towns. Finally, it is obvious that a city of the size and importance of Nishapur was a magnet for both scholar and merchant; and the factors affecting the travel of one type of person, such as road insecurity or political friction, would affect other types of travellers in the same fashion. These generalizations of course cannot be applied to all cities since some cities, such as pilgrimage centers, would not necessarily attract trade as would a metropolis like Nishapur.

This still leaves the question, however, of whether a man's name, even if it does

1) S. D. Goitein, *A Mediterranean Society*, vol. I, Berkeley, 1967, pp. 275-279.

in the majority of cases indicate where he actually came from, can be considered as indicating the route by which he travelled, which is essential to the argument that follows. A man named Baghdādī, for example, could travel from Baghdad to Basra, sail from Basra to India, and then arrive in Nishapur from the east on his way back to Baghdad. The method which has been adopted here, however, of grouping together geographical *nisbas* lying along the various highways leading to Nishapur does much to alleviate this problem. While a man from Isfahan might come to Nishapur via Baghdad and vice versa, only in very rare instances, such as the one mentioned above of a man sailing to India, would a man from either city, or from any other city situated along the famous Khurasan highway or its feeder routes, reach Nishapur from the east. And the other routes, as well, have been selected according to the obviousness of the highway by which one would reach Nishapur. Thus, the intent in the selection of which *nisbas* to use and in the determination of how to group them together has always been to maximize the likelihood that the individuals involved did actually move at some point in their lives by a specific route from the city referred to in their names to Nishapur.

Finally, there is one more point that must be made before entering into a discussion of the results of this approach. As mentioned earlier, the chronological limits of the classes are determined by death dates. Since what is being examined here is the migration of individuals, however, the chronological periods that should be used are those determined by the average age at the time of migration. Unfortunately, this age is exceedingly difficult to determine with any precision. Some men migrated as little children with their fathers while others never left home until middle age. At best an educated guess can be made, and that guess is that the average age of migration is 30. The question now is what number of years must be deducted from the chronological class limits set by death dates in order to approximate the chronological class limits set by average age of migration. The answer to this question depends on the average lifespan of the medieval scholar, and there is sufficient information in ‘Abd al-Ghāfir al-Fārisī to determine that figure. On the basis of one hundred and fifty biographies in which both birth and death dates are supplied, it can be affirmed that the average lifespan of the individuals in these two works was 78 years. As these are lunar years, however, a correction must be made for solar reckoning; and this correction yields an average lifespan of 75 solar years. And this, in fact, is what would be expected of a group of men all of whom survived infancy and childhood and who did not have to cope with cigarette smoking, air pollution, military service, and nervous tension born of modern life. Thus, to delimit the classes by average age of migration it is necessary to deduct 45 years from all of the dates given in Table I, and to delimit the classes by date of birth, it is necessary to deduct 75 years. This produces the following figures in Table II.

This rather longwinded discussion fills in enough underlying assumptions and comes to grips with enough *a priori* objections to make possible a relatively straightforward presentation and interpretation of the results obtained. The procedure followed was this: All of the *nisbas* contained in the biographies were extracted and ranged by class (excluding classes I, II, III, VIII). Then, insofar as was possible, the meaning of every *nisba* was ascertained and the geographical *nisbas* separated from the rest. Next, all of the *nisbas* referring to Nishapur itself or to quarters within the city were deleted. The remaining body of *nisbas* was divided into those referring to places within an arbitrarily chosen 100 mile radius of Nishapur and those referring

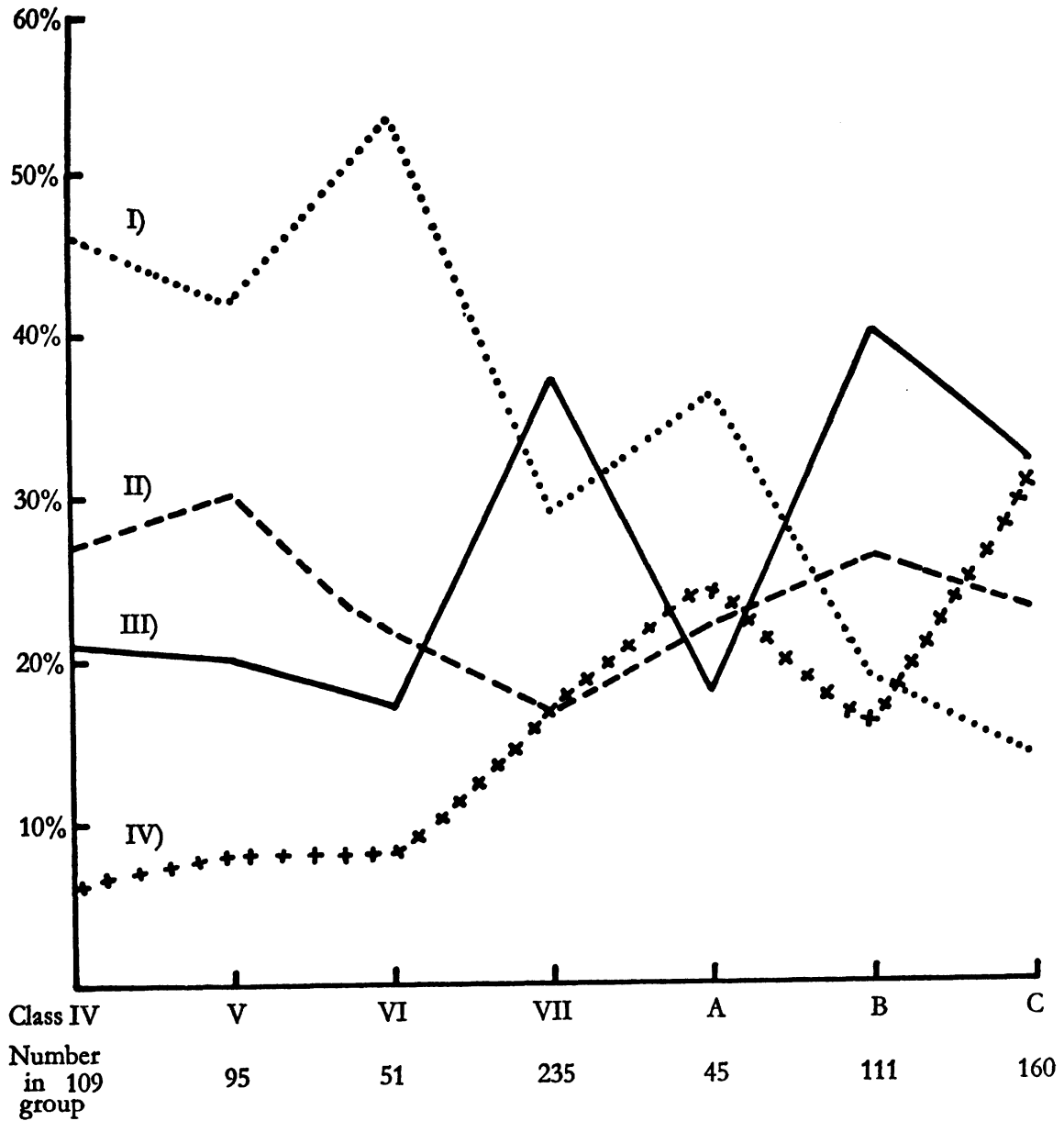
Table II

Class	Terminal Dates by Deaths	Terminal Dates by Migration	Terminal Dates by Births
<i>(Ta'rikh Naisābūr of al-Hākīm an-Naisābūrī)</i>			
I	?-ca. 75 A.H.	?-ca. 30 A.H.	?- 0 A.H.
II	ca. 75-ca. 110	ca. 30-ca. 65	ca. 0-ca. 35
III	ca. 110-ca. 200	ca. 65-ca. 155	ca. 35-ca. 125
IV	ca. 200-ca. 270	ca. 155-ca. 225	ca. 125-ca. 195
V	ca. 270-ca. 314	ca. 225-ca. 269	ca. 195-ca. 239
VI	ca. 314-335	ca. 269-290	ca. 239-260
VII	335-388	290-343	260-313
VIII	388-405	343-360	313-330
<i>(as-Siyāq li Ta'rikh Naisābūr of 'Abd al-Ghāfir al-Fārisī)</i>			
A	405-425	360-380	330-350
B	425-ca. 460	380-ca. 415	350-ca. 385
C	ca. 460-525	ca. 415-480	ca. 385-450

to places further away. The first group was labelled "local traffic" and the latter group "long distance traffic". Then the long distance *nishas* were grouped according to four highways leading to Nishapur: 1) a northeastern route leading to Nishapur from China by way of Samarqand, Bukhara, Marv, and Sarakhs; 2) a southeastern route leading from the lowlands north and south of the Hindu Kush mountains and covering such cities as Herat, Marv ar-Rud and Balkh; 3) the Khurasan highway leading from Baghdad through Hamadan, Rayy, and Damghan to Nishapur and its western feeder routes leading to Qazvin, Isfahan, and Basra; 4) a route lying along the Caspian lowlands and coming to Nishapur through the Jurjan plain. It should be noted that even though routes 1 and 4 and also 2 and 3 parallel each other in a general way, they are separated from each other by significant mountain ranges and are, in fact, quite discrete routes.

In order to show the relative share of traffic entering Nishapur from each of these routes in each time period, the accumulated *nishas* of cities lying along each route were graphed as a percentage of the total number of *nishas* from all four routes. This is shown in Graph I. This graph only indicates the relative proportion of traffic along the four routes, however, and is thus very difficult to interpret alone because the total volume of traffic during each period remains unknown. Presumably, a twenty percent share of the traffic during one period could represent as much or more actual traffic than a sixty percent share during some other period if there had also been a substantial change in the total volume of traffic.

Graph II is intended to give some notion of the fluctuations in total volume of traffic. On it the total number of *nishas* from all four routes is indicated as a percentage of the total number of *nishas* of all kinds in each class. (The only *nisha* excluded from this calculation is Naisābūrī because since a person actually living in Nishapur would be no more individuated by the name Naisābūrī than any of his fellow citizens, the assigning of this *nisha* by the compilers of the two dictionaries was done



Graph I

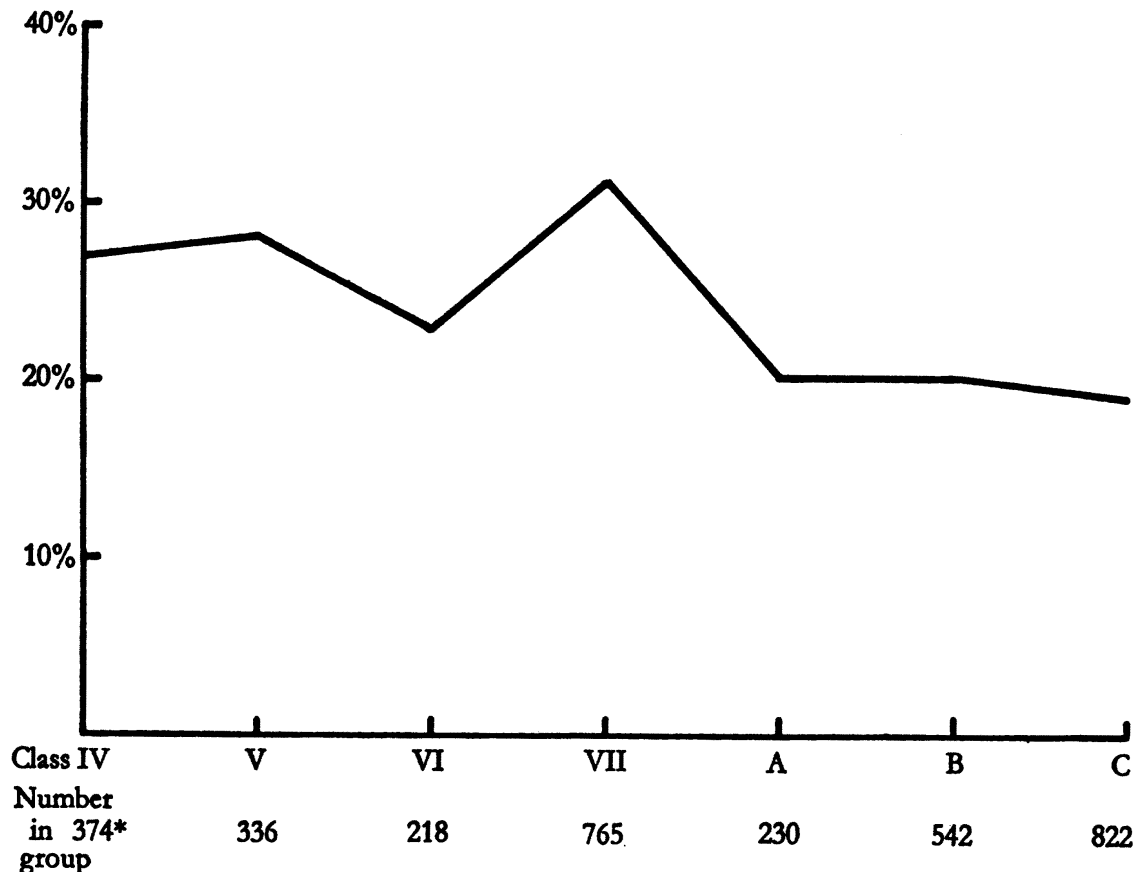
- I) Dotted line—northeast route from Samarqand, Bukhara, and Marv.
 II) Broken line—southeast route from Balkh and Herat.
 III) Solid line—Khurasan highway from Baghdad, Isfahan, and Rayy.
 IV) Crossed line—Caspian area route from Astarabad and Jurjan.

Time scale (A.H.)

Class	IV	V	VI	VII	A
Dates	ca. 155-ca. 225	ca. 225-ca. 269	ca. 269-290	290-343	360-380
	B	C			
	380-ca. 415	ca. 415-480			

to indicate residency rather than because it was an actual part of the person's name. This is evident from the fact that very few people in al-Ḥākim an-Naisābūrī's work have no *nisba*, and a very large number bears only the *nisba* Naisābūrī; while in 'Abd al-Ghāfir al-Fārisī's work a relatively large number of people has no *nisba*, and very few have only the *nisba* Naisābūrī. Evidently, the style of the compiler is the operative variable, and the appearance of this *nisba* must be disregarded for quantitative work.)

Undeniably, this is a risky procedure. Since the columns of the graph do not sum to 100%, the fluctuations in the curve may well be the product of other fluctuations occurring among the residual non-geographical *nisbas*. That is to say, a particularly great incidence of long distance geographical *nisbas* might be caused not by growth of traffic to Nishapur during that particular time period but by a spectacular decline in, say, the number of people bearing *nisbas* related to Arab tribes, which might be the product of ethnic change in the composition of the religious class. This is



Graph II

Solid line represents *nisbas* deriving from long distance traffic as a percentage of the total number of *nisbas* (excluding Naisābūrī) in each class.

*This is not the total number of *nisbas* in class IV but the number of individuals bearing any *nisba* at all (excluding Naisābūrī). Plural *nisbas* borne by a single individual would doubtless make the total number of *nisbas* slightly larger thus reducing the percentage somewhat.

not at all necessarily the case, however; for the present situation is not that of a zero sum game. There is no absolute number of *nisbas* involved; individuals can have no *nisba* or several *nisbas*. Hence, a decrease in the number of *nisbas* in one category does not call for a corresponding rise in the number of *nisbas* in another category in order to keep the total the same.

This being the case, the only thing to do is to compare the long distance traffic curve on Graph II with the curves of other identifiable groups of *nisbas*. In Graph III, curve A represents the frequency in each class of some 30 *nisbas* drawn from within the 100 mile local traffic radius as a percentage of the total number of *nisbas* in the class. The curve is fairly level and has a maximum variation of six percentage points. Curve B shows the percentages of *nisbas* drawn from Arab tribes and from the names of famous ancestors. This, too, is a fairly level curve; were it not for class V covering an early period when the number of Arabs in the religious class was fairly high, the maximum variation would be only three percentage points.

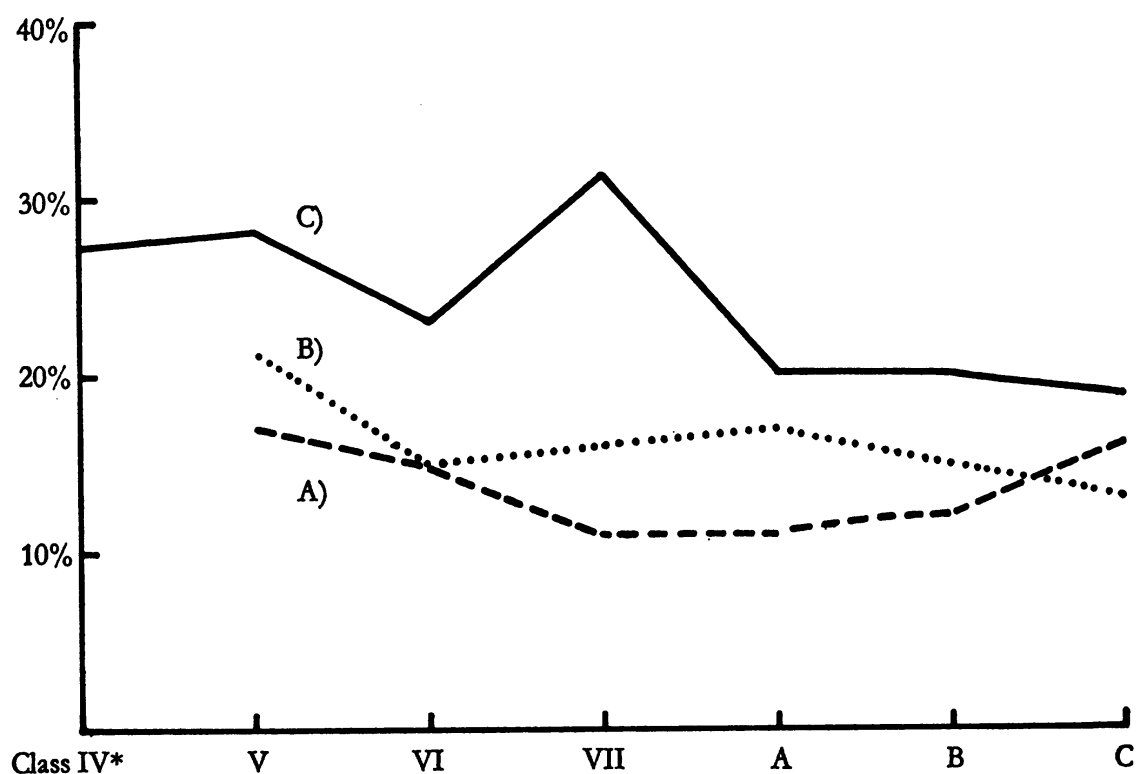
The difference between these two curves and the long distance traffic curve (curve C on Graph III) is striking. With a maximum variation of twelve percentage points and a pronounced peak in class VII, it is difficult to avoid the conclusion that something special sets apart the time period of class VII from the periods just before and just after it. Furthermore, the relative evenness of the curve of local traffic in comparison with the curve of long distance traffic testifies to the validity of the premise underlying this entire examination, namely, that the frequency of long distance *nisbas* reflects important changes in the level of trade. Regardless of economic or political conditions, local traffic is likely to remain fairly stable. Foodstuffs must always be brought into the city, and the city will always exert a magnetic attraction on its hinterland, especially in religious and educational matters. On the other hand, economic and political conditions can heavily influence long distance traffic since the luxury products to which most long distance trade was devoted are non-essential and since there are other cities which can act as magnets for scholars.

Thus the argument stands, founded on a number of assumptions which can be argued pro and con. Ideally, parallel calculations from independent statistics should be offered to substantiate or contest its validity. Such statistics, unfortunately, are not available. Two other methods of testing are available, however, one immediately and the other, hopefully, sometime in the future. The latter would take the form of comparable calculations for other cities made from other biographical dictionaries. A method that claims to offer meaningful results in one situation should do so in other situations, as well. The former is the standard historian's method: How well does this theory correspond to known historical facts? In other words, how are the curves to be interpreted?

Interpretation, needless to say, is never obvious and clearcut. But in the present instance the correspondence of the major features of the highway curves of Graph I and the long distance traffic curve of Graph II with historical events seems incontestable.

Class IV (ca. 155-ca.225)

The major features of this period are a high level of overall long distance traffic with a particularly high proportion of that traffic coming from the northeast from route number 1 and the second highest from the southeast road, number 2.

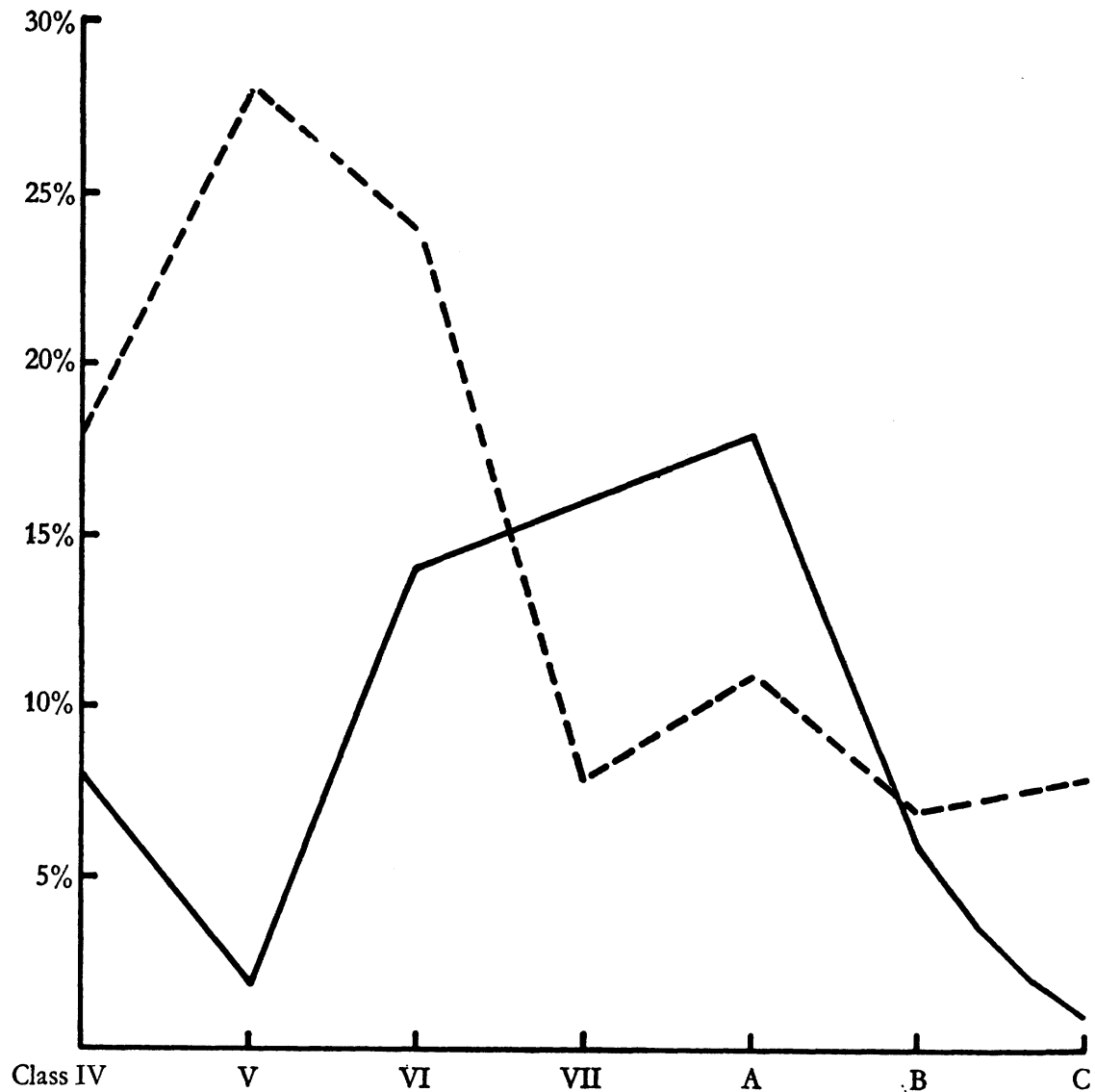


Graph III (Number in each class same as in Graph II)

- A) Broken line—*nisbas* derived from localities within a 100 mile radius of Nishapur.
 B) Dotted line—*nisbas* derived from the names of Arab tribes and from the names of distinguished ancestors.
 C) Solid line—same as in Graph II.

*Data on *nisbas* derived from Arab tribes, famous ancestors, and local traffic was not compiled for class IV.

This was the period of Abbasid greatness. It begins in the reign of al-Manṣūr and extends into the beginning of the Samarra period. Balkh was the capital of Khurasan. The previous capital, prior to 118, was Marv, which during this period was still the major city of Arab central Asia. Baghdad was the undisputed metropolis of the Islamic empire. Nishapur, until very late in the period when Tāhīr made it his capital, was a minor city on the road to Transoxiana and further east. Thus, the high volume of traffic and its direction, from east to west, becomes understandable. It was transit traffic and reflects the flow of men and goods from Central Asia and Khurasan to the metropolis of Baghdad. The men who stopped for longer or shorter periods in Nishapur were easterners on their way to or from the Abbasid capital. In particular, they were men from Marv and Balkh, which between them account for 42% of all the long distance traffic. (A very small sample indicates that during the previous period, class III, ca. 65-ca. 155, in which the capital of Khurasan was switched from Marv to Balkh, the combined percentage of these two cities was precisely the same, 42%.)



Graph IV (Number in each class same as in Graph I)

Percentage of total traffic on four long distance highways emanating from:

Solid line—Bukhara

Dotted line—Marv

Class V (ca. 225-ca. 269)

Khurasan was very different during this period. The rise of the Ṭāhirids at the beginning of the third century marked the start of a long period of Persian political resurgence which saw eastern Iran and Transoxiana become increasingly independent of Baghdad both politically and culturally. The Ṭāhirids made Nishapur their capital and started it on its way to becoming a great city. They were thrown out of their capital in 261 by the Ṣaffārids, another Persian dynasty from southern Iran; but this change of government probably did not affect the city much. In the meantime, a third Persian dynasty, the Sāmānid, was rising in Bukhara in Transoxiana; and the Abbasid central government was undergoing dark days of Turkish praetorian

infighting in Samarra and then, after the return to Baghdad, more dark days fighting the Zanj rebellion. On the graphs, these events are not particularly evident. Assuming that budding Nishapur was still mainly a city of transit, the direction of travel is still predominantly from east to west with Marv and Balkh still accounting for fully 40% of it.

Class VI (ca. 269-290)

One event symbolizes the changes that took place during this period. In 287 the Sāmānid ruler Ismāʿīl b. Aḥmad defeated the Ṣaffārid ʿAmr b. al-Laith and thus became the *amīr* of Khurasan with his capital in Bukhara. Nishapur received a Sāmānid governor. The ramifications of the Sāmānid rise and the alteration in the structure of power are clearly shown on the graphs. There is a striking increase in traffic from the northeast, already heavy due to the importance of Marv and now more so due to the new prominence of Bukhara, toward which Nishapur now faced as a satellite. Graph IV depicting the percentage of long distance *nisbas* referring to Marv and Bukhara demonstrates how clearly such gradual phenomena as the decline of Marv as the major city of Khurasan and the rise of Bukhara can be perceived by this method. Balkh, too, was declining at the expense of Bukhara. The combined percentage of Marv and Balkh during this period is 33%. Furthermore, the new alignment is reflected in a noticeable dip in the volume of traffic in general. The East was now a separate entity from the Abbasid empire centered on Baghdad. No longer was Baghdad the sole magnet. The transit trade through Nishapur decreased as Khurasan became increasingly oriented toward Bukhara.

Class VII (290-343)

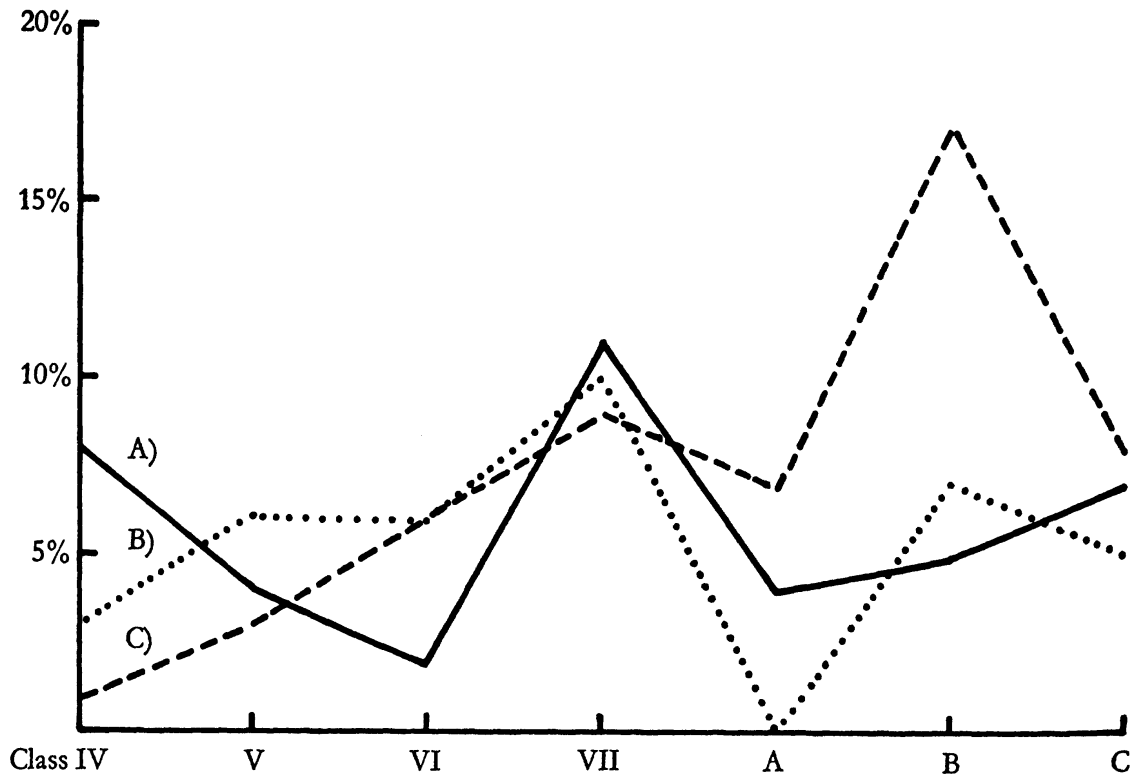
Politically, few major developments took place during this period; but the graphs show that the effects of earlier developments became fully realized at this time. The caliphate in Baghdad continued its deterioration while the Sāmānid state flourished. Nishapur, too, flourished under the aegis of the Sīmjūrīds, a dynasty of governors appointed by the Sāmānid ruler but having its roots in the Nishapur area. Judging from the dramatic rise in the volume of long distance traffic, these must have been the most prosperous days in Nishapur's history; and this period also saw the first development in the city of the Ashʿarī theological school which was later to produce Nishapur's greatest thinkers, Imām al-Ḥaramain al-Juwainī, Abū al-Qāsim al-Qushairī, and al-Ghazzālī. The first great Nishapuri exponent of this doctrine, Abū Sahl aṣ-Ṣuʿlūkī, died in 369.

The analysis of this boom period by highways is illuminating. The proportion of traffic from the northeast decreased; but as indicated on Graph IV, the decrease was mainly caused by the further decline of Marv as a major city. Bukhara's share of traffic rose substantially. Similarly traffic from the southeast diminished, largely due to the decline of Balkh at the expense of burgeoning Bukhara and Nishapur. The combined share of traffic emanating from Marv and Balkh is now only 13% compared with 16% for Bukhara alone. Most striking of all, however, is the reversal of the east-west balance. For the first time the proportion of traffic coming from the west is greater than the proportion of traffic coming from the east (54% vs. 46%). Nishapur and Bukhara as the centers of a vigorous Persian political and cultural revival emerge as magnets whose attractive force is every bit as great as that of Baghdad. Traffic from the Caspian area increased, but this increase is put in the shade

by the tremendous increase in eastward flowing traffic along the Khurasan highway. Moreover, no single city can account for this rise; for as Graph V indicates, Rayy, Baghdad, and Isfahan show similar peaks in class VII when the number of *nishas* from those cities are graphed as a percentage of the long distance total. In short, the heyday of the Sāmānid dynasty appears to have been a tremendous boom period in the East during which Nishapur prospered greatly and had the foundations laid for its later cultural flowering.

Class A (360-380)

Looking at the graphs after a twenty year gap caused by the deletion of anomalous class VIII, it seems as if a reel has been skipped in a movie. The level of long distance traffic has suddenly sunk to a new low, which it maintains until the end of the



Graph V (Number in each class same as in Graph I)

Percentage of total traffic on four long distance highways emanating from:

- A) Baghdad
- B) Rayy
- C) Isfahan

time span covered by the dictionaries; the east-west balance has shifted again so that only 42% of the traffic comes from the west; and the level of traffic on the Khurasan highway has plummeted from its high peak with the decline being shared by all three major cities shown on Graph V. Only the Caspian area seems to be unaffected. What happened to the great Sāmānid prosperity? Do the graphs truly reflect important economic and political changes?

In fact, the suggestive curves of the graph are fully borne out by an examination of historical events. These events concern three dynasties. First, the previously splintered Būyid dynasty in western Iran and Iraq reached its apex of prosperity and power under 'Aḍud ad-Dawla, who enjoyed his maximum power from the early 360's until his death in 372. Second, the Sāmānid dynasty began during this period to sink into a morass of court intrigue and Turkish praetorian domination. Furthermore, there was great enmity between the Būyids and the Sāmānids because of religious differences which, combined with the attraction of the Būyid court, accounts for the marked decline in traffic on the Khurasan highway. The falling off of traffic on this great through road in turn surely contributed, along with the disorder at the heart of the Sāmānid state, to the general decline of prosperity which is indicated by the fall in the overall volume of long distance traffic. Third, the Caspian region during this period was fairly cohesive under the rule of the Ziyārid dynasty, whose jurisdiction had become confined to this area. This small dynasty was never terribly secure in power, but the establishment of Jurjan as a capital and the fact that the Ziyārids were allies of the Sāmānids against the Būyids easily account for the indicated rise in traffic on this route. Thus, although Nishapur certainly shared in the economic decline of the Sāmānid state, it is imperial politics more than anything peculiar to the city that explains the interesting traffic pattern of this period.

Class B (380-ca. 415)

This was the period of the famous Maḥmūd of Ghazna. He became governor of Nishapur in 384, succeeded as head of the Ghaznavid dynasty shortly after the death of his father, Sabuktakīn, in 387, and ruled until his own death in 421. This was also a period of great cultural growth in Nishapur. Although the bloom was still off the rose economically, the city was thriving intellectually. The great Ash'ari theological school was flourishing under Abū aṭ-Ṭayyib aṣ-Ṣu'ūkī (d. 398), Ibn Fūrak (d. 406), al-Ḥākim an-Naisābūrī (d. 405), and Abū Ishāq al-Isfarā'inī (d. 418). Likewise, the Ḥanafī-Mu'tazilī faction was prospering under Ghaznavid patronage. Maḥmūd's brother founded the Ṣā'idī *madrassa* in Nishapur for this faction, and this *madrassa* was probably the pattern for the later Nizāmiya.¹⁾ These two phenomena account for the configurations on the graphs for this period.

The most striking feature is certainly the high peak in the level of traffic coming to Nishapur along the Khurasan highway. The breakdown on Graph V showing the curves from Isfahan and Rayy peaking together indicates that this increase in traffic was general along the whole highway, while the continuing slump in the Baghdad curve reflects the disorders that progressively afflicted that city during the later Būyid period. In part this increase may stem from the accession of a vigorous new dynasty, but this is not likely as will be shown later. Mainly the increase must be attributed to the effervescence of Nishapur and to its emergence as an intellectual center as attractive as any.

As for the other highways, the decline in the share of traffic from the Caspian area probably reflects the decline of the Ziyārid dynasty and the working out of unwise policies pursued by Qābūs b. Washmgīr after his return to Jurjan in 388.²⁾

1) R. W. Bulliet, "The Social History of Nishapur in the Eleventh Century", unpublished doctoral dissertation, 1967, ch. IV.

2) *Encyclopaedia of Islam*, first edition, vol. II, p. 596. A good example of his misgovernment may be found in as-Sahmī, *Ta'rikh Jurjān*, Hyderabad, 1950, pp. 107-108.

The great slump in the share of traffic coming from the northeast is even more explicable. As the Sāmānids weakened and finally fell, the dike that had been holding back the Turkish tribes of Central Asia was removed; and Transoxiana, where the Ghaznavids never wielded much power, reverted to a more pastoral way of life. Graph IV shows specifically what happened to traffic from Marv and Bukhara. Finally, the appreciable rise in the share of traffic emanating from the southeast, the direction of the Ghaznavid capital, is attributable to the advent of the new dynasty. In particular, the city of Herat, standing as the most important city between Nishapur and Ghazna, emerges as a major point of origin for traffic to Nishapur with an 18% share of the total.

The major question that comes to mind, however, is why such a vigorous new dynasty did not produce an increase in the overall volume of traffic, which has been construed here to reflect the general level of trade and prosperity. The answer to this is distance. Ghazna, the seat of the state, was separated from Nishapur by some 850 miles of desert while only 475 more congenial miles away in the opposite direction lay Lahore and the riches of unconquered India. Thus, it is hardly surprising that Maḥmūd chose to turn his attention eastward and launch campaign after campaign into India. And in this situation Nishapur became merely a western outpost, far removed from the trade caravans and booty trains that moved from India to Ghazna. At a slightly later period this isolation does much to explain the easy capitulation of Nishapur before the Saljūq Turks.

Class C (ca. 415-480)

In 428 the Saljūq Turks occupied Nishapur for the first time¹); and after being dislodged briefly, they came to stay in 431. The period of Saljūq greatness is delimited by the reigns of the first three sultans, Tughril Beg, Alp Arslān, and Malikshāh. The last of these three died in 485 which makes the time span under consideration here almost coincide with the period of Saljūq greatness. The effect of this change of regimes on the economy of Nishapur does not seem to have been salutary, however. The northeast was increasingly a preserve for Turkish tribesmen while the southeastern highway led into the country of the Ghaznavids, who were the enemies of the Saljūqs. Traffic along both of the eastern roads fell. Marv, Bukhara, Herat, Balkh, all declined. The share of traffic from this direction fell to 37%, the lowest ever. Traffic from the west declined, too, as shown on Graph V. Only the proportion of traffic coming from the Caspian region shows a marked increase, and this is certainly only an apparent increase caused by the decline of the other routes. Individually, Jurjan and Astarabad, the two main components of the curve from this area, remained about as they had been in the previous period. Overall, the volume of traffic fell to its lowest point in the entire 325 year period covered by the graphs.

It is not, of course, that Nishapur itself became an insignificant town. It was certainly larger and wealthier than it was during the first three periods described above. But the curves indicating traffic flow do not relate simply to one city. They reflect both traffic which had Nishapur as its terminus and through traffic for which Nishapur was just a point on the road. All along, as Nishapur was growing, political

1) The date of Nishapur's first capitulation is given in literary sources as 429, but the American Numismatic Society has in its collection a dinar of Tughril Beg minted in Nishapur in 428.

events were conspiring to bring low the other great eastern cities. Finally, during this period when Nishapur was at its intellectual peak and was probably the most culturally creative city in the Islamic world, the development that had been in train since the Abbasids began to decline came to full realization. East and West were split. Khurasan ceased to be a crossroads and became instead an eastern frontier extremity withering on the vine. The bridgehead established by the Arabs and the Persians in Transoxiana had crumbled, and Afghanistan had turned toward India. This new orientation has never been changed since that time. Thus, despite the flourishing intellectual climate of Nishapur itself, traffic through the city dried up. The economic seeds of the destruction of the city were sown.

Richard W. BULLIET
(Harvard)

NOTE SUR L'ESCLAVAGE MUSULMAN ET LE DEVSHIRME OTTOMAN, À PROPOS DE TRAVAUX RÉCENTS

Le *devshirme* est, on le sait, cette levée d'enfants de leurs sujets chrétiens qu'ont effectuée pendant quelque quatre siècles les Ottomans afin de les convertir à l'islam et de recruter parmi eux des agents de leur service civil ou militaire, en particulier le fameux corps des janissaires. Le caractère spécial de cette institution, dont on ne connaît nulle part d'exact équivalent, a depuis longtemps préoccupé les savants, sans parler des réactions sentimentales qui se sont naturellement fait jour pendant longtemps dans les milieux chrétiens touchés. Il n'y a pas cependant très longtemps qu'on s'est résolument attaqué au problème des origines et de l'explication du *devshirme*. On ne peut dire que des résultats décisifs aient encore été atteints: néanmoins des faits et des réflexions valables ont été introduits dans le débat, qui n'excluent pas, cependant, me semble-t-il, quelques possibilités de confusion. C'est pour cette raison qu'on me permettra de soumettre ici à mon tour les réflexions d'un islamisant qui ne prétend pas être un ottomanisant.

Depuis l'article initiateur de Palmer (1953)¹, on a dans l'ensemble surtout cherché à rattacher de quelque façon le *devshirme* à un passé musulman, soit que l'on découvrit dans l'interprétation shâfi'ite de la Loi une disposition qui pouvait autoriser la levée d'enfants non-musulmans parmi les sujets de l'Empire, contrairement à la garantie générale de leur liberté personnelle et culturelle accordée par l'islam²); soit qu'on replaçât le *devshirme* dans la ligne et la tradition du rôle

1) J.A.B. Palmer, *The origin of the Janissaries*, in Bulletin of the John Rylands Library, XXXV/1953. Une bonne mise au point des questions concernant le *devshirme* telles qu'on pouvait les poser en 1960 a été donnée par V. L. Ménage dans l'*Encyclopédie de l'Islam*, 2e éd., sub verbo.

2) Paul Wittek, *Devshirme and Shari'a*, in BSOAS XVII/1955. Malgré le respect qu'inspire l'éminent savant, je ne pense pas que son hypothèse soit à retenir fondamentalement; les premiers Ottomans n'avaient pas une connaissance suffisante des subtilités juridiques que les spécialistes n'avaient nulle part soulignées, à la rigueur on pourrait penser que l'interprétation de textes du genre de ceux que signale Wittek a pu plus tard aider les juristes à s'accommoder d'une pratique établie; mais cela même paraît peu vraisemblable, parce que les Turcs étaient pratiquement tous hanéfites et se préoccupaient peu des docteurs shâfi'ites.

مجلة مركز الحَسَّو للدراسات الكمية والتراثية

